حُقُوقُ الإنسانِ

بَينَ إعلانِ الأُمَمِ المُتَّحِدةِ

والقُرآنِ

تأليفُ

لُطفي محمود عبد الحليم

تصميمُ الغِلافِ و النَّاشِرِ

المِصْباحُ للنشر والترجمة

بريدياً: ١٢ب شارعُ إسماعيلَ أباظة ،

مِن ش القصرِ العَيني ، (شِقة: ٥)

القاهرةُ ١١٤٦١ ، ج. م. ع.

هاتِفٌ: ٤٥٧-٥٣٧

رَقمُ الإيداعِ: ١٩٩٢/٥٩٩٧
التَّرقيمُ الدَّوليُّ: ISBN: 977-5361-00-1

القاهرةُ في أُغُسطسَ ، ١٩٩٢م

الفِهرِسُ

هَذا

بَيانٌ لِلنّاسِ

وَهُدىً ، ومَوْعِظَةٌ

لِلْمُتَّقِينَ

صَدَقَ اللهُ العَظِيمُ

آلُ عِمرانَ: ١٣٨

بسم الله الرّحمن الرّحيم

مُقدّمةٌ

شَدّني لفكرةِ هَذا الكتابِ كَوني فَرداً من منطَقةِ العالَمِ الثّالثِ ، الّذي يَتجلّى فيهِ عن غَيرِه هَدَرُ بعضِ أو جُلِّ حُقوقِ الإنسانِ ؛ آملاً من ورائِه تَبصيرَ القاعدةِ العَريضةِ من أبناءِ ذَلكَ العالَمِ بما يَكادونَ يَجهلونَ من حُقوقِ الإنسانِ بَيِّنةً مُفنَّدةً. ثُمّ كَوني مُسلماً ، إثباتَ طَرحِ القُرآنِ الكريمِ لتلكَ الحُقوقِ ، خاصةً وأنَّ نسبةَ المؤمنينَ بالقُرآنِ في العالَمَينِ الثّالثِ والرّابعِ لَيست بالنّزيرةِ - مُعلّلاً ، قَدرَ ما تَيسّرَ لَنا من العلمِ ، أوجُهَ الاختلافِ لها في القُرآنِ معَ تلكَ الّتي بَلورَها إعلانُ الأُمَمِ المُتّحدةِ ؛ فكانت النّتيجةُ ميلادَ هَذا العملِ المُتواضِعِ.

ومن غَيرِ المَقصودِ إطلاقاً أنْ يُفهَمَ أنَّ ثَمّةَ شيئاً من هَذا الكتابِ يُرادُ بهِ التّقليلُ من شأنِ الهَيئةِ العالَميّةِ ، بَلْ أنَّ العَكسَ هوَ جُزءٌ من هَدفِه ، وهوَ إطْلاعُ الإنسانِ العاديِّ على حُقوقِ الإنسانِ الّتي تتبنّاها في قُرآنِ اللهِ ، ثُمّ في إعلانِ الأُمَمِ المُتّحدةِ ؛ إضافةً للتّعريفِ المُبَسّطِ ، كثَقافةٍ تَكميليّةٍ عامّةٍ ، بالأُمَمِ المُتّحدةِ.

وتَجدُرُ الإشارةُ إلى أنَّ الأساسَ ، وهوَ القُرآنُ الكريمُ ، الّذي يَقومُ علَيهِ هَذا الكتابُ هو ما أبقاهُ بَعيداً عن التّطرُّقِ لصَحيحِ حَديثِ الرّسولِ. وقد رُوعيَ في تأليفِ وكتابةِ هَذا الكتابِ:

١- إيرادُ النّصِّ القُرآنيِّ المُقابلِ (المُستَشهَدِ بهِ) ضِمنَ كاملِ الآيةِ ، بَلْ وقَرْنُها أحياناً بسابقَتِها و/أو لاحقَتِها من أيٍ استيضاحاً لأصغرِ سياقٍ مُمكنٍ فيهِ يَردُ النّصُّ المَعنيُّ.

٢- إتْباعُ الآياتِ المَورودةِ بما تَيسّرَ من شَرحٍ ، معَ التّعقيبِ ما لَزِمَ ، بما يُساعدُ على جلاءِ المُرادِ.

٣- التزامُ لُغةٍ جَزْلةٍ قَدرَ المُستطاعِ خلافاً لمَن دَرَجَ من الكُتّابِ والمؤلّفينَ على هَجرِ الفَصيحِ من اللُّغةِ في مؤلّفاتِهم بدَعوَى تَقريبِ المادّةِ من ذِهنِ القارئِ ، «في لُغةٍ بَسيطةٍ سَهلةٍ» ، وهم عن

حُسنِ نيَّةٍ يَقتُلونَ فيه ، خاصَّةً النّاشئينَ ، المُكنةَ العربيَّةَ ؛ حتَّى لَيُخشَى ، جيلاً إثرَ جيلٍ ، أنْ يَصيرَ كتابٌ كالقُرآنِ في حاجةٍ لترجَمةٍ مِن العربيَّةِ إلى مَسخٍ عَربيٍّ!

٤- كِتابةُ القُرآنِ بالرَّسمِ الْمُعاصِرِ ، معَ تَمييزِ خَطِّ النُّصوصِ القُرآنيَّةِ الْمُقابِلةِ لموادِّ حُقوقِ الإنسانِ عن سائرِ خَطِّ الْمَتنِ بالكِبَرِ والْمَيلِ يساراً. أمّا تلكَ الْمُتخلِّلةُ للْمَتنِ فيُميِّزُها عن سائرِهِ مَيلُ خَطِّها يميناً. كذلكَ تَمييزُ الألفِ المقصورةِ عن الياءِ بكتابةِ الياءِ مَنقوطةً أسفلَها.

٥- تَناوُلُ المادةِ الحُقوقيَّةِ ، وعناصرِها ، وتفرُّعاتِها بالدَّرسِ والْمُقابَلةِ باستعمالِ الرَّمزِ الرَّقمْ-أبجديّ بَدلاً للعناوينِ النَّصّيَّةِ بهَدَفِ التَّركيزِ والحصرِ في العَنْوَنةِ. فمثلاً: الرَّمزُ: ٢٦/ب/١/٣ ، يُمثِّلُ حَدُّه الأوَّلُ (٢٦) رقمَ المادةِ الحُقوقيَّةِ ؛ وحدُّه الثّاني العُنصُرَ ب منها ؛ ويُشيرُ الحدُّ الثّالثُ للوَجهِ الأوَّلِ من ذَلكَ العُنصُرِ ؛ والحدُّ الأخيرُ لعددِ النَّصِّ القُرآنيِّ الْمُقابِلِ. فكثيراً ما يُقابَلُ الوَجهُ أو العُنصُرُ الواحدُ بأكثرَ من نصٍّ قُرآنيٍّ ، إمّا لِتَكميلِ النُّصوصِ لبعضِها البَعضُ ، وإمّا لتعزيزِ الْمُقابلةِ والقَطعِ فيها.

وأخيراً ، نَسألُ اللهَ رِضوانَهُ ، ثُمّ رِضاءَ القارئِ الكريمِ عن هَذا العملِ ؛ مُؤكِّدينَ أنَّ ما أصبْناهُ مِن تَوفيقٍ فيه هوَ مِن اللهِ العليمِ القَديرِ ؛ وما أخفقنا عن المرامِ ، فمِن نَفسِنا. والمؤلِّفُ يُرحِّبُ شاكِراً بكلِّ نَقدٍ بنّاءٍ ، أو مُلاحَظةٍ مُثمِرةٍ ، أو تَصويبٍ لِخطأٍ في هَذا الكتابِ.

المؤلِّف

القُرآنُ الكريمُ في سُطورٍ

١- آخرُ الكتبِ السَّماويَّةِ مِن اللهِ للبَشرِ ، ومُهَيْمناً علَيها ؛ تَنزَّلَ بِهِ الرُّوحُ (جبريلُ) مُوحياً بِهِ إلى رَسولِ اللهِ مُحمَّدٍ مُتفرِّقاً على مَدَى نحوِ ثلاثٍ وعشرينَ سنةً قَمريَّةً تَقريباً ، بَدءاً بلَيلةِ القَدْرِ من رَمَضانَ سَنَةَ إحدى عَشْرَةَ قَبلَ الهجرةِ ، المُوافِقِ ليناير مِن عامِ ٦١٠ م ، في غارِ حراءَ بمَكَّةَ ، وحتَّى ذي الحِجَّةِ مِن السَّنةِ العاشرةِ للهِجرةِ ، المُوافِقِ لمارسَ مِن عامِ ٦٣٢ م ، حينَ نَزَلَت آخرُ سُورةٍ بمِنَى.

٢- رَسولُ اللهِ مُحمَّدٌ هوَ ابنُ عبدِاللهِ ابنِ عبدِ المُطَّلِبِ ابنِ هاشمِ ابنِ عبدِ مَنافٍ ؛ الَّذي يَنتهي نَسبُهُ إلى نَبيِّ اللهِ إسماعيلَ ابنِ إبراهيمَ ، أبي الأنبياءِ (علَيهِم الصَّلاةُ والسَّلام). وقد وُلِدَ بمَكَّةَ في ٥٢/٣/١٢ ق.هـ. ، على المرجَّحِ (عامِ الفيلِ) ، المُوافِقِ لـ ٥٧٠/١٠/٤ م ؛ وتُوفِّيَ بيَثْرِبَ نَحوَ ١١/٣/١٣ هـ ، المُوافِقِ لـ ٦٣٢/٦/٧ م ؛ وكانت هِجرتُهُ مِن مَكَّةَ إلى يَثْرِبَ في حوالي٦٢٢/٧/١٦م.

٣- يَدعو القُرآنُ الكريمُ للإيمانِ باللهِ إلاهاً لا شَريكَ لهُ ؛ وبملائكتِهِ ؛ وكُتُبِهِ ؛ ورُسُلِهِ ؛ واليَومِ الآخِرِ ، يَومَ قيامِ النَّاسِ مِن القُبورِ ليُرَوا أعمالَهُم ، ويُوَفَّوا حسابَهم. ويُشكِّلُ القُرآنُ الكريمُ مَنهجاً مُتكاملاً للبَشرِ على الأرضِ رَوحيّاً ومادِّيّاً ؛ عِباديّاً وحياتيّاً.

٤- أهمُّ مبادئِ القُرآنِ وأهدافِهِ ، إنْ صَحَّ التَّعبيرُ ، هيَ:
الإيمانُ باللهِ وعِبادَتُهُ وحدَهُ ؛ إتِّقاءُ اللهِ ؛ التَّوكُّلُ على اللهِ (ولَيسَ التَّواكُلُ) ؛ إقامُ العَدلِ ؛ الإحسانُ ؛ إيفاءُ العَهدِ ؛ إحقاقُ الحَقِّ ؛ بَسطُ الرَّحمةِ ؛ إقرارُ السَّلامِ ؛ الإصلاحُ ؛ وصلُ الرَّحِمِ.

حاشيةٌ: تَوفيقُ التَّواريخِ الواردةِ في الفَقرتَينِ الأولَيَينِ جَرَى بمساعدةِ بَرنامجٍ حاسبيٍّ مِن تَطويرِ المُؤلِّفِ للتَّحويلِ بينَ التَّقويمَينِ الهجريِّ والميلاديِّ بدقةٍ تبلُغُ ± يوماً.

٥- من أسماءِ القُرآنِ أيضاً: الكتابُ ؛ الذِّكرُ ؛ الفُرقانُ ؛ النُّورُ. ويُمَيِّزُهُ عن كَلامِ البَشرِ عَددٌ من الإعجازات منها: اللُّغَويُّ ؛ والغَيْبيُّ ؛ وفي عَديدٍ من عُلومِ الحياةِ كالفَلَكِ والطِّبِّ. أمّا أسماءُ السُّورِ فلَيست تَوقيفيَّةً (وَحْيَويَّةً) وإنَّما مأخوذةٌ من مَوضوعٍ بارزٍ وردَ فيها ، أو كَلمةٍ ، أو حَرفٍ ؛ لذَلكَ فلبَعضِ السُّورِ إسمانِ أو أكثَرَ. أمّا مَدلولُ كَلمةِ < سُورةٍ > فهوَ غَيرُ مُحدَّدٍ ، وربُّما الأرجَحُ أنَّهُ: ما تَسَلسَلَ من الآياتِ تَسوُّراً ؛ أيْ فيما يُشبِهُ سِوارَ المِعصَمِ.

٦- يَتكوَّنُ القُرآنُ من أربعَ عَشْرَةَ ومئَةَ (١١٤) سُورةٍ (٦٢٣٦ آيةٍ غَيرِ مُتساويةِ عدد الكلمات) ، ويَرجِعُ للرَّسولِ ، بوَحيٍ من الله ، تأليفُه (تَحديدُ السُّوَرِ وتَرتيبُ الآياتِ فيها) ؛ أمّا الآيةُ فلا يَلزَمُ أنْ تَكونَ مُستقلَّةَ الكلامِ عن غَيرِها ، واللهُ أعلَمُ بسرِّ تَحديدِها. وقد قُسِّمَت السُّورُ في أجزاءٍ عددُها ثلاثون. كما أنَّ هُناكَ تَقسيماً آخرَ لها إلى أحزابٍ تَبلُغُ السِّتِّينَ.

٧- أوَّلُ مَن جَمعَ القُرآنَ في مُصْحفٍ هوَ الخَليفةُ الرَّاشدُ الأوَّلُ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ، برأيٍ من عُمرَ ابنِ الخطَّابِ ، على يَدِ زَيدِ ابنِ ثابتٍ بَينَ عامَي ٦٣٢ و ٦٣٤ م ، بتَرتيبِ سُورِهِ الشّائعِ بَينَ أيدينا وذَلكَ وفقاً لمعاييرَ منها طُولُ السُّورِ ، وتَناسُبُ السِّياقِ ؛ ثُمَّ أمَرَ الخليفةُ الثّالثُ عُثمانُ ابنُ عَفّانَ ، باستنساخِ أربعةِ مصاحفَ منه سَنَةَ اثنتَيْنِ وثلاثينَ هجريَّةٍ ؛ ٦٥٣م لالتزامِ النّاسِ في الأمصارِ بقراءةٍ واحدةٍ خَشيةَ التَّحريفِ. أما تَرتيبُ نُزولِها (على المُرَجَّحِ الشّائعِ) ، معَ مَحلِّ النُّزولِ ، فيُبيِّنُهُ الجَدولُ الواردُ على الصَّفَحاتِ التّاليةِ:

تَرتيبُ تَنزيلِ السُّوَرِ

تَرتيبُ السُّوَرِ		اسمُ السُّورةِ	عَددُ آياتها	مكانُ نُزولها	مُلاحـظاتٌ
تنزيلاً	مُصحَفاً				
١	٩٦	العَلَقُ . اقرَأ	١٩	مكّيّةٌ	في غارِ حِراءٍ
٢	٦٨	القَلَمُ . ن (نُون)	٥٢	مكّيّةٌ	مَدَنيَّةُ الآياتِ: ١٧-٣٣ و٤٨-٥٠
٣	٧٣	المُزَّمِّلُ	٢٠	مكّيّةٌ	« ١٠-١١ و ٢٠
٤	٧٤	المُدَّثِّرُ	٥٦	مكّيّةٌ	
٥	١	الفاتِحَةُ . الحَمْدُ	٧	مكّيّةٌ	
٦	١١١	المَسَدُ . تَبَّتْ . اللَّهبُ	٥	مكّيّةٌ	
٧	٨١	التَّكويرُ	٢٩	مكّيّةٌ	
٨	٨٧	الأعْلَى . سَبِّحْ	١٩	مكّيّةٌ	
٩	٩٢	اللَّيلُ	٢١	مكّيّةٌ	
١٠	٨٩	الفَجْرُ	٣٠	مكّيّةٌ	
١١	٩٣	الضُّحَى	١١	مكّيّةٌ	
١٢	٩٤	الشَّرحُ . أَلَمْ نَشْرَحْ	٨	مكّيّةٌ	
١٣	١٠٣	العَصْرُ	٣	مكّيّةٌ	
١٤	١٠٠	العادياتُ	١١	مكّيّةٌ	
١٥	١٠٨	الكَوْثَرُ	٣	مكّيّةٌ	
١٦	١٠٢	التَّكاثُرُ	٨	مكّيّةٌ	
١٧	١٠٧	الماعونُ . أرَأَيْتَ	٧	مكّيّةٌ	« ٤-٧
١٨	١٠٩	الكافرونَ	٦	مكّيّةٌ	
١٩	١٠٥	الفيلُ . أَلَمْ تَرَ (تَرى)	٥	مكّيّةٌ	
٢٠	١١٣	الفَلَقُ	٥	مكّيّةٌ	
٢١	١١٤	النَّاسُ	٦	مكّيّةٌ	
٢٢	١١٢	الإخلاصُ . الصَّمَدُ	٤	مكّيّةٌ	
٢٣	٥٣	النَّجْمُ	٦٢	مكّيّةٌ	مَدنيَّةُ الآيةِ: ٣٢

تَرتيبُ تَنزيلِ السُّوَرِ (٢)

تَرتيبُ السُّوَرِ		اسمُ السُّورةِ	عددُ	مكانُ	مُلاحظاتٌ
تَنزيلاً	مُصحَفاً		آياتها	نُزولها	
٢٤	٨٠	عَبَسَ	٤٢	مكّيّةٌ	
٢٥	٩٧	القَدْرُ	٥	مكّيّةٌ	
٢٦	٩١	الشَّمسُ	١٥	مكّيّةٌ	
٢٧	٨٥	البُروجُ	٢٢	مكّيّةٌ	
٢٨	٩٥	التِّينُ	٨	مكّيّةٌ	
٢٩	١٠٦	قُرَيْشٌ . الإيلافُ	٤	مكّيّةٌ	
٣٠	١٠١	القارِعَةُ	١١	مكّيّةٌ	
٣١	٧٥	القِيامَةُ	٤٠	مكّيّةٌ	
٣٢	١٠٤	الهُمَزَةُ	٩	مكّيّةٌ	
٣٣	٧٧	المُرسَلاتِ	٥٠	مكّيّةٌ	« ٤٨
٣٤	٥٠	ق (قاف)	٤٥	مكّيّةٌ	« ٣٨
٣٥	٩٠	البَلَدُ	٢٠	مكّيّةٌ	
٣٦	٨٦	الطّارِقُ	١٧	مكّيّةٌ	
٣٧	٥٤	القَمَرُ	٥٥	مكّيّةٌ	مَدَنيَّةُ الآياتِ: ٤٤-٤٦
٣٨	٣٨	ص (صاد)	٨٨	مكّيّةٌ	
٣٩	٧	الأعرافُ	٢٠٦	مكّيّةٌ	« ١٦٣-١٧٠
٤٠	٧٢	الجِنُّ	٢٨	مكّيّةٌ	
٤١	٣٦	يس (يا سين)	٨٣	مكّيّةٌ	مَدَنيَّةُ الآيةِ: ٤٥
٤٢	٢٥	الفُرقانُ	٧٧	مكّيّةٌ	مَدَنيَّةُ الآياتِ: ٦٨-٧٠
٤٣	٣٥	فاطِرٌ . المَلائِكةُ	٤٥	مكّيّةٌ	
٤٤	١٩	مَريَمُ	٩٨	مكّيّةٌ	مَدَنيَّةُ الآيَتَيْنِ: ٥٨ و ٧١
٤٥	٢٠	طه (طا ها)	١٣٥	مكّيّةٌ	« ١٣٠-١٣١
٤٦	٥٦	الواقِعةُ	٩٦	مكّيّةٌ	« ٨١-٨٢

تَرتيبُ تَنزيلِ السُّوَرِ (٣)

تَرتيبُ السُّوَرِ تنزيلاً	مُصحَفاً	اسمُ السُّورةِ	عَددُ آياتها	مكانُ نُزولِها	مُلاحظاتٌ
٤٧	٢٦	الشُّعراءُ	٢٢٧	مكِّيَّةٌ	مَدَنيَّةُ الآياتِ: ١٩٧ و ٢٢٤-٢٢٧
٤٨	٢٧	النَّملُ	٩٣	مكِّيَّةٌ	
٤٩	٢٨	القَصَصُ	٨٨	مكِّيَّةٌ	« ٥٢-٥٥/٨٥ بالجُحفَةِ في الهِجرَةِ
٥٠	١٧	الإسراءُ . سُبحانَ	١١١	مكِّيَّةٌ	« ٢٦ و ٣٢-٣٣ و ٥٧ و ٧٣-٨٠
٥١	١٠	يُونُسُ	١٠٩	مكِّيَّةٌ	« ٤٠ و ٩٤-٩٦
٥٢	١١	هُودُ	١٢٣	مكِّيَّةٌ	« ١٢ و ١٧ و ١١٤
٥٣	١٢	يُوسُفُ	١١١	مكِّيَّةٌ	« ١-٣ و ٧
٥٤	١٥	الحِجْرُ	٩٩	مكِّيَّةٌ	مَدَنيَّةُ الآيةِ: ٨٧
٥٥	٦	الأنعامُ	١٦٥	مكِّيَّةٌ	مَدَنيَّةُ الآياتِ: ٢٠/٢٣/٩١/٩٣/١١٤/١٤١/ ١٥١-١٥٣
٥٦	٣٧	الصَّافّاتُ	١٨٢	مكِّيَّةٌ	
٥٧	٣١	لُقمانُ	٣٤	مكِّيَّةٌ	« ٢٧-٢٩
٥٨	٣٤	سَبَأٌ	٥٤	مكِّيَّةٌ	مَدَنيَّةُ الآيةِ: ٦
٥٩	٣٩	الزُّمَرُ	٧٥	مكِّيَّةٌ	مَدَنيَّةُ الآياتِ: ٥٢-٥٤
٦٠	٤٠	غافِرٌ . المُؤمِنُ . الطَّوْلُ	٨٥	مكِّيَّةٌ	مَدَنيَّةُ الآيتَيْنِ: ٥٦-٥٧
٦١	٤١	فُصِّلَت	٥٤	مكِّيَّةٌ	
٦٢	٤٢	الشُّورَى	٥٣	مكِّيَّةٌ	مَدَنيَّةُ الآياتِ: ٢٣-٢٥ و ٢٧
٦٣	٤٣	الزُّخرُفُ	٨٩	مكِّيَّةٌ	مَدَنيَّةُ الآيةِ: ٥٤
٦٤	٤٤	الدُّخانُ	٥٩	مكِّيَّةٌ	
٦٥	٤٥	الجاثِيَةُ . الشَّريعةُ	٣٧	مكِّيَّةٌ	« ١٤
٦٦	٤٦	الأحقافُ	٣٥	مكِّيَّةٌ	مَدَنيَّةُ الآياتِ: ١٠ و ١٥ و ٣٥
٦٧	٥١	الذّارياتُ	٦٠	مكِّيَّةٌ	
٦٨	٨٨	الغاشِيَةُ	٢٦	مكِّيَّةٌ	

تَرتيبُ تَنزيلِ السُّوَرِ (٤)

تَرتيبُ السُّوَرِ		اسمُ السُّورةِ	عَددُ	مكانُ	مُلاحظاتُ
تَنزيلاً	مُصحَفاً		آياتها	نُزولها	
٦٩	١٨	الكَهفُ	١١٠	مَكّيّةٌ	مَدَنيَّةُ الآياتِ: ٢٨ و٨٣-١٠١
٧٠	١٦	النَّحلُ . النِّعَم	١٢٨	مَكّيّةٌ	« ١٢٦-١٢٨
٧١	٧١	نُوحُ	٢٨	مَكّيّةٌ	
٧٢	١٤	إبراهيمُ	٥٢	مَكّيّةٌ	مَدَنيَّةُ الآيتَيْنِ: ٢٨-٢٩
٧٣	٢١	الأنبياءُ	١١٢	مَكّيّةٌ	
٧٤	٢٣	المُؤمنونَ	١١٨	مَكّيّةٌ	
٧٥	٣٢	السَّجدَةُ	٣٠	مَكّيّةٌ	مَدَنيَّةُ الآياتِ: ١٦-٢٠
٧٦	٥٢	الطُّورُ	٤٩	مَكّيّةٌ	
٧٧	٦٧	المُلْكُ	٣٠	مَكّيّةٌ	
٧٨	٦٩	الحاقَّةُ	٥٢	مَكّيّةٌ	
٧٩	٧٠	المَعارجُ . سالَ سائلٌ	٤٤	مَكّيّةٌ	
٨٠	٧٨	النَّبَأُ . عَمَّ (عن ما)	٤٠	مَكّيّةٌ	
٨١	٧٩	النَّازعاتُ	٤٦	مَكّيّةٌ	
٨٢	٨٢	الانفطارُ	١٩	مَكّيّةٌ	
٨٣	٨٤	الانشقاقُ	٢٥	مَكّيّةٌ	
٨٤	٣٠	الرُّومُ	٦٠	مَكّيّةٌ	مَدَنيَّةُ الآيةِ: ١٧
٨٥	٢٩	العَنْكبوتُ	٦٩	مَكّيّةٌ	مَدَنيَّةُ الآياتِ: ١-١١
٨٦	٨٣	المُطفِّفينَ	٣٦	مَكّيّةٌ	آخرُ سُورةٍ نَزَلَت بمكّةَ.
٨٧	٢	البَقَرةُ	٢٨٦	مَدَنيّةٌ	أوَّلُ المَدنيِّ عدا: ٢٨١ فبِمِنًى في حَجَّةِ الوَداعِ
٨٨	٨	الأنفالُ	٧٥	مَدَنيّةٌ	مَكّيَّةُ الآياتِ: ٣٠-٣٦
٨٩	٣	آلُ عِمرانَ	٢٠٠	مَدَنيّةٌ	
٩٠	٣٣	الأحزابُ	٧٣	مَدَنيّةٌ	
٩١	٦٠	المُمتَحَنةُ	١٣	مَدَنيّةٌ	

تَرتيبُ تَنزيلِ السُّوَرِ (٥)

تَرتيبُ السُّوَرِ تَنزيلاً	مُصحَفاً	اسمُ السُّورةِ	عَدَدُ آياتها	مكانُ نُزولها	مُلاحـظاتٌ
٩٢	٤	النِّساءُ	١٧٦	مَدَنيَّةٌ	
٩٣	٩٩	الزَّلزَلةُ	٨	مَدَنيَّةٌ	
٩٤	٥٧	الحَديدُ	٢٩	مَدَنيَّةٌ	
٩٥	٤٧	مُحَمَّدٌ . القِتالُ	٣٨	مَدَنيَّةٌ	ما عَدا الآيةَ: ١٣ ففي الطَّريقِ أثناءَ الهِجرَةِ.
٩٦	١٣	الرَّعدُ	٤٣	مَدَنيَّةٌ	
٩٧	٥٥	الرَّحمانُ	٧٨	مَدَنيَّةٌ	
٩٨	٧٦	الإنسانُ . الدَّهرُ . هَل أتى	٣١	مَدَنيَّةٌ	
٩٩	٦٥	الطَّلاقُ	١٢	مَدَنيَّةٌ	
١٠٠	٩٨	البَيِّنَةُ . القَيِّمَةُ . لَمْ يَكُن	٨	مَدَنيَّةٌ	
١٠١	٥٩	الحَشْرُ	٢٤	مَدَنيَّةٌ	
١٠٢	٢٤	النُّورُ	٦٤	مَدَنيَّةٌ	
١٠٣	٢٢	الحَجُّ	٧٨	مَدَنيَّةٌ	عدا الآياتِ: ٥٢–٥٥ فبينَ مَكَّةَ والمَدينةِ.
١٠٤	٦٣	المُنافِقونَ	١١	مَدَنيَّةٌ	
١٠٥	٥٨	المُجادَلَةُ	٢٢	مَدَنيَّةٌ	
١٠٦	٤٩	الحُجُراتُ . الأخلاقُ	١٨	مَدَنيَّةٌ	
١٠٧	٦٦	التَّحريمُ	١٢	مَدَنيَّةٌ	
١٠٨	٦٤	التَّغابُنُ	١٨	مَدَنيَّةٌ	
١٠٩	٦١	الصَّفُّ	١٤	مَدَنيَّةٌ	
١١٠	٦٢	الجُمُعَةُ	١١	مَدَنيَّةٌ	
١١١	٤٨	الفَتْحُ	٢٩	مَدَنيَّةٌ	(في الطَّريقِ عِندَ الانصِرافِ مِن الحُدَيبيةِ).
١١٢	٥	المائدةُ . العُقودُ	١٢٠	مَدَنيَّةٌ	عدا الآيةَ: ٣ بـ 'عَرَفات' في حَجَّةِ الوَداعِ.
١١٣	٩	التَّوبَةُ . بَراءَةٌ . (وغَيرُهما)	١٢٩	مَدَنيَّةٌ	مَكِّيَّةُ الآيتَيْنِ: ١٢٨–١٢٩
١١٤	١١٠	النَّصرُ	٣	مِنًى	(في حَجَّةِ الوَداعِ)

الأُمَمُ المُتَّحدةُ في سُطورٍ

١- الأُمَمُ المُتَّحدةُ مؤسَّسةٌ لا سيادةَ لها في حَدِّ ذاتِها ، ولَكنَّها تَستَمدُّ سُلطتَها من الأُمَمِ الأعضاءِ ذاتِ السِّيادةِ.

٢- وَلَّدَت فكرةَ الأُمَمِ المُتَّحدةِ وَيَلاتُ الحَربَينِ العالَميَّتَينِ: الأولى والثّانيةِ ... واتَّخذَت الأُمَمُ المُتَّحدةُ اسمَها ممّا اقترحَهُ لها الرَّئيسُ الأمريكيُّ الرّاحلُ "فَرانكلِينْ رُوزفِلْت Franklin Roosevelt.

٣- وُلِدَت فكرةُ الأُمَمِ المُتَّحدةِ في ١٩٤٢/١/١م بتوقيعِ حُلَفاءِ الحَربِ العالميَّةِ الثّانيةِ لِميثاقِها المُكوَّنِ مِن إحدى عَشْرَةَ ومِئَةِ (١١١) مادَّةٍ ؛ وتَمَّ إعلانُ الهَيئَةِ الأُمَميَّةِ للعالَمِ سنةَ ١٩٤٥م.

٤- المَبادئُ الَّتي قامَت علَيها فكرةُ الأُمَمِ المُتَّحدةِ هيَ:

أ - تَساوي جَميعِ أعضائِها.

ب - إذعانُ جَميعِ الأعضاءِ لِتَنفيذِ التزاماتِهم ، بحُكمِ الميثاقِ ، بإخلاصٍ لِتَسويةِ خِلافٍ أيٍّ مِنهم معَ الأُمَمِ الأخرى بالوَسائلِ السِّلميَّةِ ؛ والامتناعِ عن التَّهديدِ بـ أو استخدامِ القُوَّةِ في عِلاقاتِهم الدَّوليَّةِ ؛ وأنْ يُقدِّموا كلَّ مُساعدةٍ للأُمَمِ المُتَّحدةِ في أيِّ إجراءٍ تَتَّخِذُهُ وفقاً للميثاقِ ؛ وأنْ يَمتنِعوا عن مُساعدةِ أيِّ دَولَةٍ تَتَّخذُ الأُمَمُ المُتَّحدةُ ضِدَّها إجراءً تَحفُّظيّاً أو جَبريّاً.

٥- الأبعاضُ المُكوِّنَةُ للأُمَمِ المُتَّحدةِ هيَ:

أ - المَجلِسُ الاقتِصاديُّ والاجتِماعيُّ.	Economical & Social Council
ب - الجَمعيَّةُ العامَّةُ.	General Assembly
ج - مَحكَمةُ العَدلِ الأُمَميَّةُ.	International Court of Justice
د - مَجلِسُ الأمنِ.	The Security Council
هـ - مَجلِسُ الوِصايةِ.	The Trusteeship Council
و - أمانةُ السِّرِّ (السِكرتاريَّةُ).	The Secretariat

٦- أنشأَ المَجلسُ الاقتصاديُّ والاجتماعيُّ لَجنَةَ حُقوقِ الإنسانِ في ١٩٤٦م ، ثُمَّ دَخلَ الإعلانُ العالَميُّ لِحُقوقِ الإنسانِ Universal Declaration of Human rights حَيِّزَ التَّنفيذِ في ١٩٤٨/١٢/١٠م.

٧- مُنظَّماتُ/وَكالاتُ الأُمَمِ المُتَّحدةِ (١٦):

* مُنظَّمةُ العَملِ الأُمَميَّةُ.	International Labour Organization
* مُنظَّمةُ الصِّحَّةِ العالَميَّةُ.	World Health Organization
* اتِّحادُ البَريدِ العالَميُّ.	Universal Post Union
* اتحادُ الاتصالاتِ السِّلكيَّةِ واللاّسلكيَّةِ الأُمَميُّ.	Internat'l Telecommunication Union
* المُنظَّمةُ العالَميَّةُ للأرصادِ الجَوِّيَّةِ.	World Meteorological Organization
* المُنظَّمةُ العالَميَّةُ للملكيَّةِ الفكريَّةِ.	World Intellectual Property Organization
* الاتفاقيَّةُ العامَّةُ على التَّعرفةِ والتِّجارةِ.	General Agreement on Tariffs & Trade
* مُنظَّمةُ الأغذيةِ والزِّراعةِ.	Food & Agriculture Organization
* الصُّندوقُ الأُمَميُّ للتَّنميةِ الزِّراعيَّةِ.	Internat'l fund for Agricultural Development
* البنكُ العالَميُّ (الدَّوليُّ).	World Bank
* صُندوقُ النَّقدِ الأُمَميُّ.	International Monetary Fund
* مُنظَّمةُ الأُمَمِ المُتَّحدةِ للتَّربيةِ والعُلومِ والثَّقافةِ.	UN Educat'l, Scientific & Cultural Org
* المُنظَّمةُ الأُمَميَّةُ للطَّيرانِ المَدَنيِّ.	International Civil Aviation Organization
* المُنظَّمةُ الأُمَميَّةُ للملاحةِ البَحريَّةِ.	International Maritime Organization
* الوَكالةُ الأُمَميَّةُ للطّاقةِ الذَّرِّيَّةِ.	International Atomic Energy Agency
* مُنظَّمةُ الأُمَمِ المُتَّحدةِ للتَّنميةِ الصِّناعيَّةِ.	UN Industrial Development Organization

حاشيةٌ: مِمّا شاعَ خَطَأً في اللُّغةِ ، لدرَجةِ الرُّسوخِ ، استعمالُ كَلمةِ < دَوْليٌّ > أو < دُوَليٌّ > في التَّعبيرِ عن مَعنى < أُمَميٌّ >! فالمنظَّمةُ أو الاتحادُ إنَّما يكونُ بينَ مجموعِ الأُمَمِ الأعضاءِ ، فهوَ مِن ثَمَّ "أُمَميٌّ" ؛ أمّا كَلمةُ < دَوْلةٍ > (المنسوبُ إلَيها دَوْليٌّ) فمعناها في الفُصحى "الدَّوْرةُ" ، ومِنها الجُملةُ: «الأيامُ دُوَلٌ» ؛ أيْ: دَوَارةٌ (بينَ النَّاسِ) ؛ وتُستعمَلُ "دَوْلةٌ" استعمالاً استِعارياً للتَّعبيرِ عن السُّلطةِ ، أو ما نُسمِّيهِ (خطأً) "حكومةٌ"!

القُرآنُ حُكمُ اللهِ للنّاسِ

أولاً:

القُرآنُ كَلامُ اللهِ (سُبحانَهُ وتَعالى) ، والدَّليلُ على ذَلكَ أوجهُ الإعجازِ المُتعدِّدةِ فيهِ ، ممّا لا يَجتمعُ حتّى للعُصبةِ من عَباقرةِ البَشرِ الإتيانُ بمثلِهِ مُتظاهرةً ، بما تَحدّى القُرآنُ فيهِ بنَصِّ الآياتِ الآتيةِ ؛ وذلكَ ليُبلغَهُ إلى النّاسِ رَسولٌ من اللهِ أُمِّيُّ القِراءَةِ والكتابةِ ؛ أُمِّيُّ العِلمِ بالكتبِ السَّماويَّةِ السّابقةِ آنئذٍ.

١- *وَما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِيْنِكَ ؛ إذاً لارْتابَ الْمُبْطِلُوْنَ.* [العَنكَبوتُ: ٤٨]

٢- *وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ؛ ما كُنْتَ تَدْرِي ما الْكِتابُ وَلا الإيْمانُ ، وَلَكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا ؛ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ.* [الشُّورَى: ٥٢]

٣- *أَمْ يَقُوْلُوْنَ تَقَوَّلَهُ! بَلْ لا يُؤْمِنُوْنَ ؛ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيْثٍ مِثْلِهِ إِنْ كانُوا صادِقِيْنَ!* [الطُّورُ: ٣٣-٣٤]

٤- *أَمْ يَقُوْلُوْنَ: افْتَراهُ! قُلْ: «فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ ، وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِيْنَ» ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيْبُوا لَكُمْ فاعْلَمُوا أَنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ، وَأَنْ لا إِلاهَ إِلاّ هُوَ ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُوْنَ؟* [هُودُ: ١٣-١٤]

٥- *وَما كانَ هَذا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُوْنِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ تَصْدِيْقَ الَّذي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَتَفْصِيْلَ الْكِتابِ ، لا رَيْبَ فِيْهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِيْنَ. أَمْ يَقُوْلُوْنَ: افْتَراهُ! قُلْ: «فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ ، وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِيْنَ».* [يونُسُ: ٣٧-٣٨]

٦- *وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمّا نَزَّلْنا عَلَى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وَادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِيْنَ.* [البَقرةُ: ٢٣]

٧- *قُلْ: «لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذا الْقُرْآنِ لا يَأْتُوْنَ بِمِثْلِهِ ، وَلَوْ كانَ*

بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيْراً»! [الإسراء: ٨٨]

ثانياً:

والقُرآنُ الكريمُ هوَ مَصدَرُ التَّشريعِ والتَّقنينِ الأوَّلُ؛ وكلُّ مَفهومٍ فيه أو تَصريحٍ إنَّما هوَ ليُقرِّرَ واقعاً أو حَقيقةً؛ أو يأمُرُ بـ أو يَنهَى عن إتيانِ عَملٍ؛ أو هوَ مثالٌ للاقتداءِ بهِ و/أو القِياسِ علَيهِ؛ أو لاستِنباطِ حَقيقةٍ أو حُكمٍ منهُ.

وصَحيحُ حَديثِ رَسولِ اللهِ (ﷺ) هوَ المَصدَرُ الثَّاني؛ يُفَصِّلُ بعضَ ما جاءَ مُجمَلاً في القُرآنِ؛ أي ما يَتطرَّقُ إلَيهِ الاستِفسارُ، وتُنتَظرُ علَيهِ الإجابةُ قَبلَ أنْ يَكونَ مُمكناً للإنسانِ المؤمنِ تَطبيقُه أو وضعُه مَوضعَ التَّنفيذِ. ولَيسَ عن قُصورٍ في القُرآنِ، حاشا لله، أنْ يَغفلَ التَّصريحَ ببعضِ الحقائقِ، أو جَزمَ وحَبكَ الفَتوَى في بعضِ القَضايا؛ بَلْ هيَ الحِكمةُ الَّتي نَعي مِن أطرافِها:

- عَدمُ مُعارضةِ ومُصادمةِ الفكرِ الإنسانيِّ في أيِّ حِقبةٍ زَمنيَّةٍ يَتفاوَتُ العِلمُ فِيما بَينَها قَليلاً أو كَثيراً.
- تَرْكُ المجالِ لظُروفِ الأُمَمِ والشُّعوبِ لوَضعِ التَّفاصيلِ الأنسبِ لحياتِها.

١- وَأَطِيْعُوا اللّهَ وَالرَّسُوْلَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَ. [آلُ عمرانَ: ١٣٢]

٢- لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ؛ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيْدُ. [المُمتَحنةُ: ٦]

٣- فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيْهِ فَقَتَلَهُ ، فَأَصْبَحَ مِنَ الْخاسِرِيْنَ ؛ فَبَعَثَ اللّهُ غُراباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوارِي سَوْءَةَ أَخِيْهِ. قالَ: «يا وَيْلَتَى! أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُوْنَ مِثْلَ هَذا الْغُرابِ ، فَأُوارِيَ سَوْءَةَ أَخِي؟!» ، فَأَصْبَحَ مِنَ النّادِمِيْنَ. [المائدةُ: ٣٠-٣١]

٤- لَوْ أَنْزَلْنا هَذا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ! وَتِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُوْنَ. [الحَشْرُ: ٢١]

ثالثاً:

والقُرآنُ نَزلَ بلُغةٍ عَربيَّةٍ مُبْيْنةٍ ، عَدا عَددٍ من الأسماءِ غَيرِ العربيَّةِ ، يُخاطِبُ العَقلَ ، والسَّمْعَ ، والبَصرَ ؛ ووِفقاً لفطرةِ الكَوْنِ أجمعَ ؛ فلا يَحولُ بَعدَهُما (اللُّغةُ والعَقلُ) حائلٌ عن قارئٍ مُتدبِّرٍ فَهمَ القُرآنَ وفِقهَهُ ، لِمَن أذِنَ اللهُ لهُ ، خَلا استِثناءاتٍ مَحدودةٍ تتطلَّبُ الاستعانةَ بمَصدَرٍ آخرٍ (صَحيحُ السِّيرةِ) ؛ وأُخرى (آياتٌ مُتشابِهاتٌ ؛ وفواتِحُ السُّوَرِ) اختَصَّ اللهُ العَزيزُ نَفسَهُ بعلمِها. ذَلِكَ تَصديقاً لقَولِهِ وحُكمِهِ في أنْ يَقومَ القُرآنُ لـ ، ويوافِقَ كلَّ مكانٍ وزَمانٍ ؛ وهوَ ما لا تَنزيلَ بَعدَهُ.

١- *إِنّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ.* [الزُّخرُفُ: ٣]

٢- *وَكَذَلِكَ أَنْزَلْناهُ حُكْماً عَرَبيّاً ؛ وَلَإِن اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا واقٍ!* [الرَّعدُ: ٣٧]

٣- *قُلْ: «لا أَقُوْلُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللهِ ، وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ، وَلا أَقُوْلُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ؛ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاّ ما يُوْحَى إِلَيَّ». قُلْ: «هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيْرُ؟ أَفَلا تَتَفَكَّرُوْنَ؟!».* [الأنعامُ: ٥٠]

٤- *وَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِيْنَ لا يُؤْمِنُوْنَ بِالآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوْراً ؛ وَجَعَلْنا عَلَى قُلُوْبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوْهُ ، وَفِي آذانِهِمْ وَقْراً ؛ وَإِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوا عَلَى أَدْبارِهِمْ نُفُوْراً!* [الإسراءُ: ٤٥-٤٦]

٥- *هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ ، وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ ؛ فَأَمّا الَّذِيْنَ فِي قُلُوْبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُوْنَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيْلِهِ ، وَما يَعْلَمُ تَأْوِيْلَهُ إِلاّ اللهُ. وَالرّاسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ يَقُوْلُوْنَ: «آمَنّا بِهِ ؛ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا» ؛ وَما يَذَّكَّرُ إِلاّ أُولُوا الأَلْبابِ.* [آلُ عمرانَ: ٧]

٦- *سَنُرِيْهِمْ آياتِنا فِي الآفاقِ ، وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ؛ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيْدٌ؟!* [فُصِّلَت: ٥٣]

وهكذا ، فمفاهيمُ حُقوقِ الإنسانِ الفطريَّةِ ممّا أعلَنَتهُ الأُمَمُ المُتَّحدةُ مُحتَواةٌ بكامِلِها بَينَ دَفَّتي

القُرآنِ الكريمِ ؛ وإنْ كانَ عَددٌ منها غَيرُ مُباشرٍ ، كما أسلَفنا ، ذَلكَ لأنَّ القُرآنَ لَيسَ بكتابِ قانونٍ ، ولا بلائحَةٍ تَنفيذيَّةٍ ؛ إنَّما هوَ مَنهَجٌ تَعليميٌّ يُقدِّمُ القاعدةَ ، وهَدَفُهُ النِّهائيٌّ هوَ التزامُ النَّاسِ بهَذا المَنهجِ عَقيدةً وتَطبيقاً ، دونَ تَخويلِ البَشَرِ أيَّ سُلطانٍ انفراديٍّ لأحدهما على الآخَرِ خلافاً لما نَصَّ علَيهِ فيما يَتعلَّقُ بحُقوقِهم فيما بَينَهُم ؛ أو دَفعِ أحدِهِم لِمُنكَرٍ بيِّنٍ يراهُ يَمَسُّ حَقَّ غَيرِه ، وبأُسلوبِ القُرآنِ (الحُجُراتُ: ٩).

والقُرآنُ إذْ يُعلِنُ ، فيما يُعلِنُ ، حُقوقَ الإنسانِ إنَّما يَدعَمُ تَطبيقَها أوَّلاً بزَرعِ الوازِعِ الرُّوحيِّ في النُّفوسِ ... الشَّيءُ الَّذي يَفتقِدُه بالطَّبعِ إعلانُ الأُمَمِ المُتَّحدةِ!

١

يُولدُ جَميعُ البشرِ أحراراً ومُتساوينَ في الكرامةِ والحُقوقِ. وهمْ مَوهوبونَ العَقلَ والضَّميرَ ، ويَنبغي أنْ يَتصرَّفَوا بروحِ الإخاءِ أحدُهم تجاهَ الآخرِ.

All human beings are born free and equal in dignity and rights. They are endowed with reason and conscience and should act towards one another in a spirit of brotherhood.

عناصرُها:

أ - ميلادُ الإنسانِ حُرّاً.

ب - تَساوي البَشرِ في الكرامةِ والحُقوقِ.

جـ - مَوهوبيَّةُ الإنسانِ للعقلِ والضَّميرِ.

د - وُجُوبُ التَّعاملِ الأخَويِّ بَينَ النّاسِ.

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

١/أ/١ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ، ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ، ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ: «اُسْجُدُوا لآدَمَ» فَسَجَدُوا إلاَّ "إبْلِيسَ" لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ. [الأعْرافُ: ١١]

الشَّرْحُ:

ولَقد خَلقناكُم ، نحنُ اللهُ ، بخَلقِ أبيكُم الأوَّلِ "آدمَ" (علَيهِ السَّلامُ) ، ثُمَّ أعطيناكُم صورتَكم حينَ صَوَّرناهُ ، ثُمَّ قُلنا للملائكةِ: «اُسجُدوا لهُ إذا نَفَخْتُ فيهِ مِن رُوحي» ، فسَجدوا لهُ جَميعاً إلاَّ الشَّيطانَ "إبليسَ" لم يَسجدْ استكباراً.

تَعْقيبٌ:

الرّابطةُ بينَ آدمَ وذُريَّتِه في صيغةِ الجمعِ لكلٍّ مِن الخَلقِ والتَّصويرِ هيَ في تكرُّرِ هَذَينِ الحَدَثَيْنِ معَ كلِّ إنسانٍ يَأتي إلى الحياةِ بدَليلِ قَولِه (تعالَى): *يا أيُّها الإنْسانُ ، ما*

غرّكَ بربِّكَ الكَريمِ ؛ الّذيْ خَلَقَكَ فَسَوّاكَ فَعَدَلَكَ ؛ في أيِّ صُوْرَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ ؟!
(الانفطار: ٦-٨). فإنْ كانَ البَشرُ وَرثوا جميعُهم < الخَلقَ > ثُمَّ < التّصويرَ > عن أبيهِم آدمَ فقد وَرثوا عنهُ قَطعاً الحُرِّيَةَ ميلاداً فيما وَرثوا!

١/أ/٢ ومن الآياتِ الكريمةِ الّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ ميلادِ الإنسانِ حُرّاً:
الزُّمَرُ: ٦ ؛ الحُجُراتُ: ١٣.

١/ب/١ ياأَيُّها النّاسُ ، إنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذكَرٍ وأُنْثَى ، وجَعَلْناكُمْ شعُوباً وقَبائِلَ لِتَعارَفُوا ؛ إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقاكُمْ ، إنَّ اللهَ عَليمٌ خَبيرٌ.
[الحُجُراتُ:١٣]

الشَّرْحُ:

يا أيُّها النّاسُ ، لقد خَلقناكُم جَميعاً نَسْلاً من زَوجَينِ اثنَينِ فقط ، ذكرٍ وأُنثى ، وشَعَّبْناكم وفرَّعناكم قَبائلَ ليتعرَّفَ بعضُكم ببعضٍ. إنَّ أكثرَكم كَرَماً وكَرامةً عندَ اللهِ مَن هوَ أكثرُكم اجتناباً لحُرُماتِهِ تحاشياً لنِقْمتِهِ ، وإنَّه لَهوَ العليمُ بذَلِكَ ، الخبيرُ بعِبادِهِ.

تَعْقيبٌ:

يُعلنُ اللهُ (تعالى) للنّاسِ أجمعينَ بأنَّه خَلَقَهم من نَفسِ الأبِ ونفسِ الأُمِّ (آدمَ وحوّاءَ) رُغْمَ اختلافِ دِمائِهِم وألوانِهِم وألسِنَتِهِم وعقائدِهِم وغَيرِها ، فهم مِن ثَمَّ مُتساوونَ فيما بَينَهم - أفراداً ، فُقراؤهم وأغنياؤهم ، أو شُعوباً وقبائلَ - في الكَرامةِ ككُلِّ شَيءٍ غَيرِها. أمّا الأكثرُ مِن غَيرِهِ مِنَ النّاسِ كَرَمَ مَنْزِلةٍ إنَّما هوَ أكثرُهم عندَ اللهِ تقوىً لحُرُماتِهِ ؛ وهوَ العَليمُ الخَبيرُ بذَلِكَ ، الّذي يَعودُ إليهِ وحده التَّمييزُ بَينَ النّاسِ في هَذا المعيارِ.

١/ب/٢ وإذْ قالَ إبْراهيمُ: «رَبِّ اجْعَلْ هَذا بَلَداً آمِناً ، وارْزُقْ أهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ ، مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ باللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ!» ؛ قالَ: «ومَنْ كَفَرَ ،

فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ ، وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. [البَقَرَة: ١٢٦]

الشَّرْحُ:

وحينَ قالَ إبراهيمُ داعياً ربَّهُ: «ربِّي اجعلْ هَذا الوادي المُجْدِبَ الَّذي أسكَنتُ فيهِ أُسرتي بَلَداً آمِناً مِن الخَوفِ ، وارزُقْ مَن آمنَ باللهِ واليَومِ الآخِرِ مِن أهلِهِ الَّذين سيَعْمُرونَهُ مِن الثَّمراتِ طعاماً وكِساءً وغيرَهُ» ؛ قالَ اللهُ: «وأرزُقُ كذَلكَ مَن كَفَرَ بِي وباليَومِ الآخِرِ منهُم ، فأُمَتِّعُهُ إطعاماً وإكْساءً وغَيرَهُ ، ثمَّ أُذيقُهُ في الآخِرَةِ عَذابَ النَّارِ بكُفرِهِ مَصيراً بائساً لهُ.

تَعْقيبٌ:

قَضَى اللهُ بأنْ تكونَ أَنْعُمُ الحياةِ الدُّنيا مُشاعةً ومَحقوقةً للجميعِ ، مَن سَعَى لها سعيَها المشروعَ ، بصَرفِ النَّظرِ عن اختلافِ العَقيدةِ بَينَ النَّاسِ ، الَّتي يرجِعُ للهِ وحدَهُ أمرُ المُحاسبةِ علَيها.

١/ب/٣ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ، وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً. [الإسْراء: ٧٠]

الشَّرْحُ:

ولَقد كرَّمْنا ، نحنُ اللهُ ، ذرِّيَّةَ آدمَ مِن البَشرِ بأكثرَ مِن كَيْفيةٍ ، وخلَقنا لَهم ما يَركَبونَه في ترحالِهِم بَرّاً وبَحراً ، وهَيَّأنا لَهم مِن الطِّيِّباتِ ما يَطْعَمونَه ، وفضَّلناهُم بدَرَجةٍ فائقةٍ علَى كثيرٍ مِمَّن خَلَقنا كالجِنِّ مَثلاً أنْ خَصَصْنا بَني آدمَ بخِلافتِنا في الأرضِ ، وعلَى الأنْعامِ بأنْ سخَّرناها لمتاعِهِم.

تَعْقيبٌ:

تُؤَكِّدُ الآيةُ الكريمةُ شُمولَ التَّكريمِ لبَني آدمَ كافةً دونَ تَمييزٍ. وحَمْلِهِم وإرزاقِهِم دونَ استثناءٍ هوَ دَلالةٌ علَى تساويهِم في الحُقوقِ.

١/ب/٤ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ تَساوي البَشرِ في الكرامةِ والحُقوق:
المائدةُ: ١٨ و ٢٧ ؛ الأنْعامُ: ٩٨ ؛ الرّومُ: ٢٠ ؛ فاطرٌ: ١٠ ؛ ص: ٢٦ ؛ فُصِّلَتْ: ١٠.

١/ج/١ وَما الْحَياةُ الدُّنْيا إلاّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ ؛ وَلَلدّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِيْنَ يَتَّقُوْنَ ، أَفَلا تَعْقِلُوْنَ؟ [الأنعامُ: ٣٢]

الشَّرْحُ:

لا تَعدو حياتُنا الدُّنيا ، مُقارَنَةً بالآخِرَةِ ، أنْ تكونَ لَعِباً ولَهواً في قِصَرِها ، وفي انقضاءِ أنعُمِها ، وفي مَحدوديّةِ مغانِمِها ... الخ ؛ أمّا الحياةُ الآخِرةُ فهيَ ، عِندَ كلِّ مَن يَتَّقي اللهَ ، أفضَلُ من الدُّنيا ؛ أوَلَستُم بالعُقلاءِ؟!

تَعْقيبٌ:

من مُشتمَلاتِ تَقوى اللهِ إعمالُ الإنسانِ لضميرِه ، والآيةُ تَتضمَّنُ مَوهوبيَّةَ للنّاسِ المدعوينَ جَميعُهم لالتزامِ التَّقوى لِما وُهِبوا من عَقلٍ مأمورينَ بإعمالِه. يتأكَّدُ هَذا المعنى ويتَّضِحُ أكثرَ في آيةِ الحجِّ-٣٢: *ذَلِكَ ، وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللَّهِ فَإنَّها مِنْ تَقْوى القُلُوْبِ.*

١/ج/٢ قُلْ: «هُوَ الَّذِيْ أَنْشَأَكُمْ ، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصارَ وَالأَفْئِدَةَ» ؛ قَلِيْلاً ما تَشْكُرُوْنَ! [المُلْكُ: ٢٣]

الشَّرْحُ:

قُلْ يا مُحمَّدُ /أيُّها المؤمنُ: «اللهُ هوَ الَّذي خلقَكم أيُّها النّاسُ وجَعلَ لكُم حاسَّتَيْ السَّمْعَ والبَصرَ ، وجَعلَ لكُم العُقولَ» ، ومعَ ذَلكَ قَليلاً ما تَشكرونَ لي تلكَ النِّعمِ.

تعقيبٌ:

الفؤادُ لُغةً هوَ العَقلُ أكثرُ منهُ القلبُ ، ولِهَذا المعنَى أشارتْ كلُّ آياتِ القرآنِ الَّتي تناولتْ لفظي الفُؤادِ والأفئدة (مِثالٌ: القَصَصُ: ١٠).

١/ج/٣ وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلاّ رِجالاً نُوْحِي إِلَيْهِمْ ، فَاسْأَلُوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُوْنَ ، بِالْبَيِّنات وَالزُّبُرِ ؛ وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ، وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُوْنَ [النَّحْل: ٤٣-٤٤]

الشَّرْحُ:

ولَمْ نُرسِلْ مِن قبلِكَ يا مُحمَّدُ سِوى رِجالٍ مِن البَشرِ نُوحي إِلَيهِم رِسالاتِنا – فاسألوا أيُّها النّاسُ مَن هُم مَلمُّونَ بكتبِ الله إِنْ كُنتم لا تَعلَمونَ عنها وعمَّن أرسلناهُم بها – بالحقائقِ البائنةِ والكتبِ المُقدَّسةِ ؛ وأنتَ يا مُحمَّدُ أنْزلنا إِليكَ القُرآنَ لتبيِّنَ للنّاسِ ما أنزلناهُ إِليهِم ، سابقاً ولاحقاً ، ولعلَّهم يُعْمِلونَ عُقولَهم بالتفكُّرِ فيما أنْزلنا.

تعقيبٌ:

النّاسُ يُمكنُهم التَّفكُّرُ ... تقريرٌ بِمَوهوبيَّتِهِم العَقلَ – حقيقةٌ ممّا تَستطِعُ بهِ الآيةُ.

١/ج/٤ ومِنَ الآياتِ الكريمةِ العديدةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مفهومَ إيهابِ الإنسانِ للعقلِ والضَّميرِ: الْبَقَرَةُ: ٧٥ ؛ النِّساءُ: ١٢٩ ؛ الرُّومُ: ٨ و ٢٤ ؛ يس: ٦٢

١/د/١ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ؛ ادْفَعْ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذا الَّذِيْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيْمٌ! [فُصِّلَتْ: ٣٤]

الشَّرْحُ:

الفِعلُ الحَسَنُ ، والفِعلُ السَّيِّءُ لَيسا مُتساوِيَين ؛ فقَدِّمْ لأُمورِكَ ورُدَّ عنها بالَّذي هوَ أحسنُ مِن غيرِه مِن التَّصاريفِ ، حينَئذٍ ، خاصَّةً معَ الصَّبرِ كما يُفهم مِن الآيةِ التّاليةِ مُباشَرةً ، تجدُ الَّذي تصرَّفتَ معَه بالَّتي هيَ أحسنُ ، وهوَ بينَكَ وبينَه عداوةٌ ، كأنَّه مُنحازٌ ومُوالٍ لَصيقٌ لكَ نَتيجةً لتصرُّفِكَ معَه بتِلكَ الكَيفيَّةِ.

١/د/٢ وَقُلْ لِعِبادِي يَقُوْلُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ؛ إِنَّ الشَّيْطانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ ؛

إنَّ الشيْطانَ كانَ لِلإنْسانِ عَدُوّاً مُبيناً. [الإسْراءُ: ٥٣]

الشَّرْحُ:

قُلْ يا مُحمَّدُ /أيُّها المؤمنُ للعبادِ ، كلِّ النّاسِ ، بالتَّخاطُبِ فيما بَينَهُم بالحَسَنِ من القَوْلِ ، لأنَّ الشَّيطانَ يتوسطُ بَينَهم ، في لفظِ القَولِ ، مُثيراً شَحناءَهم ، ذَلِكَ لأنَّ الشَّيطانَ عَدُوٌّ بائنٌ وعلَنيٌّ لبَني آدمَ.

١/د/٣ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً: كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ، أَصْلُها ثابِتٌ وَفَرْعُها فِي السَّماءِ ، تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها ؛ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثالَ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. [إبْراهيمُ: ٢٤-٢٥]

الشَّرْحُ:

ألمْ ترَ كيفَ قدَّمَ اللهُ مثالاً للكلمة الطَّيِّبةِ ، يتخاطبُ بها النّاسُ ، بالشَّجَرةِ الطَّيِّبةِ ثابتةِ الجُذورِ وتبلغُ فُروعُها السَّماءَ عُلوّاً ، تَطرَحُ ثمارَها كلَّ موسمٍ بإذنِ ربِّها؟ ويسوقُ اللهُ الأمثالَ للنّاسِ على أملِ أنْ يتذكَّروا مَرمى ومبلغَ ما يُوعَظونَ به.

١/د/٤ والآياتُ الكريمةُ الَّتي تحُضُّ أيضاً على شكلٍ أو آخرٍ من أشكالِ التّعامُلِ الأخَويِّ بين النّاسِ هيَ بالعشراتِ في القُرآنِ الكريمِ ؛ منها:

البَقَرةُ: ٨٣ و ١٧٨ ؛ آلُ عِمْرانَ: ١٣٤ ؛ النِّساءُ: ٨٦ و ١١٤ ؛ الأعْرافُ: ١٩٩ ؛ طه: ٤٤ ؛ الحُجُراتُ: ١٠ ؛ الشُّورَى: ٤٠.

٢

كلُّ فَردٍ مُخَوَّلٌ جَميعَ الحُقوقِ والحُرِّيّاتِ المُبَيَّنةِ في هذا الإعلانِ دونَ تمييزٍ من أيِّ نَوْعٍ كالعُنصُرِ ، أو اللَّوْنِ ، أو الجِنسِ (ذكر/أنثى) ، أو اللُّغةِ ، أو الدِّينِ ، أو الرَّأيِ السِّياسيِّ أو غَيرِه ، أو الأصلِ القَوْميِّ أو الاجتماعيِّ ، أو المِلْكِ ، أو الميلادِ ، أو وضْعٍ آخرٍ. زِدْ على ذَلِكَ ، يَنبغي أنْ لا يَقومَ تمييزٌ على أساسٍ من الأوْضاعِ السِّياسيَّةِ ، أو السِّياديَّةِ ، أو العالَميَّةِ للقُطْرِ أو الأراضي الَّتي يَنْتمي إليها الفردُ ، سواءٌ كانتْ مُستقلةً ، مُوصىً علَيها ، غَيرَ مَحكومةٍ بذاتِها ، و تحتَ أيِّ تَحديدٍ آخرٍ من السِّيادة.

Everyone is entitled to all the rights and freedoms set forth in this Declaration, without distinction of any kind, such as race, colour, sex, language, religion, political or other opinion, national or social origin, property, birth, or other status. Furthermore, no distinction shall be made on the basis of the political, jurisdictional or international status of the country or territory to which a person belongs, whether it be independent, trust, non-selfgoverning or under any other limitation of sovereignty.

عُنصُراها:

أ – مَكْفوليَّةُ مَجموعةِ الحُقوقِ المُعلَنةِ لكلِّ النّاسِ.

ب – لا تَمييزَ بينَ النّاسِ على أساسِ المَوْطِنِ.

٢/أ تَقديمٌ:

للقُرآنِ الكريمِ تَحفُّظٌ على المُساواةِ التّامَّةِ بينَ الذّكرِ والأُنثى يَمَسُّ الموادَّ: السّابعةَ ؛ السّادسةَ عَشْرَةَ-أ ؛ الثّالثةَ والعشرينَ-أ و "ب" ؛ السّادسةَ والعشرينَ-أ من إعلانِ الأُممِ المتَّحدةِ ، ولنا في ذَلِكَ التعليقُ التالي:

يُقرُّ القُرآنُ تَساوي البَشرِ من الجنسِ الواحد: الذُّكورِ أو الإناثِ ، في الكرامةِ والحُقوقِ والحُرِّيات. والأمرُ نفسُهُ قائمٌ بينَ أفرادِ الجنسَيْنِ ، الذُّكورِ والإناثِ ، في مُحصلَّةِ الحُقوقِ والواجباتِ معاً. بمعنى أنَّ واجباتِ المرأةِ في البُنيانِ الاجتماعيِّ تَقلُ عَمّا هيَ علَيهِ للرَّجلِ ، في شَرعِ القُرآنِ ، فتَتحجَّمُ تبعاً لها حُقوقُها ليتحقّقَ التَّساوي. أبرزُ تلكَ الأدوارِ/الواجباتِ واجبُ الإنفاقِ ؛ فالقُرآنُ يُصدِّرُ الرَّجلَ له في عقدِ الزَّواجِ (النِّساءُ: ٢٤) ؛ وخلالَ الحياةِ الزَّوجيَّةِ (النِّساءُ: ٣٤) ؛ وحينَ الطَّلاقِ (الأحزابُ: ٤٩) بالمَعروفِ ؛ وفي دائرةِ القُرْبَى (النُّورُ: ٦١) ؛ ومِن هُنا كانَ من العَدلِ أنْ يكونَ لهُ ضِعْفُ نَصيبِ المرأةِ في الميراث. ثانيهُما ، أنَّ للرِّجالِ أمرُ القيادةِ والتَّوجيهِ دونَ النِّساءِ ما أمكنَ كنتيجةٍ للتَّقنينِ الأوَّلِ ، الإنفاقِ ، زائداً ما فضَّلَ اللهُ به الرِّجالَ أداءً عُضوياً (فسيولوجيّاً) على النِّساءِ ؛ فالتَّركيبةُ العُضويَّةُ للمرأةِ بَدنيّاً ، وذِهنيّاً ، وعَصبيّاً /نَفسيّاً يُجزِمُ أيُّ مُتخصصٍّ دَقيقٍ وصادقٍ بوُجودِ تَفاوتٍ فيها لصالحِ الرَّجلِ ، وذلكَ إكمالاً للازدواجيةِ ، أيْ لِزومَ سَيرِ الحياةِ بالزَّوجَينِ معاً ؛ ولو أنَّ الجنسَينِ كانا مُتماثلَينِ في كلِّ شيءٍ لَما كانَ هُناك حاجةٌ مَنطقيّاً للحياةِ بالزَّوجَينِ!

هٰذا لايَنفي أنَّ المرأةَ نصفُ المُجتمَعِ الإنسانيِّ ، ولٰكنّهُ النِّصفُ الثّاني في التَّرتيبِ ؛ فإنْ كانَ حَقيقةً أنَّ الطّائرَ لا يَطيرُ إلاّ بجناحَينِ ، غَيرَ أنَّ الجناحَينِ لَمْ يُوجَدا ليُرفرِفا في جانبٍ واحدٍ مِن جِسمِ الطّائرِ ، وإنَّما جَناحٌ في كلِّ جانبٍ ليطيرَ الطّائرُ! وصَحيحٌ أنَّ اليدَ الواحدةَ لا تُصفِّقُ ، أو أنَّ السّاقَ الواحدةَ لا تَسيرُ بصاحبِها ؛ ولٰكنْ هَل هُناك مَن يُنكرُ أنَّهُ لابدَّ وأنْ يكونَ لأحدِ الذِّراعَينِ أو السّاقَينِ تَفوُّقٌ على الآخرِ؟ وهيَ قاعدةٌ لا تَشذُّ عنها حتَّى أجنحةُ الطُّيورِ! والأمثلةُ على هٰذا التّكاملِ للازدواجِ عَديدةٌ في الحياة.

وهٰكذا ، فللرِّجالِ على النِّساءِ دَرجةُ تفوُّقٍ في كلِّ شيءٍ. هُنا قد تَرتفعُ أُلوفُ الأُلوفِ من الأصواتِ المُستنكرةِ بشهادةِ حالاتٍ قائمةٍ تُفيدُ العَكسَ على غَيرِ استثناءٍ! لهٰذا نوضِّحُ اللَّبسَ الدّاعي لذٰلكَ الاستنكارِ المبنيِّ على رؤَى الواقعِ فيما يلي:

كلُّ ما قد يتَّصفُ بهِ الرِّجالُ يتَّصفُ بهِ النِّساءُ ؛ حَقيقةٌ مَنطقيَّةٌ يَفرضُها قانونُ التَّوارُث.

فالمرأةُ من رجلٍ ، والرَّجلُ من امرأةٍ جاءَ ؛ ولَكنَّ السَّهمَ غيرُ مُستوٍ تماماً في أيِّ صفةٍ بذاتها للجنسَين. فلو أنَّنا أخذنا صفةً بعينها في البَشرِ ثُمَّ صنَّفنا كلَّ الرِّجالِ تنازُليّاً تَبعاً لدَرجةِ تفاوُتِهم فيها فوَجَدنا ، هَبْ ، أنَّهم إحدى عَشْرَةَ فئَةً ؛ وكذَلكَ فَعلنا لنفسِ الصِّفةِ بكلِّ النِّساءِ من البَشرِ: إحدى عَشْرَةَ فئةً. مُقارَنةُ فئاتِ الرِّجالِ بفئاتِ النِّساءِ ستُعطي فارقَ الدَّرجةِ الَّتي قالَ بها القُرآنُ الكريمُ في آيةِ البَقرة-٢٢٨ ؛ فنجدُ أنَّ رجالَ الفئةِ الأولى يَعلُونَ درجةً على نساءِ الفئةِ الأولى ؛ وهكذا في أيِّ فئةٍ حتَّى الأخيرة. من هُنا يَتَّضحُ أنَّ رجالَ الفئةِ الثَّانيةِ يَتساوونَ في دَرجةِ الصِّفةِ المُختارةِ بنساءِ الفئةِ الأولى ؛ ونساءُ الفئةِ الأولى يَعلونَ دَرجةً في تلكَ الصفةِ عن رجالِ الفئةِ الثَّالثةِ ، ودَرجتَينِ عن رجالِ الفئةِ الرَّابعةِ ... وهكذا. وهَذا هوَ سَبَبُ اللَّبسِ والاختلاف. من ثَمَّ ، فالتَّعاملُ الإنسانيُّ في مُجتمعٍ بَينَ الرَّجلِ والمرأةِ في غَيرِ أمرٍ مُحدَّدٍ يَخضعُ للقياسِ والتَّرجيحِ يَجبُ أنْ يَرعى التَّرتيبَ: الرَّجلُ أوَّلاً ، والمرأةُ ثانياً ؛ وهكذا كانَ تَرتيبُ خَلقِهما!

انطلاقاً من هَذا ، إذا توفَّرتْ فُرصةٌ واحدةٌ فقط للتَّعلُّمِ أو للاستئجارِ (العملِ بأجرٍ) ، مثلاً من حَقِّ الإنسانِ في العملِ والتَّعلُّمِ ، أمامَ رَجلٍ وامرأةٍ ، ولَم يكنْ لأيٍّ منهما على الآخرِ وَجهٌ تَرجيحيٌّ يُخوِّلُه نَيْلَ تلكَ الفُرصةِ من تَفوُّقٍ أو استحقاقٍ ذهنيٍّ أو صحِّيٍّ أو مَعيشيٍّ وغيرِها ، فللرَّجلِ الأولويَّةُ على المرأةِ. عدا ذَلكَ ، فقد كَفلَ القُرآنُ سائرَ الحُقوقِ والحُرِّياتِ الأُخرى سواءً للرِّجالِ والنِّساءِ في ظلِّ شُروطٍ قاعديَّةٍ مَحدودةٍ من حُرمةِ الزِّنى (الإسراءُ: ٣٢) ، والتزامِ السُّلوكِ العَفِّ في تطلُّعِ كلٍّ من الجنسَينِ الذَّكرِ والأُنثى للآخرِ (النُّورُ: ٣٠-٣١) ، ثُمَّ في احتشامِ المرأةِ وستَرِ مَفاتنِها (النُّورُ: ٣١) ، و(الأَحْزابُ: ٥٩) ؛ وقد خَصَّ المرأةَ بالشَّرطِ الأخيرِ لأنَّ ابتزالَ المرأةِ في مَفاتنِها على مَرأى الرَّجلِ ، إلى جانبِ الإغراءِ ، فيه إهانةٌ لرجولتِه لا يُسقطُها عنهُ إلاّ نَيْلَ الرَّجلِ جنسيّاً من تلكَ المرأةِ ؛ بَينما العَكسُ ، وإنْ كانَ فيه أيضاً إغراءٌ للمرأةِ بالمُبتَزَلِ من مَفاتنِ الرَّجلِ ، إلاّ أنَّه يَخلو من تَوجيهِ إهانةٍ ، ذَلكَ لأنَّ للرَّجلِ أصلاً الدَّورُ الإيجابيُّ في العملِ الجنسيِّ ، وللمرأةِ السَّلبيُّ. فإنْ احتجَّ أحدٌ بأنَّ المواريثَ الاجتماعيَّةَ هيَ الَّتي وَلَّدتْ هَذا الشُّعورَ عندَ الرَّجلِ ، فالرَّدُّ على ذَلكَ بأنَّ هَذا هوَ ما يَنطبقُ أيضاً على ذُكورِ الكائناتِ الفطريَّةِ الرَّاقيةِ

كالدّيبيات والطّيور على الأقل ؛ فأيُّ ميراثٍ اجتماعيٍّ أثَّرَ فيها؟!

ولقد أشارَ القرآنُ الكريمُ إلى الفرقِ بينَ الذَّكرِ والأنثى بالحقِّ والحكمة في آياتٍ منها التّاليةُ:

- *أَفَأَصْفاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِيْنَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِناثاً؟! إِنَّكُمْ لَتَقُوْلُوْنَ قَوْلاً عَظِيْماً!* (الإسْراءُ: ٤٠)

- *إِذْ قالَت امْرَأَةُ عِمْرانَ: «رَبِّ ، إِنِّيْ نَذَرْتُ لَكَ ما فِيْ بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي ؛ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ!» ؛ فَلَمّا وَضَعَتْها قالَتْ: «رَبِّ ، إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ - وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى ؛ وَإِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ ؛ وَإِنِّي أُعِيْذُها بِكَ وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيْمِ!». فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُوْلٍ حَسَنٍ ، وَأَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً ، وَكَفَّلَها زَكَرِيّا ؛ كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً ، قالَ: «يا مَرْيَمُ ، أَنَّى لَكِ هَذا؟» ؛ قالَتْ: «هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ؛ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ».* (آلُ عِمْرانَ: ٣٥-٣٧)

- *الرِّجالُ قَوّامُوْنَ عَلَى النِّساءِ بِما فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَبِما أَنْفَقُوْا مِنْ أَمْوالِهِمْ. فَالصّالِحاتُ قانِتاتٌ حافِظاتٌ لِلْغَيْبِ بِما حَفِظَ اللَّهُ ؛ وَاللاتِي تَخافُوْنَ نُشُوْزَهُنَّ فَعِظُوْهُنَّ ، وَاهْجُرُوْهُنَّ فِيْ الْمَضاجِعِ ، وَاضْرِبُوْهُنَّ ؛ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوْا عَلَيْهِنَّ سَبِيْلاً ، إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيّاً كَبِيْراً.* (النِّساءُ: ٣٤)

- *أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى؟! تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيْزَى!* (النَّجْمُ: ٢١-٢٢)

- *أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ ، وَهُوَ فِي الْخِصامِ غَيْرُ مُبِيْنٍ؟!* (الزُّخْرُفُ:١٨)

- *وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيْمٌ ، يَتَوارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوْءِ ما بُشِّرَ بِهِ ؛ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُوْنٍ ، أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ؟ أَلا ساءَ ما يَحْكُمُوْنَ!* (النَّحْلُ: ٥٨-٥٩).

- *وَلا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ؛ لِلرِّجالِ نَصِيْبٌ مِمّا اكْتَسَبُوْا ، وَلِلنِّساءِ نَصِيْبٌ مِمّا اكْتَسَبْنَ ؛ وَاسْأَلُوْا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ، إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْماً.* (النِّساءُ:

٣٢).

تَعْقيبٌ:

ضيزَى: ناقصةٌ ؛ جائرةٌ. آيةُ الزُّخرفِ-١٨ تتحدثُ عن الإناثِ.

النُّصوصُ القُرآنيّةُ:

٢/أ/١ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ. [سَبَأ: ٢٨]

الشَّرْحُ:

وما أرسلناكَ يا مُحمَّدُ بالقُرآنِ ووَحْينا إلاَّ للنّاسِ دونَما استثناءٍ ، بَشيراً لهم بنِعْمِ الثَّوابِ ، ونَذيراً لهم من بِئْسِ العِقابِ.

تَعْقيبٌ:

القُرآنُ ، إنْ جازَ التَّمثيلُ ، دُستورٌ بشرائعَ وشعائرَ أُرسِلَ بها الرَّسولُ مَحمَّدٌ لكلِّ النّاسِ ليُؤمِنوا بها ؛ لَهم كلُّهم مِنها ما لَهم ، وعلَيهم كلُّهم مِنها ما علَيهم.

٢/أ/٢ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ؛ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا. وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ. [الزُّمَرُ: ٤١]

الشَّرْحُ:

إنّا ، اللهُ (عزَّ وجلَّ) ، وجِبْريلُ ، أنزلنا عليكَ القُرآنَ يا مُحمَّدُ للنّاسِ مَضمونُهُ هوَ الحَقُّ ، فمَن وصلَ به للرَّشادِ فهوَ المُستفيدُ ، ومَن ضَلَّ عن هُداهُ فنَفْسَه الخاسرُ. ولَيسَ مَوْكولٌ إليكَ أمرُ اهتدائهم للحَقِّ.

تَعْقيبٌ:

تنُصُّ الآيةُ الكريمةُ على أنَّ نُزولَ القُرآنِ ، بإحْقاقاتِه ومُوجَباتِه ، هوَ للنّاسِ دونَ تفْريقٍ. وأنَّ مَضمونَ الكتابِ ، القُرآنِ ، هوَ الحقُّ لهُم وعلَيهِم.

٢/أ/٣ ومن الآياتِ الكريمةِ الّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ مَكْفوليّةِ مَجموعةِ الحُقوقِ ، والواجباتِ القُرآنيةِ ، لكلِّ النّاس:
البَقَرَةُ: ١٨٧–١٨٨ ؛ النِّساءُ: ١٧٠ ؛ المائدَةُ: ١٨ ؛ النَّحلُ: ٤٤ ؛ ص: ٢٦ ؛ التَّكويرُ: ٢٧–٢٨ ؛ الأعْرافُ: ١٥٨ ؛ القَلَمُ: ٥٢.

٢/ب/١ قالَ مُوْسَى لِقَوْمِه: «اسْتَعِينُوا باللَّه وَاصبِرُوا ؛ إنَّ الأَرْضَ للّه يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِه ، والعاقِبَةُ لِلمُتَّقِيْنَ». [الأعْرافُ: ١٢٨]

الشَّرْحُ:

قالَ نَبيُّ اللهِ موسى لِبَني إسْرائيلَ: «اطلُبوا العَوْنَ من اللهِ (تَعالى) على دَرْءِ تَهديدِ فِرْعَوْنَ لَكُم بالتَّنكيلِ بعدَ هَزيمتهِ بآياتِ اللهِ (على يَدِ موسى في التَّحدِّي) ، واصْبِروا على حُكمِ اللهِ فيكُم ؛ فانَّ الأرضَ كُلَّها مِلْكٌ للهِ يُورِثُ اسْتيطانَها لِمَن يَشاءُ من عبادِه ، النّاسِ ، وأنَّ خاتمةَ الأُمورِ والرُّجحانَ يكونُ في النِّهايةِ للَّذينَ يَجتنبونَ مَعصيةَ اللهِ تَحاشياً لنِقمَتِه.

تَعْقيبٌ:

كانَ بنو إسرائيلَ (نَبيُّ اللهِ يَعقوبَ) في مِصرَ أقليَّةً غيرَ أصيلةٍ بدَليلِ قَوْلِه (تعالى) على لِسانِ فِرْعَوْنَ: *قالَ لِلْمَلأِ حَوْلَهُ: «إنَّ هَذا لَساحِرٌ عَلِيْمٌ يُرِيْدُ أنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أرْضِكُمْ بِسِحْرِه فَماذا تَأْمُرُوْنَ؟»*. (الشُّعَراءُ: ٣٤–٣٥). وقَوْلُه: *فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِيْنَ: «إنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُوْنَ ...»*. (الشُّعَراءُ: ٥٣–٥٤). ومعَ ذلكَ فسَوْقُ القُرآنِ القِصَّةَ للنّاسِ هوَ من قَبيلِ الوَعْظِ المُبَيِّنِ لرَفضِ مَبدأِ التَّمييزِ بينَ النّاسِ على أساسِ المَوْطِنِ ، بتَقْريرِ أيْلولةِ الوَطَنِ في النِّهايةِ ، على لِسانِ مُوسى ، لِمَن هوَ أكثرُ تَقْوى.

٢/ب/٢ يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا ، إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ. [العَنكَبوت: ٥٦]

الشَّرْحُ:

يا عِبادي ، مِن النّاسِ ، الَّذينَ آمَنوا بي إلاهاً واحِداً ، وبِملائكَتي وكُتُبي ورُسُلي واليَومِ الآخِرِ ، إنَّ أرضي الَّتي تَعيشونَ علَيها واسِعةٌ للمُقامِ في أيٍّ مِن أنحائِها إذا ما ضَيَّقَ بعضُكُم علَيكُم أنْ تَعبُدوني دونَ شَريكٍ.

تَعْقيبٌ:

يَأتي تَقْريرُ مِلكيَّةِ اللهِ للأرضِ هَذِهِ المَرَّةُ مُباشَرَةً بقَوْلِ اللهِ (تَعالى) ، ويَقتَرِنُ ذَلكَ بأُولى وحَقيقَةِ الحقائقِ وهيَ عُبوديَّةُ كلِّ النّاس لله ؛ خَلْقاً (يا عِبادِيَ) ومُمارسةً (فإيايَ فاعْبُدوني) ... فهل تَرَكَ ذَلكَ مِن مَجالٍ لِتمييزِ النّاسِ فيما بَيْنَهم على أساسِ المَوْطِنِ؟

٢/ب/٣ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ بُطلانِ التَّمييزِ بينَ النّاسِ على أساسِ المَوْطِنِ:

البَقَرَةُ: ١٤٢.

٣

كُلُّ فَرْدٍ لهُ الحَقُّ في الحياةِ ، وفي الحُرِّيةِ ، وفي أمنِهِ الشَّخْصيِّ.

Everyone has the right to life, liberty and security of person.

عناصرُها:

أ ـ استِحقاقُ الإنسانِ للحياةِ.

ب ـ استِحقاقُهُ للحُرِّيَّةِ.

ج ـ استِحقاقُهُ لأمنِهِ الشَّخصيِّ.

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

١/١/٣ فَانْطَلَقَا حتَّى إذا لَقِيا غُلاماً فقَتَلَهُ. قالَ: «أقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ! لَقَدْ جِئْتَ شيئاً نُكْراً». [الكَهْفُ: ٧٤]

الشَّرْحُ:

انطلَقَ نَبيُّ اللهِ موسَى ، تَبَعاً ، بصُحبةِ عَبدِ اللهِ الَّذي آتاهُ ربُّهُ رَحمةً مِن عندِه ، وعلَّمَه مِن لَدُنْه علماً ليتعلَّمَ مِنهُ موسَى ممَّا علَّمَه اللهُ ما يُرْشِدُه في الحياةِ ، فلمَّا الْتقَيا بغُلامٍ قَتَلَه عبدُ اللهِ ، فقالَ لهُ موسَى مُستنكِراً: «أقَتَلْتَ نَفْساً بَريئَةً مِن الذَّنْبِ بغَيرِ نَفْسٍ قَتَلَتْها! لقد فَعلتَ شَيئاً غيرَ مَقبولٍ».

تعقيبٌ:

الإشارةُ إلى الغُلامِ بـ "نَفْسٍ" تُؤَكِّدُ إحْقاقَ الآيةِ الحياةَ لأيِّ إنسانٍ دونَ تمييزٍ أو استِثناءٍ ومادام هوَ قد حَفِظَ نفسَ الحقِّ لغَيرِه ، دونَ تمييزٍ أيْضاً.

٢/١/٣ وإذا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ، بِأيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ. [التَّكويرُ: ٨-٩]

الشَّرْحُ:

مِن أحداثِ يَومِ البَعثِ ، حينَ تُعْلَمُ النُّفُوسُ ساعتَها بما قدَّمَتْ في دُنياها مِن عَملٍ ، أنْ تُسْأَلَ الوَليداتُ اللائي قُتِلْنَ حَيّاً ، وهوَ ما كانَ شائِعاً في البيئَةِ العربيَّةِ قَبلَ الإسلامِ ، عن ذَنْبِ قَتْلِهِنَّ.

تعقيبٌ:

سُؤالُ المَوْءودَةِ المُرادُ هُنا لَونٌ مِن البَلاغةِ اللُّغَويَّةِ القَصدُ منه استنكارُ حِرمانِهِنَّ مِن الحياةِ. والاستنكارُ يَعْني انْتِفاءَ المُبَرِّرِ ، أكانَ الفَقْرُ أمْ غَيرُه ، لحِرمانِ إنسانٍ مِن الحياةِ ، بَدْءاً مِن الوَلائدِ.

٣/أ/٣ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ استحقاقِ الإنسانِ للحياةِ:
الإسْراءُ: ٣٣ ؛ البَقَرَةُ: ١٧٩ و ١٩٥ ؛ الأنْعامُ: ١٥١ ؛ المائدَةُ: ٢٧-٢٨

٣/ب/١ وَإِذْ نادَى رَبُّكَ مُوْسَى: «أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَ ؛ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ، أَلا يَتَّقُوْنَ!». [الشُّعَراءُ: ١٠-١١]

فَأْتِيا فِرْعَوْنَ فَقُوْلا: «إِنَّا رَسُوْلُ رَبِّ الْعالَمِيْنَ ، أَنْ أَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ». [الشُّعَراءُ: ١٦-١٧]

الشَّرْحُ:

عندَ ما نادَى اللهُ سُبْحانَه موسَى مُكلِّماً مِن شاطِئِ الوادي الأيْمَنِ بجانبِ الطُّورِ ، أمَرَهُ أنْ يأتيَ هوَ وأخوهُ هارونَ إلى فِرْعَوْنَ وقَوْمِه الظَّالِمينَ بعَدَمِ تَقْواهُم ، المُستنكَرةِ ، لحُدودِ اللهِ.

فائْتيا ، يا موسَى وهارونُ ، إلى فِرْعَوْنَ شَخْصيّاً (باحتسابِهِ رأسُ البَغْيِ والطُّغيانِ) فقدِّما لهُ نَفسَيْكُما بأنَّكما مُرسَلانِ مِن رَبِّ الخَلْقِ أجمعينَ مأموراً أنْ يُطلِقَ معَكُما بَني إسرائيلَ أحراراً.

تعقيبٌ:

ما كانَ هَذا الأمرُ لفرْعَوْنَ بتَحرير بَني إسرائيلَ من استعباده لهم بنِعمَةٍ اختَصَّهم بها المَوْلى من دونِ العالَمينَ ، بدَليل قَوله (تعالى): *وَقالَت الْيَهودُ وَالنَّصارَى: «نَحْنُ أَبْناءُ اللَّه وَأَحِبَّاؤُهُ»! قُلْ: «فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنوبِكُمْ؟ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ؛ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ ، وَلِلَّه مُلْكُ السَّماواتِ والأَرْضِ وَما بَيْنَهُما ، وَإِلَيْهِ الْمَصيرُ».* (المائدَةُ: ١٨)

٣/ب/٢ ومِنَ الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ استِحقاقِ الإنسانِ للحُرِّيَّةِ: آلُ عِمرانَ: ٣٥.

٣/ج/١ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ، ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ. [التَّوْبَةُ: ٦]

الشَّرْحُ:

إذا طَلَبَ جِوارَكَ احتماءً بكَ أحدٌ مِن المُشْرِكينَ في عَقيدتِهم رَبّاً آخرَ معَ الله ، فاحْمِه حتَّى تُتاحُ لهُ فُرصةٌ أنْ يَعْلَمَ عن كلامِ الله (القُرآنِ) ، ثُمَّ أوصِلْه مَحَلَّ أمنِه وسلامَتِه. وذَلكَ التَّأمينُ – رُغْمَ الشِّركِ ، وهوَ ظُلمٌ لله عَظيمٌ – لأنَّ المُشْرِكينَ باللهِ رِجالٌ لا يَعْلَمونَ وَحْدانيَّةَ اللهِ وحقيقتِه.

تعقيبٌ:

يَأمُرُ الخالقُ في قُرآنه بضمانِ الأمنِ الشَّخصيِّ للفردِ مِن مُبْغِضي المُؤمنينَ. وبَغضاءُ المُشْرِكينَ تَنُصُّ علَيها سُورةُ التَّوْبَةِ في أكثرِ مِن آيةٍ ؛ منها: *كَيْفَ ؛ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً! يُرْضُونَكُم بِأَفْواهِهِمْ وَتَأْبى قُلُوبُهُمْ ، وَأَكْثَرُهُمْ فاسِقُونَ.* (التَّوْبَةُ: ٨).

والمعنَى: كيفَ يَكونُ للمُشركينَ عَهْدٌ وائْتمانٌ وهُم الَّذينَ إنْ يتَفوَّقوا علَيكم ، أيُّها المُؤمِنونَ ، لا يَرعَوا فيكم عَهداً قائِماً ولا أماناً لكم. يُرضونَكم بالكلامِ وترفُضُ

قُلُوبُهم هَذا الإرضاءَ ، وأكثرُهم ناقِضونَ للعَهدِ خارِجونَ عن تَقْوى اللهِ. والاستِفهامُ في بِدايةِ الآيةِ (٨) يُرادُ بهِ النَّفيُ والاستِبعادُ.

فإنْ كانَ تأمينُ المُشرِكِ الأعزَلِ هوَ ما يأمُرُ بهِ القُرآنُ ، فهَل وراءَ ذلِكَ إرساءٌ لحَقِّ الإنسانِ ، المُسالِمِ ، في أمْنِه الشَّخصيِّ مِن القُرآنِ؟

٣/ج/٢ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ استِحقاقِ الإنسانِ لأمنِهِ الشَّخصيِّ: المائِدَةُ: ٣٢ ؛ النِّساءُ: ٩٤.

٤

> لا يُمْسَكُ أحدٌ قَيْدَ العُبوديَّةِ أو السُّخْرَةِ ، فإنَّ العُبوديَّةَ وتجارةَ العبيدِ تَحْرُمُ في جميعِ أشكالِها.

> No one shall be held in slavery or servitude; slavery and the slave trade shall be prohibited in all their forms.

عُنصُراها:

أ - تَحريمُ الاستعبادِ وتِجارةِ العبيدِ.

ب - تَحريمُ السُّخْرَةِ.

١/٤ تَقديمٌ:

كَلمةُ < عَبْدٍ > في اللغةِ العربيَّةِ اسمٌ مُشتقٌ من المَصدَرِ: < العِبادَةِ > ؛ فالعَبْدُ هوَ مَن لهُ رَبٌّ يَعبدُهُ ، أو لا يَعبدُهُ ولَكنْ يُقرُّ لهُ بالرُّبوبيَّةِ ؛ وَمُؤَنَّثُهُ: < أَمَةٌ >. وعبدٌ تُجمَعُ على < عَبِيْدٍ > و < عِبادٍ >. ويُقالُ للعَبدِ (المَملوكِ) أيضاً < فَتىً > (وللأَمَةِ < فَتاةٌ >) ، و < مَمْلوكُ اليَمِيْنِ > (جَمْعُهُ: مَماليكُ الأَيْمانِ).

قد يُعَلَّلُ عدمُ تحريمِ القُرآنِ قَطْعاً لمبدأ استعبادِ البَشرِ بعضِهم للبَعضِ ، أنَّ الاستعبادَ كانَ شائعاً بَيْنَ أُممِ الارضِ كافَّةً تقريباً حينَ نُزولِ القُرآنِ ؛ مُتغلغلاً في العُقولِ بمناطيقَ مُتعدِّدةٍ ، ومِن ثَمَّ لَمْ يكُن من الحكمةِ الَّتي تُعنَى بمَصلحةِ البَشريَّةِ أنْ يُعْلَنَ في مثلِ ذَلكَ الزَّمانِ تحريمٌ قاطِعٌ للرِّقِّ وتجارتِهِ ؛ بَلْ ويَكفي القُرآنَ حكمةً أنَّ الإبلاغَ بهِ ذاتِهِ ، مَنهجاً ودُستوراً شاملاً أساسُهُ وحدانيَّةُ المَعبودِ ، بَدأَهُ رَسولُهُ ، المُوْحَى إليهِ ، سراً لتَفادي اصطدامٍ يَئِدُهُ في مَهدِهِ. ويُمكنُ تَصوُّرُ جُزءٍ فقط من كلِّ رَدِّ الفعلِ المتوقَّعِ ، لَوْ أنَّهُ كانَ ، أنْ نَعْلَمَ ما وقَعَ مِن حَرْبٍ ضَرُوسٍ بَيْنَ شمالِ الولاياتِ المُتَّحدَةِ وجَنوبِها (١٨٦١-١٨٦٥) حينَما أعلنَ رَئيسُها "أبْراهام لِنْكولْن" (١٨٠٩-١٨٦٥) وَثيقةَ تَحريرِ العبيدِ قطعاً ، وذَلِكَ

في أُمَّةٍ قد قطَعَتْ شَوْطاً أبعدَ على طريقِ التَمَدْيُنِ ، وفي زَمنٍ تأخَّرَ على نُزولِ القُرآنِ بأكثرَ من ١٢ قَرْناً.

ولمّا كانتْ مُمارسةُ الاستعبادِ مُنطويةٌ في أغلبِ الأحيانِ على مَنفعةٍ ماديَّةٍ أوَّلُ صُورِها هي الإنفاقُ على شراءِ الْمُسْتَرَقِّ (العبد) ، فإنَّه من الصَّعبِ قاعدةً ، بَلْ ومن غيرِ الحقِّ أنْ يُنزَعَ من نَفسٍ مالُها أو مِلْكُها، أو أنْ تُأمَرَ أمْراً بالتَّخلي عنهُ دونَ عوَضٍ كما نَصتَّ علَى ذَلكَ حُقوقُ الإنسانِ للأُممِ المتَّحدةِ في المادةِ ١٧-ب ؛ وحرصَ علَيهِ القُرآنُ ممّا تَنصُّ عليهِ آيتا ٣٦ و ٣٧ من سُورةِ مُحَمَّدٍ: ... *يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوالَكُمْ ؛ إِنْ يَسْأَلْكُمُوها فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا ، وَيُخْرِجْ أَضْغانَكُمْ.* لذَلكَ اتَّخذَ القُرآنُ سَبيلاً مُتنوِّعَةَ الأوجُهِ في القضاءِ على هَذهِ الْمُمارسةِ ، يَتمثَّلُ جُلُّ تلكَ الأوجُهِ في:-

١- خَلخَلةُ المبدأِ نفسهِ مِن جُذورهِ بفَرضِ وتَعميمِ عَقيدةِ العُبوديَّةِ ، في مُعظمِ سُورِ القُرآنِ ، مِن كلِّ البَشرِ للهِ الخالقِ الواحدِ أساساً للإسلامِ وللإيمانِ بما يتضمَّنُ بُطلانَ مَبدأِ استعبادِ البَشرِ بعضِهم للبعضِ ؛ فمَبدأ العُبوديَّةِ لا يَجتمعانِ في صَدرِ مؤمنٍ في آنٍ واحدٍ: إيمانُه بأنَّه ببشريَّته عبدٌ لله ؛ وأنَّ فُلاناً ، البَشريَّ ، عبدٌ لهُ!
٢- دَعوةُ الْمُلاّكِ حَضّاً على وتَرغيباً في إطلاقِ سراحِ العبيدِ.
٣- الإدماجُ الاجتماعيُّ لفئَةِ العبيدِ فيما بَينَ عامَّةِ النّاسِ.
٤- الحَطُّ والتَّنفيرُ من ، والذَّمُّ لفعلِ الاستعبادِ نفسهِ فالإتجارِ بالعبيدِ.
٥- جَعْلُ تحريرِ الْمُستَعبَدينَ أو إطلاقِ سراحِهم إجراءً جَزائياً لعَديدٍ من الأوزارِ غَيرِ الجِنائيَّةِ ، بَدَلاً عن العُقوبةِ الحِسيَّةِ ؛ ووَجْهاً من أوجُهِ العِبادَةِ والإحسانِ ؛ ضِداً تَماماً لما تعارفَت علَيهِ أُمَمٌ دَرَجَتْ على الاسترقاقِ جَزاءً لجُرُمٍ كالسَّرقةِ ، الَّتي يَجزي علَيها القُرآنُ بقطعِ اليَدِ معَ الحرِّيَّةِ كما نرى ذَلكَ في آياتِ يُوْسُفَ-٧٣ إلى ٧٥: *قالُوْا: «تاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِيْ الأَرْضِ وَما كُنّا سارِقِيْنَ!» ؛ قالُوْا: «فَما جَزاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كاذِبِيْنَ؟» ؛ قالُوْا: «جَزاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِيْ رَحْلِهِ فَهُوَ جَزاؤُهُ ؛ كَذَلِكَ نَجْزِي الظّالِمِيْنَ».*

فحينَ سُئِلَ المتَّهمونَ عَمّا يَقضونَ بهِ مِن جزاءٍ على سارقٍ ، أجابوا بأنَّ الجزاءَ يكونُ اتخاذَ السّارقِ نفسهِ عبداً للمسروقِ منهُ!

وأخيراً ، لَيسَ في القُرآنِ كلِّه نَصٌّ صَريحٌ أو ضِمنيٌّ يُشجِّعُ على الاستِعبادِ أو الإتجارِ في العبيدِ ، بَلْ وقد سَما بكلِّ المنافذِ الَّتي قد تُفضي إلى الإيقاعِ في الرِّقِ أو وَضَعَ لها الأحكامَ. مِن تلكَ المنافذِ: الحربُ والأسرُ ؛ الجزاءاتُ ؛ إنقاذُ نفسٍ مِن التَّهلُكةِ ؛ الدَّيْنُ والغرْمُ ... والأحرى ، بالبَغيِ والعُدوانِ.

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

١/أ/٤ إنَّ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ عِبادٌ أَمْثالُكُمْ ؛ فَادْعُوْهُمْ فَلْيَسْتَجِيْبُوْا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِيْنَ! [الأعْرافُ: ١٩٤]

مِن بَيانِ اللهِ لقضيَّةِ تَأْليهِ المُشركينَ مِن النّاسِ لعبادٍ لِلَّهِ مُتعدِّدينَ.

ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُوْلَ لِلنّاسِ: «كُوْنُوْا عِباداً لِي مِنْ دُوْنِ اللَّهِ» ؛ وَلَكِنْ: «كُوْنُوْا رَبّانِيِّيْنَ بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمُوْنَ الْكِتابَ ، وَبِما كُنْتُمْ تَدْرُسُوْنَ». [آلُ عِمْرانَ: ٧٩]

مِن بَيانِ اللهِ لقضيَّةِ تَأْليهِ بعضِ أهلِ الكتابِ لِرَسولِهِ عيسَى (عليهِ السّلامُ).

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيْحُ أَنْ يَكُوْنَ عَبْداً لِلَّهِ ، وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُوْنَ ؛ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيْعاً. [النِّساءُ: ١٧٢]

في مَعرِضِ تَوجيهِ اللهِ لأهلِ الكتابِ بعدَمِ الغُلُوِّ في الدِّينِ.

وَجَعَلُوْا لَهُ مِنْ عِبادِهِ جُزْءاً! إِنَّ الإِنْسانَ لَكَفُوْرٌ مُبِيْنٌ. [الزُّخْرُفُ: ١٥]

مِن رَدِّ اللهِ على المُشركينَ الزّاعمينَ بأنَّ مواليدَهُم من الإناثِ هُم بَناتُ الله!

إنْ تُعَذِّبْهُمْ فإنَّهُمْ عِبادُكَ ؛ وإنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فإنَّكَ أنْتَ العَزيزُ الحَكيمُ.
[المائدة:١١٨]

مِن شَهادةِ المَسيحِ في الآخرةِ أمامَ اللهِ في مَن اتَّخذوهُ إلاهاً.

قالَ الَّذينَ اسْتَكْبَروا: «إنّا كُلٌّ فيها ؛ إنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ العِبادِ».
[غافر: ٤٨]

مِن تحاجي المتبوعينَ والتّابعينَ في النارِ يومَ القيامة.

مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ ، وعادٍ ، وثَمُودَ ، والَّذينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ؛ وما اللهُ يُريدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ. [غافر: ٣١]

في نَصيحةِ المِصريِّ المؤمنِ لفرعَوْنَ وقومِهِ مُذكِّراً إيّاهم بما حلَّ بقومِ نُوحٍ ومَن بَعدِه الَّذينَ أهلكَهم اللهُ بكُفرِهم ، لا إرادةَ ظُلمِهم.

مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ ، ومَنْ أساءَ فَعَلَيْها ؛ وما رَبُّكَ بِظَلّامٍ لِلْعَبيدِ. [فُصِّلَتْ: ٤٦]

٢/أ/٤ فَلا اقْتَحَمَ العَقَبَةَ ، وما أدْراكَ ما العَقَبَةُ! فَكُّ رَقَبَةٍ. [البَلَد: ١١-١٣]

الشَّرْح:

ألا يندفعُ الإنسانُ مُجتازاً العَقَبَةَ الّتي تَحُولُ بَينَه وبينَ نعيمِ اللهِ وجَنَّتِه ؛ وما ظَنُّكَ بتلكَ العقبة! إنَّ اجتيازَها يَبدأُ بإطلاقِ سراحِ عبدٍ من الرِّقِّ.

١/٣/أ/٤ وأنْكِحوا الأيامى مِنْكُمْ ، والصّالِحينَ مِنْ عِبادِكُمْ وإمائِكُمْ ؛ إنْ

يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، واللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ. وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ فَكاتِبُوهُمْ ، إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً ، وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ؛ ولا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ؛ وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ. [النُّور: ٣٢-٣٣]

الشَّرْحُ:

زَوِّجوا العزابَ من رجالكم ونسائكم ، وزوِّجوا الصَّالحينَ ديناً وعقلاً وبَدَناً من مَماليكِكُم الذُّكورِ (العَبيدِ) والإناثِ (الإماءِ) وإنْ كانوا فُقراءَ من هؤلاءِ أو أُولئكَ فإنَّ اللهَ يَتولَّى إغناءَهم من فَضلِهِ ، واللهُ واسعُ الفَضلِ والرِّزقِ ، عَليمٌ بأحوالِ عبادِه. ولْيَلتزمِ التَّعفُّفَ ، وهوَ هُنا التَّرفُّعُ عن الحاجةِ الجنسيَّةِ ، مَن لا يَجدونَ زواجاً من رجالِكم ونسائِكم حتَّى يُغنيَهُم اللهُ بالزَّواجِ من فَضلِه ، والَّذين يَنشُدونَ من مَماليكِكُم عقدَ الزَّواجِ على العَزباواتِ من نسائِكم ، أو من إمائِكم ، فكاتِبوهُم إنْ رأيْتُم فيهِم من الخَيرِ ما يُؤهِّلُهم لذلكَ ، بَلْ وأعْطوهم ممَّا أنعمَ اللهُ علَيكم بهِ من مالٍ ما يَستعينونَ بهِ على إتمامِ الزَّواجِ. ولا تُجبروا فتياتِكم المملوكات ، ومِن بابِ أوْلَى غيرَهُنَّ من فَتياتٍ في كَفالتِكم ، على مُمارَسةِ البِغاءِ وهُنَّ يُرِدْنَ التَّعفُّفَ بالتَّزوُّجِ ، نُشداناً منكم لفائدةٍ دُنيويَّةٍ عارِضةٍ ماديَّةٍ أو عَمليَّةٍ أو مَعنويَّةٍ ، ومَنْ يقَعْنَ في البِغاءِ مُكرَهاتٍ فإنَّ اللهَ يَغفرُ لَهُنَّ إتيانَ الزِّنا.

٢/٣/أ/٤ وَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ: مَثْنَى ، وثُلاثَ ، ورُبَاعَ. فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ، أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ ؛ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ لا تَعُولُوا. [النِّساء: ٣]

الشَّرْحُ:

إنْ خِفتُم أنْ لا تُقسطوا في إمْهارِ اليَتيمات اللاّئي تكفلُونَهُنَّ وتَرغبونَ في الزَّواجِ منهنَّ ، فتزوَّجوا ما طابَ لكم مِن غَيرهِنَّ مِن النِّساء ؛ اثْنَينِ أو ثلاثةً أو أربَعةَ أزواجٍ ، فإنْ خِفتُم أنْ لا تَعدِلوا في المشاعرِ والمُعاشَرةِ بينَ عَديدِ الأزواجِ فاكتفوا بواحدةٍ أو ما ملَكْتم مِن إماءٍ ، فذلكَ الاكْتفاءُ أقربُ لأنْ لا تَميلوا في مُعاشَرةِ الأزواجِ وتَجوروا .

تعقيبٌ:

المَمْلوكانِ المُتزوِّجانِ ببعضِهما تَستوجبُ الآيةُ ضِمناً إعتاقَهما لكَيْ يَقوما بحياتِهما ولا يَعُولا على مالكِهما أو مالكَيهما ، بدَليلِ قَولِه (تَعالَى): *«إنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه ...»* ؛ ولَم يَقُلْ: *«وارزُقوهما بالْمَعْروف»* ، مثلَ قَولِه (سبْحانَه) في آيةِ البَقَرةِ-٢٣٣: *... وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ .....*

وآيةُ النِّساءِ-٢٥(*) تَدعَمُ مَفهومَ اكتمالِ أركانِ الزَّواجِ للأَمةِ المُقترَنِ بها بدَليلِ اشتراطِ نَفسِ شُروطِ نِكاحِ الحُرَّةِ:-

- نِكاحُ الأَمةِ المؤمِنةِ دونَ المُشرِكةِ (... مِنْ *فَتَياتِكُمُ الْمُؤْمِنات* ...).
- اِستئذانُ أربابِ الأَمةِ (... *فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ* ...) ؛ وقد عَدَّتهم الآيةُ ، إذْ خُطِبَت الأمةُ ، بهَذا التَّعبيرِ أهلاً لها.
- إتيانُ الأَمَةِ مَهْرَها بالمَعروفِ (... *وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ* ...).

وتَخويلُ القُرآنِ زَواجَ العبدِ بالحُرَّةِ يَقتضي تحرُّرَه أوَّلاً لحُصولِ التَّكافؤ ، ثُمّ للسَّعيِ الْمُستقلِّ في الإنفاقِ علَى أُسرتِه الجَديدةِ بأمرِ القُرآن ، ولَيسَ المَفهومُ بجُملةِ «*وَآتُوهُم مِنْ مَالِ اللَّه* ...» استمرارُ الإنفاقِ على حياتِهما الزَّوجيَّةِ مادامتْ قائمةً ، وإنَّما لدَفعِ الصَّداقِ المفروضِ شَرْعاً على الرَّجلِ للزَّوجِ (< للزَّوجَةِ >) وفقَ الدَّارجِ مِن اللُّغة ،

(*) كانَ لنا فيها مَزيدٌ مِن الرَّأيِ حَذفناهُ لاعتراضِ «إدارةِ البُحوثِ والتّأليفِ والتَّرجَمة» بالأزهرِ على مَفهومِنا لها ، معَ الاتفاقِ معنا على الهدَفِ وهو تَقليصُ الرِّقِّ.

وهيَ مُرْتَجلَةٌ ، فـ ‹ زَوجٌ › في الفُصْحَى تُطْلَقُ على الذَّكرِ والأُنثَى).

٤/أ/١/٤ قَالَ: «أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيداً ، ولَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ! وفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِن الْكافِرِينَ!». قَالَ: «فَعَلْتُها إذاً وَأَنا مِن الضَّالِّينَ ، فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِن الْمُرْسَلِينَ. وتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ». [الشُّعَراءُ: ١٨-٢٢]

الشَّرْحُ:

قالَ فِرْعَوْنُ لنَبيِّ اللهِ مُوسَى حينَما جاءَه الأخيرُ مُرْسَلاً من اللهِ يَدعوهُ: «ألمْ نُرَبِّكَ بَيننا حينَ كُنتَ حَديثَ الوِلادةِ ، ثُمَّ أمضَيتَ بَيننا سنينَ من عُمُرِكَ تُرزقُ. وفَوقَ ذَلكَ قَتلتَ المِصْريَّ الَّذي قَتلتَ وأنتَ كافرٌ برُبوبيَّتي». ردَّ عليه موسَى قائلاً: «إنَّ فعلةَ القَتلِ وقعَتْ منِّي وأنا في ذَلكَ الحينِ ضالٌ عنْ هُدَى اللهِ ، ففرَرتُ منكم خَوفاً ، فوَهبَ لي رَبِّي حُكماً بينَ النَّاسِ وجَعلَني من المُرسَلينَ بآياتِه وكتابِه. وإنَّكَ لَتَستكثرُ عليَّ تَربيتَكَ لي وليداً باحتسابِها نِعمةً لأنَّكَ اتَّخذتَ قَوْمي ، بَني إسرائيلَ ، عَبيداً.

تعقيبٌ:

في قَولِ نَبيِّ اللهِ موسَى الأخيرِ نَفيٌ لوجهِ النِّعمةِ فيما أدَّاهُ إليه فِرْعَوْنُ لأنَّ السَّببَ فيه كانَ خَطيئَةَ استعبادِ فِرْعَوْنَ لبَني إسرائيلَ ، والخَطِيئَةُ تُؤكِّدُها الآيةُ: *إنَّ فِرْعَوْنَ عَلا في الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً ، يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ ؛ يُذَبِّحُ أَبْناءَ هُمْ وَيَسْتَحيِي نِساءَ هُمْ ؛ إِنَّهُ كانَ مِن الْمُفْسِدِينَ.* (القَصَصُ: ٤).

٤/أ/٢/٤ وَجاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وارِدَهُمْ ، فَأَدْلَى دَلْوَهُ ؛ قَالَ: «يابُشْرَى! هَذا غُلامٌ». وَأَسَرُّوهُ بِضاعَةً ، واللهُ عَلِيمٌ بِما يَعْمَلُونَ. وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ، دَراهِمَ مَعْدُودَةٍ ، وَكانُوا فِيهِ مِن الزَّاهِدِينَ. [يُوسُفُ: ١٩-٢٠]

الشَّرْحُ:

وجاءَتْ لمكانِ البئرِ كَوْكَبَةٌ أو قافلةٌ سائرةٌ ، فأرسَلوا منهم إلى البئرِ مَن يجلبُ الماءَ ، فأدْلى فيها بدَلْوِه ، وحينَ رَفعَه وجدَ نَبيَّ اللهِ يوسُفَ وقد قَعدَ فيه أو تَشَبَّثَ به ، فهَتفَ لنفسه مُستبشِراً أنْ وجدَ ما بدَلْوِه غُلاماً. فحَفظَتْه السَّيَّارةُ وهم يَنْوونَ في سرِّهم أنْ يَبيعوهُ كبِضاعةٍ ، واللهُ يَعلمُ كلَّ ما قالوا وفَعلوا. و(باعوهُ) بثَمنٍ رَخيصٍ ، قَدْرُه دَراهِمُ مَعدُودةٌ ، وكانوا لا حاجةَ لهم به.

تعقيبٌ:

أوَّلُ ما نتعلَّمُ مِن الآيتَينِ أنَّ ممَّن نَستعبِدُهم ، لسَبَبٍ أو لآخرٍ ، قد يكونونَ مِن الأهميَّةِ وعِظَمِ الشَّأنِ ما يَتنافَى تماماً معَ تلكَ المُمارَسةِ المُحطَّة. ثانيَةً ، إشارةُ الآيةِ إلى بَخْثِ الثَّمنِ ، وهوَ دُنُوُّه ، والزُّهدِ في نَبيِّ اللهِ يوسُفَ يُشعِرُنا بالمَقْتِ للمُمارَسةِ الَّتي لا يَضمنُ إنسانٌ منّا أنْ لا يَقعَ يوماً أو أحدٌ من أهلِه فَريسةً لها. ‹ باعَ › في الفُصحَى تَدُلُّ على المُبادَلةِ ؛ أي تَشملُ عَمليَّتَي الشِّراءِ ، والاشتراءِ ؛ فالثَّمَنُ يُؤخَذُ في الأولى ، ويُدفَعُ في الثَّانيةِ ؛ واللَّفظانِ قد تَرادَفا في آيتَي يوسُفَ–٢٠ و ٢١.

٣/٤/أ/٤ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ، وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً ؛ هَلْ يَسْتَوُونَ؟ الحَمْدُ لِلَّهِ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ. [النَّحْل: ٧٥]

الشَّرْحُ:

ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لخَلْقه مُقابِلَ جلاله ، بالعَبدِ المملوكِ الَّذي لا يَقدِرُ على شَيءٍ مُقابِلَ مالِكِه الَّذي رَزَقَه اللهُ رِزقاً حَسناً ، فهوَ يُنفِقُ من ذلكَ الرِّزقِ سرّاً وعلانيةً ، فهُما بالقَطعِ لا يستويانِ ، والحمدُ لله ، غيرَ أنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يَعلمونَ هذه الحَقيقةَ.

تعقيبٌ:

تُنَفِّرُنا الآيةُ الكريمةُ من الاستعباد من زاويتَين ؛ أُوْلاهُما هيَ الوَضْعُ الضَّعيفُ البائسُ لإنسانٍ في العُبوديَّةِ ، لا يأْمَنُ أيٌّ منّا أنْ يكونَ فيه. وثانيَتُهُما هيَ أنْ نَعرفَ لنُفوسِنا قَدْرَها الوَضيعَ للمالكِ القهّارِ فلا نَتشبَّهُ به بامتلاكِ أقرانِنا من البَشرِ

٤/أ/٥/١ وَمَا كانَ لِمُؤْمِنٍ أنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إلاَّ خَطَأً ؛ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ، وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ ، إلاَّ أنْ يَصَّدَّقُوا ؛ فَإِنْ كانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ؛ وَإِنْ كانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ، فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ ، وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ؛ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ، تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ ؛ وكانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً. [النِّساءُ: ٩٢]

الشَّرْحُ:

لا سَبيلَ ، بغيرِ مُبررٍ ، لمؤمنٍ على قَتلِ مؤمنٍ إلاَّ عنْ طَريقِ الخَطأ ، غيرَ مُتعمِّدٍ. فإنْ وقَعَ منهُ قَتلُ مؤمنٍ خطأً فعُقوبتُه تَحريرُ عبدٍ مُؤمنٍ ، يَمتلكُه هوَ أو غيرُه ، زائداً غرامةٌ ماليَّةٌ ، يُحدِّدُها العُرفُ بينَ النّاسِ ، تُسلَّمُ إلى أهلِ القَتيلِ ، ما لَم يَردُّوها تصَدُّقاً منهم. فإنْ كانَ القتيلُ خَطأً من أعدائِكم المؤمنينَ فتَحريرُ عبدٍ مُؤمنٍ. وإنْ كانَ القتيلُ خَطأً من قَومٍ بَينَكُم وبَينَهم عُرفٌ أو عَهدٌ تسالُميٌّ ، فعُقوبتُه غرامةٌ ماليَّةٌ تُسلَّمُ لأهلِ القتيلِ ، زائداً تحريرُ عبدٍ مُؤمنٍ. فمَن لَم يجدِ العبدَ المؤمنَ أو المالَ الَّذي يُحرِّرُه به في كلِّ هَذه الأحوالِ ، فيَصومُ شَهرَينِ مُتتابعَينِ ، لا انقطاعَ بَينَهُما ، ليتوبَ اللهُ عليهِ. وهَذا التَّشريعُ من اللهِ عن علمٍ وحِكمةٍ.

٤/أ/٥/٢ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسائِهِمْ ما هُنَّ أُمَّهاتِهِم ؛ إنْ أُمَّهاتُهُمْ إلاَّ اللائي وَلَدْنَهُمْ ، وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ القَوْلِ وَزُوراً ، وَإِنَّ اللَّهَ

لَعَفُوٌّ غَفُورٌ. وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ؛ ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ؛ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ؛ ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ، وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ. [المُجَادَلَةُ: ٢-٤]

الشَّرْحُ:

الَّذينَ يَحلِفونَ منكم ، أيُّها النّاسُ ، على أزواجِهم (زَوجاتِهِم) بالتَّحريمِ باحتِسابِهِنَّ كأُمَّهاتِهِم ؛ فإنَّهُنَّ لَن يَكُنَّ كذَلِكَ ، إنَّما أُمَّهاتُهم هُنَّ فقط اللائي وَلَدْنَهم ، وإنَّهم لَيَقولونَ بذَلِكَ قَولاً مُنكَراً ، غيرَ حقيقيٍّ ، وكَذِباً. وإنَّ اللهَ لعَفوٌّ غَفورٌ إذا ما رَجَعوا عن فِعلِهِم ذاكَ. والَّذينَ يحلِفونَ على أزواجِهِم بالتَّحريمِ ، ثُمَّ يَتراجعونَ ، فتكفيرُه تحريرُ عبدٍ ، يمتلِكُه هوَ أو غيرُه ، مِن قَبلِ أنْ يَتماسَّا هوَ وزوجُه. وذَلِكُم حُكمُ اللهِ الَّذي يَعِظُكم به ، واللهُ خَبيرٌ بما تَعملونَ ؛ لا تَستطيعونَ معَه مُداوَرَةً أو عَنهُ كِتماناً. فمَن لَم يجِدْ عبداً يُحرِّرُه ، أو المالَ الَّذي يَدفعُه لتحريرِه ، يَصُم شَهرَين مُتتابعَين ، لا انقطاعَ بَينَهُما ، أيضاً قَبلَ أنْ يتماسَّ الزَّوجانِ. فمَن لَم يَستَطِعِ الصِّيامَ لمَرَضٍ أو كِبَرٍ أو غيرِهما ، يُطعِمْ ستِّينَ مسكيناً وجْبَةً واحدةً على الأقلِّ لكلٍّ كمُتوسِّطِ طعامِ وجبتِهِ. ذَلِكَ الحُكمُ لتُؤمِنوا باللهِ ورَسولِه ، وتِلكَ حُدودُ اللهِ الشَّرعيَّةُ في هَذا الصَّددِ ، وللكافِرينَ بها عذابٌ أليمٌ.

٤/أ/٥/٣ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ، وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ ؛ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ، أَوْ كِسْوَتُهُمْ ، أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ؛ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ. ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ، وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ؛ كَذَلِكَ

يبيّنُ اللهُ لكُمْ آياته لعلّكُمْ تشكُرُونَ. [المائدة: ٨٩]

الشّرْحُ:

لا يُحاسبُكم اللهُ على القَسمِ غيرِ المُبَرِّ إذا هوَ من قَبيلِ الهَزْلِ وما لا يُعْتَدُّ به من قَولٍ ولَكِنْ يُحاسبُكم على قَسَمِكم المَعقودِ على نيَّةٍ ، فإذا لَم تَصْدُقُوه يَكونُ التَّكفيرُ عنه بإطعامِ عَشَرَةِ مساكينَ وجبةً من مثلِ ما يَتناولُه أهلُكم في المُتوسِّطِ ، أو كِسوَةِ هَؤُلاءِ المساكينَ (دونَ تحديدٍ) ، أو تَحريرِ عبدٍ يمتلكُه المُقْسِمُ أو غيرُه. فمَن لَم يجِدْ مَن يُؤَدِّي لهم الكفّارةَ أو لَم يجد المالَ اللازمَ لأدائها ، فيصومُ ثلاثةَ أيامٍ. ذَلِكَ تكفيرُ قَسَمِكم إذا حَلَفتُم ولم تَصْدُقُوه ؛ وحافظوا على عَدمِ القَسمِ بغيرِ ضَرورةٍ. كذَلكَ يُبيِّنُ اللهُ لكم آياتِه لَعلَّكم تَشكرونَ له نتائجَ اهتدائكم بها.

٤/أ/٥/٤ إنّما الصّدَقاتُ للفُقَراءِ ؛ والمَساكينِ ؛ والعامِلينَ علَيْها ؛ والمُؤَلّفَةِ قُلُوبُهُمْ ؛ وفي الرِّقابِ ؛ والغارِمينَ ؛ وفي سبيلِ اللّهِ ؛ وابْنِ السّبيلِ ؛ فريضةً منَ اللّهِ ، واللّهُ عليمٌ حكيمٌ. [التّوْبَةُ: ٦٠]

الشّرْحُ:

تَحِقُّ الصَّدقاتُ للفُقراءِ (الّذينَ يَعُوزُهم ما يَكفيهم ويُقيمُ حَياتَهم ، كما يُقيمُ فقّارُ الظَّهرِ بَدَنَ الإنسانِ ، لانحصارٍ عن الضَّربِ في الأرضِ ؛ أو لانعدامِ فُرَصِ العملِ ؛ وغَيرِهما) ؛ وللمساكينِ (وهم الفُقراءُ بمَصابٍ من هَرَمٍ/شَيخوخَةٍ ؛ أو العَجزِ الجِسمانيِّ ؛ أو بتَرمُّلِ النِّساءِ ؛ وبما شابَهَ) ؛ وللعاملينَ علَيها (جَمْعاً وحفظاً وتَوزيعاً) ؛ وللمُؤَلَّفةِ قُلوبُهُم (على الإيمانِ باللهِ ؛ ودونِه من خَيرٍ) ؛ وفي تَحريرِ العبيدِ (دونَ تَحديدٍ) ؛ وللغارمينَ (مَن علَيهِم غُرمٌ ‹ دَفعُ مالٍ ›: أداءً لدَيْنٍ ؛ أو تَداوياً ؛ وما شابَهَ) ؛ وفي سَبيلِ اللهِ (إبلاغِ رِسالَةِ اللهِ ؛ أو الدِّفاعِ عن دينِ اللهِ ؛ أو تَحصيلِ علمٍ ؛ وما شابَه) ؛ ولابنِ السَّبيلِ (المُنقطعُ عن أهلِه ، ومالِه ، ودِيارِه في غَيرِ مَعصيَةٍ – يَغلُبُ أنْ يكونَ من غَيرِ أهلِ البِلادِ) ؛ ذَلِكَ فَرضٌ مِن اللهِ على كلِّ ذي مالٍ ، واللهُ عَليمٌ

بأحوالِ عبادِهِ ، حَكيمٌ في التَّشريعِ لحَياتِهِم.

تعقيبٌ:

يَجيءُ تَرتيبُ الْمُستحقِّينَ بالغَ الحكمةِ ، قَدْرَ ما نرَى ، أكانَ من حَيثِ الأهميَّةِ ومآلِ حالِ الفِئَةِ المُستحقَّةِ ، لو أنَّها افتقدَت العَطاءَ والدَّعمَ المادِّيَّ ، أمْ مِن حيثِ وفرَةِ عددِها وسعةِ انتشارِها.

والصَّدقةُ هُنا مَقصودٌ بها الزَّكاةُ الواجبةُ عِبادةً ، بدَليلِ فَرضِ الله (تعالَى) لها في الآيةِ ، مِثلُ 〈 صِداقِ 〉 العروسِ ؛ المَهْرِ: *وَآتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَةً ....* (النِّساءُ: ٤) ، فهوَ حقٌّ مأمورٌ به ولَيسَ مِن قَبيلِ الإحسانِ. والزَّكْءُ في اللُّغةِ هوَ نَقدُ المالِ أو قضاءُ الحَقِّ ؛ والزَّكاءُ: النَّماءُ والخِصْبُ.

٤/أ/٦ هَذا ، عدا عن الآياتِ الكريمةِ الأُخرَى الَّتي تَدْعَمُ وَجهاً أو أخرَ من الأوجُهِ الْمُشارِ إلَيها ، أو على الأقلِ إنسانيَّةَ مُعاملةِ العبيدِ ، مثلُ:
النِّساءُ: ٣٦ ؛ الزُّمَر: ٢٩ ؛ الرُّوْمُ: ٢٨.

٤/ب تَقديمٌ:

مَفهومُ لَفظِ السُّخرَةِ هُنا هوَ الاصطِلاحيُّ الَّذي قد يُعَرَّفُ بـ: حَملِ أيِّ شَخصٍ على الخِدمةِ الشّاقَّةِ الَّتي لا يُقابِلُها أجرُها الوافي استغلالاً لظُروفٍ للطَّرفِ الْمُسَخَّرِ كارِهاً ؛ وغالباً مالا يُرْتَعَى معها مُقتضياتُ بَدَنِه ونفسِهِ وذِهنِه.

وهَذا التَّعريفُ للتَّسخيرِ يُمثِّلُ جانباً واحداً من ثلاثةٍ لِمَدْلولِ هَذا اللَّفظِ في اللُّغةِ: هَذا الأوَّلُ ؛ ويَصِحُّ على العُقلاءِ مِن إنْسٍ وجِنٍّ ، ومَثَلُهُ في قولِ الله: *وَلِسُلَيْمانَ الرِّيحَ ، غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْرٌ ، وَأَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ. وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ...* إلى قَولِه (تعالى): *فَلَمَّا قَضَيْنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ما دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ؛ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَت الْجِنُّ أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ما لَبِثُوا فِي الْعَذابِ الْمُهِينِ!* (سَبَأُ: ١٢-١٤). والْمَقصودُ بـ 〈 لسُليمانَ 〉 أنْ سَخَّرنا لسُلَيمانَ.

أمَّا الوَجهُ الثَّاني، فهوَ يَنطبقُ على المخلوقاتِ غيرِ العاقلةِ كالبَحرِ وغيرِه ، فتسخيرُها ، للإنسانِ ، إنَّما بمَشيئةِ اللهِ ، لا مُكابَدةَ فيه للمُسَخَّرِ ، ولا حُسبانَ فيهِ لأجرٍ ، ودونَ استغلالٍ لظُروفِ المُسَخَّرِ أو كُرهٍ منه ، ومَثَلُه في قَولِه: *وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيلَ وَالنَّهارَ ؛ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ ؛ وَالنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ. إنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.* (النَّحلُ: ١٢).

أمَّا الوَجهُ الثَّالثُ ، فهوَ ما يَنطبقُ على الإنسانِ والأنعامِ باتِّخاذِ الإنسانِ لهُما ، وأساسُهُ ، بمُتفرِّقِ تعاليمِ وأحكامِ القُرآنِ ، الرَّحمةُ بالمُسَخَّرِ ، وإيفاءُ الأجرِ في حالِ الإنسانِ ؛ استدراراً لمنفعةٍ من المُسَخَّرِ ولكنْ دونَ كُرهٍ منهُ ، ومَثَلُه في قوله (عزَّ وجلَّ): *أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ! نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعيشَتَهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ، وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً ؛ وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ.* (الزُّخْرُفُ: ٣٢). أيْ: هوَ الَّذي أعلى مَركَزَ هَذا على ذاكَ ، وبَسطَ الرِّزقَ لهَذا دونَ ذاكَ على دَرجاتٍ مُتفاوتةٍ ، من حكمته أنْ يَعملَ بَعضُ النَّاسِ في خِدمةِ البعضِ الآخرِ لتَسيرَ عَجلَةُ الحياةِ ، والَّتي لا تَسيرُ لَو أنَّ كلَّ النَّاسِ قُسِمَت مَعيشتُهم بَينَهم بالتَّساوي في الحياةِ.

٤/ب/١ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ. [الزُّمَرُ: ٣٥]

الشَّرْحُ:

السَّببُ في أنَّ للمُتَّقينَ المُحسنينَ ما يَشاءونَ عندَ ربِّهم هوَ تَكفيرُ ، أيْ سَتْرٌ وإسقاطٌ ، لأسوَإ أعمالِهم ، ويَجزيَهم أجرَهُم على حُسْنِ عَمَلِهم بأحسَنِ ما كانوا يَعملونَهُ.

تعقيبٌ:

يُعلِّمُنا اللهُ المثلَ الأعلى في استئجارِ العاملِ ، من عَبيدِه ، الَّذي يؤدِّي للهِ حَقَّه اتِّقاءً لغضَبِه وسَخَطِه ، والتزاماً بهَدْيِه وأمرِه بالإحسانِ. أفلَيسَ في هَذا التَّعليمِ نَهيٌ

للإنسانِ عن مُمارَسةِ السُّخرةِ معَ أخيهِ الإنسانِ!

٤/ب/٢ وَلِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمّا عَمِلُوا ؛ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمالَهُمْ ، وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ.

[الأحْقافُ: ١٩]

الشَّرْحُ:

تتفاوتُ دَرجاتُ أعمالِ النّاسِ في حُسْنِها وسُوئِها ، ولَسَوفَ تُوَفَّى أعمالُهم جَزاءاتِها دونَ أنْ يُظْلَمَ أحدٌ.

تعقيبٌ:

تُعلِّمُ الآيةُ أنَّ إيفاءَ العملِ الجَزاءَ المُناسبَ دونَ ظُلمٍ هوَ القاعدةُ والهَدْيُ ، ومِن ثَمَّ علَينا تَطبيقُه اقتِداءً.

٤/ب/٣ ومِنَ الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ تَحريمِ السُّخرَةِ:
القَصَصُ: ٢٥ ؛ الكَهْفُ: ٧٧ ؛ النَّجْمُ: ٤٠-٤١.

٥

لا يَتَعرَّضْ أحدٌ للتَّعذيبِ أو للقَسْوَةِ ، أو للمُعامَلَة المُحطَّة أو اللاإنسانيَّة ، أو للأذَى.

No one shall be subjected to torture or to cruel, inhuman or degrading treatment or punishment .

عُنصُراها:

أ - تَحريمُ إيقاعِ القَسْوةِ أو التَّعذيبِ بأيِّ إنسانٍ.

ب - تَحريمُ الحَطِّ مِن آدَميَّةِ إنسانٍ.

٥/أ تَقديمٌ:

يَصِحُّ تَعريفُ التَّعذيبِ بمَفهومِهِ المَقصودِ هُنا على أنَّه إيقاعُ الإيلامِ مُتَعددِ الصُّنوفِ ، وبمُختَلَفِ الوَسائلِ والأدَواتِ في المَرَّةِ الواحدَةِ على بَدَنِ المُعَذَّبِ أو فِكرِهِ أو نَفسِهِ أو بالجَمعِ بينَهم ، دونَ مُبَررٍ.

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

٥/أ/١ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ، مِنْ فِرْعَوْنَ ؛ إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ. [الدُّخانُ: ٣٠-٣١]

الشَّرْحُ:

ولقدْ خَلَّصنا ، نحنُ اللهُ ، بَني إسرائيلَ مِن العذابِ المُحطِّ لآدَميَّتِهِم الَّذي مارَسَه علَيهِم فِرْعَوْنُ مصرَ الحاكمُ آنَ ذاك ، والَّذي اتَّصَفَ بالتَّعالي على النَّاسِ ، وبالشَّططِ والمُغالاةِ في مُعامَلَةِ رَعيَّتِهِ ووِلايةِ أُمورِهِم.

تعقيبٌ:

يُخبِرُ القُرآنُ الكريمُ بشَيءٍ مِن تَفصيلٍ بذَلِكَ العذابِ في الآيتَينِ المُتشابِهتَينِ: *وَإِذْ قَالَ*

موسَى لِقَوْمِهِ: «اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ ، وَيُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ ، وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ ؛ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ». (إبْراهيمُ: ٦)

وَإِذْ نَجَّيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ ؛ يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ ، وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ ؛ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ». (البَقَرَةُ: ٤٩)

وقد شَمِلَ التَّعذيبُ أيضاً كلَّ مَنْ آمَنَ لموسَى من المصريينَ ، والسَّحرةُ أوَّلُهُم ، ممّا يُثْبِتُهُ قولُهُ (عزَّ وجلَّ): قالَ فِرْعَوْنُ: «آمَنْتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ؟! إِنَّ هَذا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْها أَهْلَها ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ؛ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ، ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ». قالُوا: «إِنّا إِلَى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ ؛ وَما تَنْقِمُ مِنّا إِلاّ أَنْ آمَنّا بِآياتِ رَبِّنا لَمّا جاءَتْنا؟ رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَتَوَفَّنا مُسْلِمِينَ». (الأعْرافُ: ١٢٣-١٢٦)

وكما هوَ هُنا ، يَسوقُ إلينا القُرآنُ الإخْبارَ بوقائعِ تَعذيبِ فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ ، مُتفرِّقاً ، مَصحوباً بالذَّمِّ للفاعلِ (مِن قَبيلِ: طَغَى ؛ عَلا ؛ مُجرِمينَ ؛ مُفسِدينَ ؛ مُسرِفينَ ؛ فاسِقينَ ؛ خاطِئِينَ) ، والتَّنديدِ بالفعلِ نَهْياً ، فيما يَعِظُ ، عن اقترافِهِ بما لا يَدَعُ مَجالاً لِشَكِّ مُفَكِّرٍ مُتدبِّرٍ.

٢/أ/٥ فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ؛ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ. فَاعْفُ عَنْهُمْ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، وَشاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ؛ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ. [آلُ عِمْرانَ: ١٥٩]

الشَّرْحُ:

أنْ كُنتَ لَيِّناً للنّاسِ يا مُحمَّدُ /أيُّها المُؤَمَّرُ على النّاسِ ، فما ذَلِكَ إلاّ برحمةٍ مِن اللهِ بهِم ، ولَو كُنتَ خشِنَ القَولِ ، عَديمَ الرَّحمةِ لَنَفرَ النّاسُ عنكَ. فاعْفُ عن زَلاّتِهم وصَغائرِهم ، واطْلُبْ لهُم مِن اللهِ الغُفْرانَ لذُنوبِهم ، وشاوِرْهُم في مُتعلِّقاتِ حَياتِهم ، فإذا عَزَمتَ بعدَ المشورَةِ على قَضاءِ أمرٍ فاقْدِمْ تارِكاً التَّسديدَ للهِ ، فاللهُ يُحبُّ

المُتوكّلينَ عليه بعدَ التّشاوُرِ والعَزمِ.

تعقيبٌ:

الخطابُ في الآيةِ الكريمةِ وُجِّه ابتداءً للرّسولِ ، وهو قائمٌ لكلِ مَن يَسمَعُها أو يَقرأُها مادامَ الخطابُ لَم يَقترِنْ باسمِ الرّسولِ صَراحةً أو كِنايةً.

والتّعذيبُ لا يَقعُ بالقَطعِ ، مَنطقاً وفعلاً ، ممَّن اتّصفَ أو التزَمَ بالرَّحمةِ والعَدلِ ، وإذا كانَ الخالقُ نَفسُه قد فَرضَ الرَّحمةَ على نَفسِه ، فما تَركَ ذَلكَ لعَبيدِه مِن سَبيلٍ تُبيحُ لهُم مُمارَسةَ التّعذيبِ ، أو القَسوَةِ بصُوَرِها ، على بَعضِهم معَ انْصياعِهم لأمرِ العدلِ المُتكرِّرِ في العَديدِ من الآياتِ.

وممّا يَنصُّ على افتراضِ الرَّحمةِ قَولُه: *قُلْ: «لِمَنْ ما في السَّماواتِ وَالأَرْضِ؟» ؛ قُلْ: «لِلَّهِ». كَتَبَ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ؛ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ ؛ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ.* (الأنْعامُ: ١٢)

وممّا يَنصُّ على الإلتزامِ بالعَدلِ قَولُه: *قُلْ: «أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ، وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ؛ كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ».* (الأعْرافُ: ٢٩)

٥/أ/٣ ومن الآياتِ الكريمةِ الّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ تحريمِ إيقاعِ القَسْوةِ بإنسانٍ أو ذَمِّها: البَقَرةُ: ٧٤ ؛ المائدَةُ: ٤٥ ؛ طه: ٤٧ ؛ الحَجُّ: ٥٣ ؛ الزُّمَرُ: ٢٢-٢٣ ؛ ق: ٢٤-٢٥.

٥/ب/١ **قالَتْ: «إِنَّ الْمُلُوكَ إِذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها ، وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً ؛ وَكَذلِكَ يَفْعَلُونَ».** [النَّملُ: ٣٤]

الشَّرْحُ:

قالتْ - مَلَكَةُ سَبَأٍ مُخاطِبةً حاشيتَها لمّا بَلَغتْها رسالةُ نَبيِّ اللهِ سُلَيمانَ بالدَّعوةِ للإسلامِ لِربِّ النّاسِ - إنَّ المُلوكَ إذا دَخلوا قَريةً فاتحينَ إيّاها يُفسِدونَ عَيْشَها ونِظامَها ، ويُذِلُّونَ الأعِزَّةَ فيها ، ومِثلُ هَذا ، في ظَنِّها ، سيَفعلُ المَلِكُ سُلَيْمانُ إذا دَخلَ مَملكتَهم فاتِحاً.

تعقيبٌ:

قَرنَت الآيةُ الكريمةُ فعلَ الإذلالِ بفعلِ الإفسادِ في نَفسِ الفاعلِ على لسانِ مَلَكَةٍ أُوتيَت الحِكمةَ في سياسةِ رَعيَّتِها وتَقييمِها للأُمورِ. وموقفُ القُرآنِ مِن الإفْسادِ الَّذي مِن ألوانِهِ الحَطُّ مِن أقدارِ النَّاسِ هو الذَّمُّ والتَّحريمُ.

٥/ب/٢ فَقالَ الْمَلأُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ: «ما نَراكَ إلاّ بَشَراً مِثْلَنا ، وَما نَراكَ اتَّبَعَكَ إلاّ الَّذِيْنَ هُمْ أَراذِلُنا بادِيَ الرَّأْيِ ؛ وَما نَرَى لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ ، بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبِيْنَ». [هُودُ: ٢٧]

وَلا أَقُوْلُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللَّهِ ، وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ، وَلا أَقُوْلُ إنِّي مَلَكٌ ؛ وَلا أَقُوْلُ لِلَّذِيْنَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِما فِي أَنْفُسِهِمْ ، إنِّي إذاً لَمِنَ الظّالِمِيْنَ!». [هُودُ: ٣١]

الشَّرْحُ:

فقالَ عِليَةُ الكافرينَ مِن قَومِ نَبِّي اللهِ نُوحٍ: «... وما نرى قد اتَّبعَ دَعوَتَكَ غَيرَ الَّذينَ هُم أحقَرُنا رُؤيةً بائنةً ...».

ولا أزعُمُ (نُوحٌ) لكم (عِليَةُ الكافرينَ) أنَّ عِندي خزائنَ اللهِ ... ، ولَن أزعُمَ على الَّذينَ تَحتقِرونَ وتَستصغِرونَ أنْ لَن يُؤتيَهُم اللهُ خَيراً فأكونُ مِن الظّالمينَ مُؤكَّداً إنْ قُلتُ ؛ فاللهُ أعلمُ بمقاديرِهِم!

٥/ب/٣ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ تحريمِ الحَطِّ مِن آدَميَّةِ إنسانٍ: القَصَصُ: ٧٦ و ٨٣ ؛ عَبَسَ: ١-٣ ؛ لُقمانُ: ١٨ ؛ النَّملُ: ٣١.

٦

كلُّ فَردٍ لهُ الحَقُّ في الاعتراف بشَخصه أينَما كانَ كفَردٍ أمامَ القانون.

Everyone has the right to recognition everywhere as a person before the law

عُنصُرها:

اعتِرافُ القانونِ بكَينونةِ أيِّ فَردٍ (أهْليَّته القانونيَّة).

تَقديمٌ:

إنْ لَم يكُنْ قد فاتَ على واضعِي هَذه المادة ، الأفاضل ، استثناءُ المَجنون مِن الاعتِرافِ القانونيِّ بكَيْنونته (أهليَّته القانونيِّة) ، فالاستثناءُ هوَ المُفتَرَضُ فَهْمُه.

الأهليَّةُ القانونيَّةُ لأيِّ إنسانٍ طَبيعيٍّ (سَليمٍ) هيَ ذاتُ شِقَّينِ مُتلازمَين: حقِّيٌّ أو ثَوابيٌّ ؛ وواجِبيٌّ أو عِقابيٌّ.

النُّصوصُ القُرآنيَّة:

١/٦ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً. [الفُرْقان: ١]

الشَّرْحُ:

لله البَركَةُ والقُدُسيَّةُ الَّذي نَزَّلَ القُرآنَ مُفَرِّقاً بَينَ الحقِّ والباطِلِ ؛ بينَ الواجباتِ والحُقوقِ للنّاسِ على عبدِه ورَسولِه مُحمَّدٍ لِيكونَ نَذيراً بالقُرآنِ ، قانونِ الله ، لكلِّ البَشر.

٢/٦ قُلْ: «يا أَيُّها النّاسُ ، قَدْ جَاءَكُم الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنِ اهْتَدَى فَإنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ فَإنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا. وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ».
[يُونُس: ١٠٨]

الشَّرْحُ:

قُلْ يا مُحمَّدُ /أيُّها المؤمنُ للنّاسِ لَقد جاءَكم بالقُرآنِ الحَقُّ من ربِّكم إنباءً وتَشريعاً وهَدْياً إلَى فَوزِ الدُّنيا والآخِرةِ ، فمَن اتَّخذَه منكم نبْراساً وهُدىً فلنَفسه يكونُ الرَّشادُ والنَّجاةُ ، ومَن افْتقَدَه فإنَّما يَعودُ علَيه الضَّلالُ والضَّياعُ. وما أنا بمَوْكولٍ إلَيَّ أمرُ اهتدائكم أو ضَلالكم.

وأمرُ القَولِ في الآيةِ الكريمةِ وُجِّه تَنزيلاً للرَّسولِ ، باحتسابه حاملُ الرِّسالة من الله عن جبْريلَ ، ولَكنَّه قائمٌ لكلِّ قارئٍ للقُرآنِ أو مُستمعٍ له مادامَ اسمُ الرَّسولِ لَم يُذْكَرْ صَراحةً أو بكِنايةٍ عنهُ.

تعقيبٌ:

المُخاطَبُ مِن الآيةِ همُ النّاسُ ، الَّذين هُم كلُّ فَردٍ ؛

ومِحورُ الآيةِ هوَ الحقُّ ، الَّذي هوَ القُرآنُ ، الَّذي هوَ قانونُ اللهِ للنّاسِ.

٣/٦ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ، وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى ؛ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى؟ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِما فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْراهِيمَ الَّذِي وَفَّى؟ أَنْ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ؛ وَأَنْ لَيْسَ لِلإنسانِ إلاّ ما سَعَى ؛ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ؛ ثُمَّ يُجْزاهُ الْجَزاءَ الأَوْفَى. [النَّجْم: ٣٣-٤١]

الشَّرْحُ:

أفرَأَيتَ يا مُحمَّدُ /أيُّها المؤمنُ من النّاسِ ذاكَ الَّذي يَنصرفُ عن مَنهجِ اللهِ ، تَشريعاً وشَعائرَ ، وأعطى قَليلاً ويَبخَلُ في العَطاءِ ، أعِندَه علمُ الغَيبِ فهوَ يَرى عواقبَ الأُمورِ قَبلَ وُقوعِها وتَستبينُ له طَريقُ الفَلاحِ من طَريقِ الخُسْرانِ؟ أمْ لَم يأتِه نَبأُ ما حَوَتْه صُحُفُ موسَى (ألواحُهُ) ومِن قَبله صُحُفُ إبراهيمَ الَّذي وفَّى إبلاغَ وتَنفيذَ ما علَيه ، من شرعةِ اللهِ ومِنهاجِه ، بأنَّ ما مِن نَفسٍ قد تَحملُ شَيئاً من ذُنوبِ نَفسٍ أُخرى ؛ وأنَّ لَيسَ للإنسانِ مِن عَملٍ أو رَصيدٍ إلاَّ ما سَعَى لهُ وفيه ؛ وأنَّ سَعيَهُ هَذا يَراهُ اللهُ ورسولُه

والمؤمنونَ من النّاسِ ، ولَسَوفَ يراهُ هوَ حينَ الحسابِ ؛ ثُمَّ يُجازَى علَيه جَزاءً وافياً مَثوبَةً كانَ أمْ عُقوبةً؟

تعقيبٌ:

تَعني الآيةُ كُلَّ فردٍ (الإنسانَ).

وأنَّ سَعيَه هو مَوضعُ تَقييمِ الشَّرعِ (سَوفَ يُرَى).

وأنْ يُجزاهُ الجَزاءَ الأوْفَى من المُشرِّعِ ، تأكيدٌ على اعترافِ القُرآنِ ، قانونِ اللهِ للنّاسِ ، بالأهليَّةِ القانونيَّةِ لأيِّ فَردٍ.

٤/٦ ومِن الآياتِ الكَريمةِ العَديدةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ حقِّ أيِّ فَردٍ طَبيعيٍّ في اعترافِ القانونِ بكَيْنونته:

الزُّمَرُ: ٤١ ؛ المؤمنونَ: ٦٢ ؛ الإسْراءُ: ١٥ ؛ النِّساءُ: ٥٨ ؛ المُدَّثِّرُ: ٣٨ ؛ الأنْعامُ: ١٦٤.

٧

الجَميعُ سَواسيةٌ أمامَ القانونِ ، ومُخَوَّلونَ حمايةً مُتساويةً منْ القانونِ دونَ أيِّ تَمييزٍ. والجميعُ مُخَوَّلونَ حمايةً متساويةً ضدَّ أيِّ تمييزٍ في انتهاكِ هَذا الإعلانِ وضدَّ أيِّ تَحريضٍ على ذَلكَ التَّمييزِ.

All are equal before the law and are entitled without any discrimination to equal protection of the law. All are entitled to equal protection against any discrimination in violation of this Declaration and against any incitement to such discrimination .

عُنصُراها:

أ – عَدلُ القانونِ بَينَ الجَميعِ.

ب – إقامةُ مَوادِّ هَذا الإعلانِ للجميعِ دونَ تَمييزٍ.

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

٧/أ/١ إنَّ اللَّهَ يأمُرُكُمْ أنْ تؤدُّوا الأماناتِ إلَى أهْلِها ؛ وإذا حكَمْتُمْ بيْنَ النّاسِ أنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ؛ إنَّ اللَّهَ نِعِمّا يَعِظُكُمْ بِهِ ، إنَّ اللَّهَ كانَ سَمِيْعاً بَصِيْراً. [النِّساءُ: ٥٨]

الشَّرْحُ:

إنَّ اللهَ يأمرُكُم ، أيُّها المؤمنونَ ، أنْ تَردُّوا الأماناتِ إلتى عُهِدَ إلَيكُم بِها من أصحابِها إلَيهم ؛ وإذا حَكَمتم بينَ النّاسِ ، جميعِ النّاسِ ، أنْ تَحكُموا بالعدلِ. إنَّ ما يَعظُكم اللهُ بِهِ مِن هَذا الأمرِ أو ذاكَ لَهوَ نِعمَ الْمَوعظةِ وأعلاها ، إنَّ اللهَ سَميعٌ لحُكمِكُم ، بَصيرٌ بأماناتِ النّاسِ في عُهْدتِكم.

٧/أ/٢ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ، كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ، وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لا تَعْدِلُوا ؛ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. [المائدة: ٨]

الشَّرْحُ:

يا مَن تؤمنونَ باللهِ وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخرِ ، كونوا قائمينَ بتطبيقِ أمرِ اللهِ ، مُصَدِّرينَ مَنهجَهُ ، عُدولاً في شَهادتِكم بينَ الخُصومِ ؛ ولا يَدفعنَّكم بُغضُكم لقومٍ ، أيّاً كانوا ، أنْ تُجرموا بعدَمِ التزامِكم العدلَ في قَضاياهُم ، بَلْ اعدلوا فذلكَ لتقوى اللهِ أقربُ ؛ وهوَ مَطلوبٌ منكم اجتنابُ مَعصيتِه تَحاشياً لنِقْمَتِه ؛ فهوَ خَبيرٌ بما تَقولونَ وتَفعلونَ.

تعقيبٌ:

الأمرُ بالعدلِ في الشَّهادةِ ، ثُمَّ بالقَضاءِ عَدلاً بينَ المُتخاصمينَ ولَو معَ بُغضِ المُحقِّ ، ثُمَّ بالتَّحذيرِ مِن مُخالَفةِ ذَلكَ تجتمعُ بها كُلُّ جَوانبِ «عدلِ القانونِ بينَ الجميعِ».

٧/أ/٣ ومِن الآياتِ الكريمةِ الكثيرةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ عدلِ القانونِ بينَ الجميعِ:
ص: ٢٦ ؛ النِّساءُ: ١٣٥ ؛ المائدَةُ: ٤٢ و ٤٥ ؛ الأنْعامُ: ١٣٩ و ١٥٢ و ١٦٠ ؛ الأعْرافُ: ٢٩.

٧/ب مَضمونُ هَذا العُنصرِ بالنِّسبةِ للقُرآنِ يُصبِحُ نَصُّهُ: إقامةُ أحكامِ القُرآنِ للجَميعِ دونَ تَمييزٍ.
للقُرآنِ الكريمِ تَحفُّظٌ في هَذا العُنصرِ ؛ فالفِطرَةُ تَرسُمُ حُدوداً بينَ الذَّكرِ والأُنثى في عَددٍ مِن الجوانبِ يكونُ فيها الذَّكرُ مُقدَّماً على الأُنثى. راجِع العُنصرَ: ٢/أ.

٧/ب/١ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ، مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ؛ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ

الْحَقِّ ؛ لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً ، وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ ، فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ ؛ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ. [المائدة: ٤٨]

الشَّرْحُ:

وأنزلْنا ، نحنُ اللهُ ، كتابَ القُرآنِ بالحَقِّ تنزيلاً ، وبالحقِّ مَضموناً مُوافقاً تماماً لسابِقَيهِ مِن توراةٍ وإنجيلَ ، وفوقَ ذلكَ مُهيمناً عليهما بما يَزيدُ مِن أحكامٍ وشرائعَ ؛ فهوَ الَّذي يُستنَدُ إليه في أيِّ تَفاوُتٍ بينَ ثلاثتِهم ؛ فاحكمْ بينَ أهلِ التَّوراةِ والإنجيلِ ، كسائرِ النَّاسِ ، بما أنْزلَ اللهُ في القُرآنِ ، ولا تتَّبعْ أهواءَ اليَهودِ والنَّصارى وغيرِهم عمَّا جاءَكَ مِن الحقِّ بالقُرآنِ ؛ لكلِّ أمَّةٍ مِن الثلاثِ ، أهلِ التَّوراةِ وأهلِ الإنجيلِ وأهلِ القُرآنِ ، جَعلنا ، تَشريعاً ومَنهجاً ، ولو شاءَ اللهُ لجعلَكم أُمَّةً واحدةً لا ثلاثَ ، ولَكِنْ ليَمتحنَ ويَختبرَ كلَّ أُمَّةٍ فيما أتى مِن كتابٍ (شريعةٍ ومَنهجٍ). فتسابقوا أيُّها الأُمَمُ الثلاثُ إلى عملِ الخَيراتِ والتزامِ جانبِها فرُجوعُكم مِن هذه الحياةِ ، بعدَ المماتِ ، جميعاً لإلى اللهِ فيُخبرُكم بما كنتم فيه تَختلفونَ مِن منهجٍ وشريعةٍ.

تعقيبٌ:

المُرادُ مِن حُكمِ كُلٍّ مِن أُمَّتَي اليهودِ والنَّصارى فيما بينها بما أنزلَ اللهُ في كتابِها إنَّما الحقُّ الَّذي لم تَشُبْهُ يَدُ إنسانٍ بتَحريفٍ ، فإذا كانَ شعبٌ مِن الأممِ الثلاثِ وغيرِهم مُتعايشونَ معاً فالحُكمُ بينَهم جميعاً بشرائعِ ومَنهجِ القُرآنِ ولا تَمييزَ في إقامةِ أحكامِهِ بينَ أيِّ فردٍ أو فئةٍ ، تَدلُّ عليه جُملةُ ‹ جميعاً › في «*إِلَى اللهِ* مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً».

٧/ب/٢ قُلْ: «يا أَيُّها النَّاسُ ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ ، لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ» ؛ فَآمِنُوا بِاللهِ

وَرَسُوْلِهِ ، النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِيْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ، وَاتَّبِعُوْهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَ. [الأعرافُ: ١٥٨]

الشَّرْحُ:

قُلْ يا مُحمَّد للنَّاس ، جميعِ النَّاسِ ، إنَّكَ رَسولي إليهم بما أَنزلْتُ إليكَ من قُرآنٍ شَريعةً ومَنهجاً لحياتِهم ، أنا اللهُ الَّذي لي مُلْكُ السَّماواتِ والأرضِ لا إلاهَ سِوايَ يُحيي ويُميتُ ؛ فآمِنوا أيُّها النَّاسُ باللهِ وبرَسولِه الَّذي أنبأكم بالقُرآنِ المُعجِزِ لُغةً وعلماً وهوَ أُمِّيُّ القِراءَةِ والكتابَةِ ، أُمِّيُّ العِلمِ مُسبَقاً بالكتبِ السَّماويَّةِ ، مؤمناً باللهِ وكلماتِهِ ؛ واتَّبِعوا إرشادَهُ وتَوجيهَهُ لعلَّكم تَهتدونَ إلى صَلاحِ حياتِكم وأُخراكم.

٧/ب/٣ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ، فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيْلٍ. [الزُّمَرُ: ٤١]

الشَّرْحُ:

إنَّا ، نحنُ اللهُ ، أنزَلْنا علَيكَ الكتابَ قُرآناً ، للنَّاسِ ، كلِّ النَّاسِ ، بالحَقِّ تَنزيلاً وبالحقِّ مَضموناً ، فمَنِ اهتدَى مِنَ النَّاسِ بشرائعِهِ كانتْ لِنَفسِهِ هذه الهِدايةُ ، ومَن ضَلَّ عن شرائعِهِ فإنَّما تكونُ خُسارةُ تلكَ الضَّلالةِ على نَفسِهِ ، وما أنتَ بمَوكولٍ إليكَ أمرُ هِدايةِ النَّاسِ.

٧/ب/٤ ومِنَ الآياتِ الكريمةِ الكثيرةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ إقامَةِ موادِّ القُرآنِ بالتَّساوي للجَميعِ:
النِّساءُ: ١٧٠ ؛ النَّحلُ: ٤٤ ؛ الأنْعامُ: ١٥٦-١٥٧ ؛ يونُسُ: ٢ ؛ الشُّورَى: ١٥ ؛ الحَديدُ: ٢٥.

٨

كلُّ فَردٍ لهُ الحَقُّ في وسيلةٍ شَرعيَّةٍ فعّالةٍ لَدى مَحاكمِ الأمَّةِ المُختصَّةِ بالنِّسبةِ للأفعالِ المُنتهكَةِ للحُقوقِ الأساسيَّةِ الممنوحةِ لهُ من قبَلِ الدُّستورِ أو القانونِ.

Everyone has the right to an effective remedy by the competent national tribunals for acts violating the fundamental rights granted him by the constitution or by law.

عُنصُرها:

يَحِقُّ لكلِّ فَردٍ في أُمَّتِه ضَماناً قَضائياً للدفعِ عن حُقوقِه.

النُّصوصُ القرآنيَّةُ:

١/٨ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ؛ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ، إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [الشُّورَى: ٤٠-٤٢]

الشَّرْحُ:

إنَّ السَّيِّئةَ مِن فعلٍ أو قَولٍ مِن أحدٍ في حَقِّ آخرٍ يُجزاها الأوَّلُ بسيِّئةٍ مثلِها ، فمَن عَفا عن سيِّئةٍ لَحِقتهُ مِن آخرٍ وأصلحَ ذاتَ بينِهما فاللهُ يأجُرُ العافيَ حقَّهُ ، إنَّ اللهَ لا يُحبُّ الظّالمينَ. أمّا مَن استَردَّ حقَّهُ بعدَ مَظلَمةٍ لَحِقتهُ مِن أحدٍ فلا لَومَ عليهِ ، إنَّما اللَّومُ والمُؤاخَذةُ تكونُ على الَّذينَ يَظلِمونَ النّاسَ ، أيَّ ناسٍ ، ويُمارِسونَ البَغيَ ، (وهوَ لَونٌ مِن العُدوانِ) على مَن في الأرضِ مِن خَلائقَ دونَ وَجهِ حَقٍّ لهم في ذَلكَ ، فأُولَئكَ لهم عذابٌ أليمٌ يَستحِقُّونَهُ في الدُّنيا ، بالعَدلِ ، وإلاّ فسيُدَّخرُ لهم حينَ الحِسابِ.

٢/٨ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ. [النَّحل: ١٢٦]

الشَّرْح:

إنْ أوقعتُم العُقوبةَ على أحد فلتكنْ عُقوبتُكم بمثلِ ما وقَعَ علَيكم مِن سيِّئةٍ وظُلمٍ ، فإنْ صَبَرتم على ما لَحِقَكم مِن الظُّلمِ والسيِّئةِ كانَ مِن المُؤكَّدِ خَيرٌ لكم.

تعقيبٌ:

مِن الصَّعبِ عملياً مُمارَسةُ الإنسانِ لضَبطِ النَّفسِ المظلومَةِ بحيثُ لا تَزيدُ في قِصاصِها شَخصياً عن حقِّها ممّا يَجعلُ صاحِبَها ظالماً بعدَ أنْ كانَ مَظلوماً ، وتَتولَّدُ بذلكَ سِلسلةٌ مِن التَّثاؤرِ لا تُحمَدُ عُقباها. مِن جِهةٍ أُخرى ، يكونُ مَردودُ الصَّبرِ على المَظلمةِ ، إنْ أمكنَ ، مُجزياً اجتماعياً ونَفسياً ، ولابد أنْ يتولَّى اللهُ القِصاصَ عن المظلومِ مِن الظّالمِ في الحياةِ الدُّنيا ، إضافةً إلى أنَّ صَبرَ المظلومِ يُقابلُهُ اللهُ بتَكفيرِ مُساوِئٍ مِن ذَنْبٍ يكونُ علَيهِ أو بحَسناتٍ يكتُبُها لهُ في أُخراه.

٣/٨ ذَلِكَ ، وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ. [الحَجّ: ٦٠]

الشَّرْح:

ومَن ثَأرَ لظُلمِه مِن ظالمِه عَدلاً ، شَخصياً أو على يدِ واليهِ ، ثُمَّ عادَ الظّالمُ فاعتَدَى على مَن استنصَفَ لظُلمِهِ فاللهُ يَنصرُهُ مُؤكَداً بطريقتِهِ ، العفُوُّ الغفورُ.

٤/٨ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ، وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ. وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ، وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ، وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ. وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ

فيه ، فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ، كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ، فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ ، وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ؛ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ. الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ؛ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ؛ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ. [البَقَرة: ١٩٠-١٩٤]

الشَّرْحُ:

وقاتلوا الَّذينَ يُقاتلونكم مُحتَسِبينَ اللهَ ، مُلتزمينَ بتعاليمه ، غيرَ مَدفوعينَ برَغائبَ وبأهدافٍ شَخصيَّةٍ ؛ ولا تَخرُجوا في قتالكم عن الأخذِ بالحقِّ إلى حدِّ العُدوان ؛ لأنَّ اللهَ لا يُحبُّ الْمُعتدينَ. وقتالُكم إيَّاهم إذَاكَ أهونُ من الفِتنَةِ الَّتي تَنشأُ نتيجةَ تَقاعُصكم عن القتالِ ؛ وليكُن قِتالُكم ذاك حَيثُما وجَدتُموهم ، وأنْ تُخرِجوهم من حَيثُ أخرَجوكم لا من مكانٍ غيرِه. ولا يكونُ قِتالُكم لهم عِندَ الْمَسجدِ الحرامِ ما لم يُجبروكم على القتالِ فيه ... حينَئذٍ اقتُلوهم فهكذا يكونُ جَزاءُ الكافرينَ ؛ فإن انتهَوْا عن قتالكم فانتهُوا يَغفرْ لكم اللهُ ويَرحمْهم منكم. ومِنَ الضَّروريِّ قِتالُهم ، إذا قاتَلوكم ، كَي لا تكونَ عاقبةُ مُوادَعتهم فتنةً لهم ولضِعافِ النُّفوسِ منكم ؛ وكَي يَظلَّ الدِّينُ قائماً لله ؛ أمّا إن انتَهوا عن عُدوانِهم فلا يَجوزُ عُدوانٌ منكم إلاّ على الظّالمينَ منهم فقط. العُدوانُ في شَهرٍ حرامٍ يَحقُّ ردُّهُ في شَهرٍ حرامٍ (مُحرَّمُ ؛ رَجبُ ؛ القعْدَةُ ؛ الحِجَّةُ) ؛ والحُرُماتُ للنّاسِ (كالنَّفسِ ، والبَدَنِ ، والعِرضِ ، والمالِ ، وغَيرِها) يُقتَصُّ لها ؛ فمَن اعتَدى علَيكم فاقتصُّوا منه بعُدوانٍ مُماثلٍ ، واجتَنبوا مَعصيةَ اللهِ تَحاشياً لنِقمَتِه ، واعلَموا أنَّ اللهَ يكونُ نَصيراً لِمَن يجتنبونَ معصيتَهُ.

تعقيبٌ:

الْمُماثَلةُ في القِصاصِ حَتميَّةٌ خاصَّةً مِن حَيثُ الحَجمِ ، والنَّوعِ ، في غَيرِ ما شُرِعَ حَدٌّ لهُ.

٥/٨ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. [البَقَرة: ١٧٩]

الشَّرْحُ:

- إنَّ في تَشريعِ إيقاعِ القِصاصِ بالْمُعتدي حِفظٌ للحياةِ واستمرارٌ لها مأمونةً سِلميَّةً ، يُدرِكُ العُقلاءُ ذلِكَ ، لعلَّ النّاسَ يتَّقونَ مَغَبَّةَ قيامِهم بالعُدوانِ.

٦/٨ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ استِحقاقِ كلِّ فردٍ ضَماناً قَضائيّاً للدَّفعِ عن حُقوقِه:

البَقَرةُ: ١٧٨ ؛ النِّساءُ: ٧٥ ؛ الإسراءُ: ٣٣ ؛ الحَجُّ: ٣٩ ؛ النُّورُ: ٤ ؛ المائِدةُ: ٤٥.

٩

لا يَتعرَّضْ أحدٌ للاعتقالِ أو الحَجزِ أو النَّفي الاستبداديِّ التَّعسُفيِّ.

No one shall be subjected to arbitrary arrest, detention or exile.

عُنصُراها:

أ - عَدمُ إيقاعِ السَّجنِ ظُلماً.

ب - عدمُ الإبعادِ عن المَوْطنِ ظُلماً.

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

١/أ/٩ قالَ فِرعَوْنُ: «وَما رَبُّ الْعالَمِيْنَ؟» ، قالَ: «رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَما بيْنَهُما إنْ كُنْتُمْ مُوْقِنِيْنَ». [الشُّعراءُ: ٢٣-٢٤]

قالَ: «إنَّ رَسُوْلَكُمْ الَّذِيْ أُرْسِلَ إلَيْكُمْ لَمَجْنُوْنٌ!» ، قالَ: «رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَما بيْنَهُما إنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُوْنَ» ، قالَ: «لَإن اتَّخَذْتَ إلاهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُوْنِيْنَ»! [الشُّعراءُ: ٢٧-٢٩]

الشَّرْحُ:

تَساءَلَ فرعَونُ ، راداً على الرَّسولِ موسى وأخيهِ هارونَ حينَما دَعَواه لأمرِ رَبِّ العالَمينَ: «وما ربُّ العالَمينَ؟» ؛ قالَ موسى: «ربُّ السَّماواتِ والأرضِ وما بيَنَهما من فَضاءٍ وأجرامٍ وخَلقٍ ، إنْ كانَ لكم أنْ تَستَيْقنوهُ». قالَ فرعَونُ لملَئِه: «إنَّ رَسولَكم الَّذي أُرسِلَ إلَيكم ، موسى ، لَمَجنونٌ!» ، قالَ موسى: «هوَ رَبُّ المَشرقِ من الأرضِ والمَغربِ وما بيَنَهما إنْ كنتم أسوياءَ الفكرِ عُقلاءَ» ، قالَ فرعَونُ لموسى مُتوعِّداً: «لإن اتَّخذتَ إلاهاً تَدِنْ لهُ غَيري لأجعلَنَّكَ حَتماً من المَسجونينَ».

تعقيبٌ:

التَّهديدُ بالسِّجنِ/الحَجزِ رُغمَ تَقديمِ المَنْطِقِ مِن الْمُهدَّدِ لهوَ التَّعسُّفُ مِن المهدِّدِ ، في قضيَّةٍ عَقيدةٍ. وقد تعدَّدَ حُكْمُ القُرآنِ على فِرعَونَ مِن البَغيِ ، والطُّغيانِ ، والإسرافِ ، والاستِعلاءِ...

٢/أ/٩ قالَتْ: «فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ، وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ، وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ» ، قالَ: «رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ، وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ». [يوسفُ: ٣٢-٣٣]

الشَّرْحُ:

قالت امرأةُ مَلِكِ مِصْرَ ، في عَهدِ النَّبي يوسُفَ ، الَّذي تنَشَّأَ في بَيتِها غُلاماً رَقيقاً ، لجَمعٍ مِن النِّسوةِ كانت قد استَدعتهُنَّ في دارِها بهدَفِ مواجَهتِهِنَّ بالنَّبي يوسُفَ الَّذي شَغَفَها حُبّاً وشاعَ ذَلكَ بَينَهنَّ بالاستنكارِ: «فذَلكنَّ - الانبهارُ والافتتانُ الَّذي تملَّكَهنَّ مِن جَمالِ النَّبي يوسُفَ لدَرجةٍ أزهلَتهنَّ حتَّى قطَّعنَ أيديَهنَّ بما يَحملنَ مِن سكِّينٍ - الَّذي لُمتُنَّني أنْ وقَعتُ فيه ؛ ولقد طَلَبتُ منهُ نَفسَهُ أنْ يُشاطِرَني الهوى فاعتَصمَ بإيمانهِ ولإنْ لَم يُلبِّي طلبي سأعملُ حَتماً على سَجْنِه والتَّصغيرِ من شَأنِه». قالَ يوسُفُ داعياً ربَّهُ: «ربِّي ، أنْ يُوقَعَ بيَ السِّجنُ أحبُّ عندي ممَّا يَدعونَني إليه هَؤُلاءِ النِّسوَةُ مِن الفَحشاءِ ، وإنْ لا تُذهبْ عني كَيدهُنَّ وتدبيرَهُنَّ أملِ إلَيهِنَّ هوىً ، وأكُن مِن الجاهلينَ بمُمارَسةِ الزِّنى».

تعقيبٌ:

مِن مَواعظِ القِصَّةِ النَّهيُ عن إيقاعِ السِّجنِ بإنسانٍ ظُلماً (في قضيَّةٍ اجتماعيةٍ).

٣/أ/٩ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ عدمِ إيقاعِ السِّجنِ ظُلماً:
يوسُفُ: ٧٩ ؛ البَقَرةُ: ٢٣١.

٩/ب/١ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُوْنَ دِماءَكُمْ ، وَلا تُخْرِجُوْنَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ ؛ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُوْنَ. ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ تَقْتُلُوْنَ أَنْفُسَكُمْ ، وَتُخْرِجُوْنَ فَرِيْقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ ، تَظاهَرُوْنَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوانِ ؛ وَإِنْ يَأْتُوْكُمْ أُسارَى تُفادُوهُمْ ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ! أَفَتُؤْمِنُوْنَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُوْنَ بِبَعْضٍ؟! فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ؛ وَيَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّوْنَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذابِ ، وَما اللهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ. [البَقَرة: ٨٤-٨٥]

الشَّرْحُ:

في مَعرِضِ تَذكيرِ اللهِ (عزَّ وجلَّ) بَني إسرائيلَ بأَنْعُمِه علَيهم وتعديدِها الَّتي يَسوقُها القُرآنُ لنا ، أنْ كانَ أخذَ منكم ، يا بَني إسرائيلَ ، عَهداً بعَدمِ إهدارِ بَعضِكم دماءَ بعضٍ ، وأنْ لا يُجْلي بَعضُكم بَعضاً مِن ديارِهم ، فأقرَرْتم على إيجابِ ذَلكَ وأنتم تَشْهدونَ على أنفُسِكم ، ثُمّ هاأنتم تَقتُلونَ بَعضَكم ، وتُخرِجونَ بعضاً آخرَ مِن دُورِهم مُتعاوِنينَ علَيهم بالْمَعصيةِ والاعتداء. وإنْ يَقعْ مِنهم أسْرَى بعدَ إخراجِهم تَدفَعونَ في إطلاقِهم فديةً ، وإخراجُهم مُحَرَّمٌ علَيكم! أفَتؤمِنونَ وتَعملَونَ ببعضِ شَرائعَ وتعاليمِ كتابِ اللهِ إلَيكم وتُسقطونَ بعضَهُ الآخرَ؟! إنَّ جَزاءَ مَن يَسفِكُ الدِّماءَ مِنكم ويُخرِجُ الآخرينَ لا يَقلُّ عن هَوانٍ وفَضيحةٍ يُصيبُهُ اللهُ بهما في حياتِكم الدُّنيا ، والعَذابِ الشَّديدِ في الآخرةِ ، فلا تظنُّوا أنَّ اللهَ غيرُ مُحيطٍ بعملِكم.

تعقيبٌ:

كتابُ اللهِ للأُممِ الْمُختلفةِ واحدٌ ، وما أُمرَ به بَنو إسرائيلَ مأمورٌ به النّاسُ أجمَعون فيما بَينهم لذَلكَ أوردَهُ القُرآنُ: *وَلَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ ، وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُوْنَ عَلَى الَّذِيْنَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ؛*

فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِيْنَ! [البقرة: ٨٩]. النَّفيُ استبداداً بدوافعَ معيشيَّةٍ.

٩/ب/٢ لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِيْنَ لَمْ يُقاتِلُوْكُمْ فِي الدِّيْنِ ، وَلَمْ يُخْرِجُوْكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوْهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِيْنَ ، إِنَّما يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِيْنَ قاتَلُوْكُمْ فِي الدِّيْنِ وَأَخْرَجُوْكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ وَظاهَرُوْا عَلَى إِخْراجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ؛ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظّالِمُوْنَ.

[المُمْتَحَنَة:٨-٩]

الشَّرْحُ:

لا يَنهاكم اللهُ ، أيُّها المؤمنونَ ، عن برِّ الَّذينَ لَم يُحاربوكم في دينِكم ، ولَم يُجلوكم من دُورِكم وأوطانِكم ؛ وأنْ تُحقُّوهم بالقِسطِ (تُوَفُّوهم أقساطَهم بالحَقِّ) ، فاللهُ يُحبُّ المُقسطينَ في التَّعاملِ بينَ النّاسِ ؛ وإنَّما يَنهاكم اللهُ عن الَّذينَ حاربوكم في الدِّينِ ، والَّذينَ أجلَوْكم عن ديارِكم ، والَّذينَ عاوَنوا على إجلائِكم ذاكَ ، أنْ تتَّخذوا أُولَئكَ أولياءَ ؛ ومَن يَتولَّهم منكم فذَلِكَ ظالِمٌ.

تعقيبٌ:

تُجرِّمُ الآياتُ لَيس فقط النَّفيَ ، وإنَّما أيضاً العَونَ عليه دونَ وجهِ حَقٍّ. النَّفيُ استبداداً بدوافعَ عَقيديَّةٍ.

٩/ب/٣ قالَ الْمَلأُ الَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْا مِنْ قَوْمِهِ: «لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنا ، أَوْ لَتَعُوْدُنَّ فِي مِلَّتِنا» ، قالَ: «أَوَلَوْ كُنّا كارِهِيْنَ؟!».

[الأعْرافُ: ٨٨]

الشَّرْحُ:

قالَ العِلْيةُ الَّذين تَكبَّروا مِن قَومِ نَبي اللهِ شُعَيبَ مُهدِّدينَ إيّاهُ: «سنُخرجُكَ حَتماً ياشُعَيبُ ومَن آمنَ معكَ مِن المَوطِنِ ما لَم تَعودوا إلى عَقيدتنا». قالَ شُعَيبُ وأتباعُه:

«أنعودُ للَّتكم ولو كنا رافضينَ لأُسُسِها؟!»

تعقيبٌ:

النَّفيُ استبداداً بدوافعَ فكريَّةٍ اقتصاديَّةٍ (راجع الأعرافَ مِن ٨٥).

(النُّفيُ استبداداً بدوافعَ اجتماعيَّةٍ: راجعِ النَّملَ ٥٦).

٩/ب/٤ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ عَدمِ الإبعادِ عن المَوطنِ ظُلماً وتَعسُّفاً:
البَقَرةُ: ١٩١ ؛ الحَجُّ: ٣٩-٤٠.

١٠

كلُّ فردٍ مُخَوَّلٌ بمُساواةٍ كاملةٍ سَماعاً عادلاً وعَلَنياً من قِبَلِ مَحْكمةٍ مُستقلةٍ غيرِ مُتَحيِّزةٍ ، في تَقريرِ حُقوقِه ، وواجباتِه ؛ وفي تَقريرِ أيِّ تُهمةٍ بالتَّجريمِ ضِدَّهُ.

Everyone is entitled in full equality to a fair and public hearing by an independent and impartial tribunal, in the determination of his rights and obligations and of any criminal charge against him.

عُنصُرها:

وُجوبُ عَلَنيةِ وعدالةِ وحَيْدةِ محاكَمةِ أيِّ فَردٍ للتَّقريرِ في قَضاياهُ.

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

١/١٠ وَ: «تَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ» ؛ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلاَّ كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ. قَالُوا: «مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا؟ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ!» ؛ قَالُوا: «سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ» ؛ قَالُوا: «فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ». قَالُوا: «أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ؟» ؛ قَالَ: «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ، فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ!» ؛ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا: «إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ» ، ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ: «لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ!» ؛ قَالَ: «أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ! أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، أَفَلا تَعْقِلُونَ؟!» ؛ قَالُوا: «حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا

آلِهَتَكُمْ إنْ كُنْتُمْ فاعِلينَ»! [الأنبياءُ: ٥٧-٦٨]

الشَّرْحُ:

مِن قَولٍ لنَبيِ اللهِ إبراهيمَ: «قَسَماً باللهِ لأُدبِّرَنَّ حيلةً للنَّيْلِ من أصنامكم بَعدَ أنْ تَذهبوا عنها مُنصرِفينَ». فجَعَلَ الأصنامَ حُطاماً إلاّ صَنَماً كبيراً منها لعلَّ قَومَه يَرجِعونَ إلى ذَلكَ الصَّنمِ بالسُّؤالِ عَمّا جرَى. قالَ عبَدةُ الأصنامِ: «مَن فَعلَ هَذا بآلهتنا؟» ؛ إنَّهُ لَمِن الظّالمينَ بهَذا الفعلِ!» ؛ قالَ بعضٌ منهم: «سَمِعنا شاباً يَذكُرُهم بالتَّحقيرِ يُدْعَى إبراهيمُ» ؛ قالَ الآخرونَ: «فأتوا بإبراهيمَ على مَرأىً من النّاسِ لعلَّهم يَشهدونَ مُحاسَبَتَهُ. قالوا له: «أأنتَ فَعلتَ هَذا بآلهتِنا يا إبراهيمُ؟» ؛ قالَ إبراهيمُ: «بَلْ فَعلَهُ كبيرُهم هَذا ، فاسألوهم إنْ كانوا يَنطِقونَ». فرَجَعَ القومُ إلى أنفُسِهم يَتشاوَرونَ فيما بَينَهم قائلينَ: «إنَّنا نحنُ الظّالمونَ بتأليهِ جَمادٍ لا يَعقِلُ!» ؛ ثُمَّ انقلَبوا على فِكرِهم وقالوا له: «لقد علِمتَ ما هَؤُلاءِ الأصنامُ يَنطِقونَ» ؛ قالَ إبراهيمُ: «أفتَعبُدونَ مِن غَيرِ اللهِ ما لا يَنفعُكم بشَيءٍ ولا يَضُرُّكم بشيءٍ؟! قُبْحاً لكم وللأصنامِ الَّتي تَعبُدونَها من دُونِ اللهِ ؛ أفلا تَعقِلونَ؟!». قالوا لبعضِهِم: «أحرِقوهُ بالنّارِ حَرقاً انتصاراً لما أوقعَهُ بآلهتِكم من إهانةٍ إنْ كنتم لنَصرِهم رايدونَ».

تعقيبٌ:

تُقدِّمُ لنا الآياتُ صورةً مُتكاملةً لما يَجبُ أنْ تكونَ علَيهِ الْمُحاكمةُ العادلةُ بكلِّ جوانبِها التّاليةِ:

أ - واقِعةٌ ومُتهمٌ (تَحطيمُ الأصنامِ على يَدِ إبراهيمَ).

ب - وُجودُ مادّةٍ عُقوبيّةٍ في قانونِ قَومِ إبراهيمَ لقاءَ ذَلكَ الفعلِ (إنَّهُ لَمِن الظّالمينَ).

ج - وُجودُ شُهودٍ عِيانٍ على الفاعلِ (سَمِعنا فتىً يَذْكُرُهم).

د - إقامةُ مُحاكمةٍ علَنيةٍ (فأتوا به على أعيُنِ النّاسِ).

هـ - عَرضُ التُّهمةِ على الْمُتَّهمِ (أأنتَ فعلتَ هَذا).

و - سَماعُ دفاعِ المُتَّهمِ (بَلْ فعلَهُ ...).

ز - جَلسةُ مُداولَةٍ للقُضاةِ لتحليلِ الدِّفاعِ (فرَجَعوا إلى أنفُسِهم).

ح - جَلسةٌ أُخرَى من الاتِّهامِ (لقد علِمت ...) ، وسَماعِ الدِّفاعِ (أفتَعبُدونَ من دُونِ الله).

وبغضِّ النَّظرِ عمّا صَدرَ عن تلكَ المُحاكمةِ من حُكمٍ فقد كانت نَموذجاً رائعاً يَسُوقُه لنا القُرآنُ للالتزامِ بمَبدأ المُحاكمةِ العلَنيَّةِ العادلةِ في تَوفيرِ فُرصةِ السَّماعِ للمتَّهمِ.

وسُورةُ الأنبياءِ الَّتي تَبدأُ بقولِهِ (تعالى): *اقْتَرَبَ للنَّاسِ حسابُهُم ...* ، وتَنتهي بـ: *قالَ: «ربِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ ؛ وَرَبُّنا الرَّحمَنُ الْمُسْتَعانُ عَلَى ما تَصفُوْنَ»* ؛ والَّتي ورَدَ فيها آياتُ مُحاكمةِ إبراهيمَ المذكورةُ لَنكادُ نُسميِّها "سُورةُ التَّحاكُم" لسيادَةِ أجواءِ التَّحاكُمِ على سِياقِها ، ممّا يُثبتُ إرادةَ الهَدفِ بقَصِّ مُحاكمةِ إبراهيمَ (علَيه السَّلامُ) ؛ ولكَ أنْ تتأمَّلَ من نُصوصِها التّالي:

أ - *وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوا.*

ب - *لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ كِتاباً فيْهِ ذِكْرُكُمْ ، أَفَلا تَعْقِلُوْنَ.*

ج - *قالُوا: «يا وَيْلَنا ، إِنّا كُنّا ظالِمِيْنَ» ؛ فَما زالَتْ تِلْكَ دَعْواهُمْ حَتَّى جَعَلْناهُمْ حَصِيْداً خامِدِيْنَ.*

د - *نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ.*

هـ - *قُلْ: «هاتُوا بُرْهانَكُمْ ، هَذا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ».*

و - *وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ: «إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُوْنِهِ» ، فَذَلِكَ نَجْزِيْهِ جَهَنَّمَ.*

ز - *وَنَضَعُ الْمَوازِيْنَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً.*

ح - *وَلُوْطاً آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً.*

ط - *وَداوُدَ وَسُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيْهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ، وَكُنّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِيْنَ.*

ي - *وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُوْرِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ: الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُوْنَ.*

ك- إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ ، وَيَعْلَمُ ما تَكْتُمُونَ.

٢/١٠ ولَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ ، كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوْءَ وَالْفَحْشاءَ ، إِنَّهُ مِنْ عِبادِنا الْمُخْلَصِيْنَ. وَاسْتَبَقا الْبابَ وَقَدَّتْ قَمِيْصَهُ مِنْ دُبُرٍ ، وَأَلْفَيا سَيِّدَها لَدَى الْبابِ قالَتْ: «ما جَزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِكَ سُوْءاً إِلاّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذابٌ أَلِيْمٌ؟» ؛ قالَ: «هِيَ راوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي». وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها: «إِنْ كانَ قَمِيْصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكاذِبِيْنَ ، وَإِنْ كانَ قَمِيْصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصّادِقِيْنَ» ؛ فَلَمّا رَأى قَمِيْصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قالَ: «إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ، إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيْمٌ. يُوْسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذا ، وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخاطِئِيْنَ». [يوسُفُ: ٢٤-٢٩]

الشَّرْحُ:

ولقد هَمَّت امرأةُ مَلِكِ مصْرَ بنَبي اللهِ يوسُفَ ، إذْ هوَ في بَيتِها ، وهَمَّ بها أنْ يَتشاطَرا الهوَى لَولا أنْ رَأى يوسُفُ بُرهاناً من رَبِّهِ نبَّهَهُ إلى ما أغراهُ به الشَّيْطانُ وذلكَ لنذهبَ ، نحنُ اللهُ ، بالسُّوءِ والعمل غَيرِ الكريمِ عنهُ فإنَّ يوسُفَ من عِبادنا الَّذينَ استخلصناهم للدَّعوةِ بهُدانا. وتسابقَ الْمَرأَنِ أيُّهما يَصلُ إلى بابِ المكانِ أوَّلاً فخَرَقَت المرأةُ قميصَ يوسُفَ مِن وَراءٍ في مُحاولةٍ للحَيلولةِ بَينَه وبَينَ الخُروجِ من البابِ ؛ وحينَ فُتحَ البابُ وجَدا زَوجَها المَلِكَ لدى البابِ كانَ يُوشكُ على الدُّخولِ فبادَرَت هيَ بالقَولِ: «ما جَزاءُ مَن أرادَ اغتصابَ امرأتِكَ إلاّ أنْ يُسجَنَ أو يُعَذَّبَ عذاباً أليماً؟» ؛ فقالَ يوسُفُ: «هيَ طَلَبَت منِّي مُشاطرتَها الهوىَ». وشَهِدَ في الفَصلِ في هَذه الواقعةِ شاهدٌ مِن أهلِ امرأةِ المَلِكِ بأنْ قالَ: «إنْ كانَ قميصُ يوسُفَ قد خُرِقَ مِن أمامٍ فصدَقَت في دعواها ويوسُفُ من الكاذبينَ ، وإنْ كانَ القميصُ خُرِقَ مِن وراءٍ فكَذَبَت وهوَ من الصّادقينَ. فلمّا رأى

الشّاهدُ قميصَ يوسُفَ قد خُرِقَ من وراءٍ قالَ: «إن الواقعةَ مِن كَيْدِكُنّ أيُّها النِّساءُ ، إنَّ كَيدَكُنَّ بَليغٌ. انصرِفْ يا يوسُفُ عن هٰذه الواقعةِ ، واطلُبي أنتِ المغفرةَ لذنبِكِ ، مِن اللهِ - وربُّما مِن زَوجِكِ أيضاً - فإنَّكِ كنتِ مِن الخاطئِينَ بتدبيرِكِ وحيلتِكِ واتِّهامِكِ.

تعقيبٌ:

فيما يَروي القُرآنُ مِن هٰذا الجُزءِ مِن قِصَّةِ النَّبي يوسُفَ صورةٌ مُبسَّطةٌ لقضيَّةٍ ولِما يَجِبُ أنْ تكونَ علَيها الْمُحاكمةُ العادلةُ للفَصلِ فيها ، مُقدِّماً الجوانبَ التّالية:

أ - جُرمٌ لَم يَقعْ (هَمَّت بِه وهَمَّ بها لَوْلا ...).
ب - وُجودُ مادَّةٍ عُقوبيَّةٍ في القانونِ لِقاءَ ذَلِكَ الجُرمِ (... أنْ يُسجَنَ أو عذابٌ أليمٌ).
ج - دَعوَى مِن طَرَفٍ ضِدَّ آخرٍ بريءٍ (... أرادَ بأهلِكَ سُوءً).
د - سَماعُ أقوالِ الْمُتَّهَمِ (هي راوَدَتني).
هـ - التَّثبُّتُ بالدَّليلِ المادِّيِ مِن أقوالِ طَرَفَيِّ النِّزاعِ (إنْ كانَ قميصُهُ قد قُدَّ).
و - الحُكمُ بالعَدلِ في القضيَّةِ على ضَوءِ البَيِّنةِ المادِّيَّةِ (إنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ).
ز - الْمُساواةُ بَينَ طَرَفَيِّ النِّزاعِ في الفَصلِ بَينَهما رُغمَ تفاوُتِ المكانةِ الاجتماعيَّةِ.

والقُرآنُ بأيِّ قصَّةٍ إنَّما يُقدِّمُ لنا كمّاً مِن العُلومِ لاستِخلاصِها فالاقتداءِ بها.

٣/١٠ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ، وَوُضِعَ الْكِتَابُ ، وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ ، وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ؛ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ. [الزُّمَر: ٦٩-٧٠]

الشَّرْحُ:

استَنارَت الأرضُ بنورِ رَبِّها ، ووُضِعَ كتابُ الأعمالِ لكلِّ إنسانٍ وأُحضِرَ النَّبيُّونَ والشُّهداءُ على أعمالِ النّاسِ ، وقُضِيَ بَينَ النّاسِ بالحَقِّ وهم لا يُظلَمونَ ، ثُمّ نُفِّذَ القَضاءُ في كلِّ نَفسٍ بما عَمِلَت ، واللهُ أعلَمُ ممَّن سِواهُ بما يَفعلونَ الآنَ في دُنياهم.

تعقيبٌ:

الآياتُ وصْفٌ للمُحاكَمَةِ الكُبرى (يومَ الحِساب) ، حَيثُ: الأرضُ مكانُ المُحاكمةِ ؛ والإشراقُ بالنُّورِ مِن دلائلِ العلانيَةِ ؛ والكتابُ مُماثِلٌ لملفٍّ قضيَّةِ كلِّ نَفسٍ ؛ وجيءَ بالنَّبيِّينَ الَّذينَ أبلَغوا أقوامَهم قوانينَ وشَرائعَ ربِّهم ؛ والشُّهداءِ (إتِّهامٍ ودِفاعٍ - رُغمَ أنَّ المَولى أعلَمُ مِن الكلِّ بأفعالِ عِبادِه) ، ثُمَّ يَعقُبُ ذَلكَ النُّطقُ بالحُكمِ (القَضاءِ) على النّاسِ دُونَ ظُلمٍ ويُنَفِّذُ الحكمُ إيفاءً لكلِّ نفسٍ ما عَمِلَت مِن خَيرٍ أو شرٍّ. تَربيةٌ وتَعليمٌ للنّاسِ بما يَنبغي أنْ يَسريَ بَينَهم مِن أُسُسٍ في تَحاكُمِهم.

٤/١٠ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ أحقِّيَّةِ كلِّ فَردٍ في مُحاكمةٍ علَنيَّةٍ عادلةٍ للتَّقريرِ في قَضاياهُ:

النُّورُ: ٦-٩ ؛ النِّساءُ: ٣٥ و ١٣٥ ؛ القيامةُ: ١٣.

١١

أ – كلُّ فردٍ متَّهمٍ بجرمٍ يُعاقَبُ عليهِ لهُ الحَقُّ في أنْ يُفترَضَ فيهِ البَراءةُ حتَّى تَثْبُت إدانتُهُ وفقاً للقانونِ في مُحاكَمةٍ علَنيَّةٍ يَحصلُ فيها على كلِّ الضَّماناتِ اللازمة لدفاعه عن نَفسه.

ب – لا يُمسَكُ أحدٌ باحتِسابِهِ مُذنباً بجُرمٍ ما يُعاقَبُ عليهِ على أساسِ أيِّ فعلٍ أو إغفالٍ صَدَرَ منهُ لم يُسنَنْ فيه تَجريمٌ يُعاقَبُ علَيهِ في وقتِ ارتكابِهِ تحتَ طائلةِ قانونٍ قَوميٍّ أو أُمَميٍّ ؛ ولا أنْ تُفرَضَ علَيهِ عُقوبةٌ أقسى مِن تلكَ الَّتي كانت تَنطبقُ في وقتِ ارتكابِ الجُرمِ المُعاقَبِ عليه.

a- Everyone charged with a penal offence has the right to be presumed innocent until proceed guilty according to law in a public trial at whcih he has had all the guarrantees necessary for his defence.

b- No one shall be held guilty of any penal offence on account of any act or omission which did not constitute a penal offence, under national or international law, at the time when it was committed. Nor shall a heavier penalty be imposed than the one that was applicable at the time the penal offence was committed.

عُنصُراها:

أ – المُتَّهمُ بَريءٌ حتَّى تَثْبُت إدانتُهُ بتوفيرِ كلِّ ضَماناتِ الدِّفاعِ.

ب – لا تَجريمَ بدونِ قانونٍ ، ولا مُعاقبةَ بما يفُوقُهُ.

تَقديمٌ:

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ: «لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً؟!» ؛ قَالُوا: «مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ ، وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ». [الأعْراف: ١٦٤]

الشَّرْحُ:

وحينَ قالت أُمَّةٌ من أُمَمِ (أسباطِ) بَني إسرائيلَ الاثنتي عَشْرَةَ لبعضٍ منها: «لماذا تُحَذِّرونَ وتُنذرونَ قوماً ، مِن بَني إسرائيلَ ، سيُهلِكُهم اللهُ بظُلمهم أو هوَ سيُعذِّبُهم عَذاباً شديداً بما كانوا يَفسُقون؟!» ، قالَ الأوَّلونَ: «ليكونَ لربِّكُم العُذرُ في إهلاكِهم أو تَعذيبِهِ إيّاهم ، وأمَلاً في أنْ يَتراجعوا عَمّا هم فيهِ ويُصلِحوا قبلَ فواتِ الأوانِ.

تعقيبٌ:

تُقيمُ هَذِه الآيةُ مَبدأ عَقدِ المُحاكمةِ غيرِ المُتحيِّزةِ لتَقريرِ أيِّ تُهمةٍ بالتَّجريمِ ضِدَّ إنسانٍ ؛ إضافةً لمبدأ وُجوبِ وُجودِ التَّشريعِ قبلَ التَّحكيمِ أو الاتِّهامِ وتَوفيرِ كلِّ فُرَصِ الضَّمانِ لتبرئَةِ ساحتِه.

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ الأُخرى:

١١/أ/١ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا ، إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى ما فَعَلْتُمْ نادِمينَ. [الحُجُرات: ٦]

الشَّرْحُ:

يا مَن آمَنتُم باللهِ وملائكتِهِ وكتبِهِ ورُسُلِهِ واليَومِ الآخِرِ ، إنْ جاءَكُم خارجٌ مِن النّاسِ عن الحَقِّ والصَّوابِ بادِّعاءٍ ، فاستَبينوا صِحَّتَهُ أولاً لأنْ لا تُوقِعوا مُصيبةً عن جهلٍ بالحَقيقةِ بالقَومِ المُدَّعَى عليهِم ، ثُمَّ تَستبِنُ لكم بعدَ ذَلِكَ براءتُهم مِمّا ادُّعِيَ علَيهم فتُصبِحوا نادمينَ على ما فَعلتموه بهم مِن إصابةٍ.

تعقيبٌ:

الادِّعاءُ اتِّهامٌ ، مِن أيِّ نَوعٍ كانَ: جِنائيّاً ، أو حُقوقيّاً ، أو عَقائديّاً ، أو اجتماعيّاً.

١١/أ/٢ وَالَّذينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانينَ جَلْدَةً ، وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أَبَداً ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ ، إلاَّ الَّذينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحيمٌ. وَالَّذينَ

يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ، وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ، وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ. [النُّورُ: ٤-٩]

الشَّرْحُ:

الَّذينَ يَتَّهمونَ من النّاسِ النِّساءَ العَفيفات ، مُتزوِّجات وأبكاراً ، بتُهمة الزِّنا ولَم يكُن لهم أنْ يَأتوا بأربعةِ شُهداءٍ على صِحَّةِ اتِّهامِهم فاجلِدوا أُولَئكَ المُتَّهِمينَ ثمانينَ جَلدةً ؛ وفوقَ ذَلكَ لا تَقبَلوا لهم شَهادةً أبداً - فمثلُ أُولَئكَ هُم الخارِجونَ عن الحقِّ لا المُحْصَنات - باستثناءِ مَن تابَ منهم بعدَ جُرمِه وأصلحَ خطأَهُ ومَسْلَكَهُ فتُقبَلُ لهم الشَّهادةُ ، فإنَّ اللهَ غفورٌ رَحيمٌ. والَّذينَ يَتَّهِمونَ ، من الرِّجالِ أساساً ، أزواجَهم بتُهمةِ الزِّنا ولَم يكُن لهم سواهُم مَن يَشهَدُ على صِحَّةِ اتِّهامِهم فعلَيه أنْ يُقسمَ بالله أربعَ مراتٍ أنَّهُ من الصَّادقينَ مؤكِّداً في اتِّهامِه ، وفي الخامسِ أنَّ لَعنةَ الله عليه إنْ كانَ من الكاذبينَ ؛ ومعَ ذَلكَ يَحُولُ دُونَ إيقاعِ العُقوبةِ المَنصوصِ علَيها بالمُتَّهَمةِ لَو أنَّها تُقْسمُ باللهِ أربعَ مراتٍ أنَّ زَوجَها مِن الكاذبينَ مؤكِّداً ، وفي الخامسِ أنَّ علَيها غَضبَ الله إنْ كانَ مِن الصَّادقينَ.

تعقيبٌ:

تُهمةٌ اجتماعيّةٌ ؛ زادَت الآيةُ فيها على حُدودِ الضَّمانِ للمتَّهَمِ مُعاقبةَ المُتَّهِمِ بِلا أربعةِ شُهودٍ ، في الشَّطرِ الأوَّلِ.

٣/أ/١١ «وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ أَنْ لاَ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي

يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّماواتِ والأَرْضِ ، ويَعْلَمُ ما تُخْفُوْنَ وما تُعْلِنُوْنَ!
اللَّهُ لا إِلاهَ إِلاّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيْمِ» ؛ قالَ: «سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ
كُنْتَ مِنَ الْكاذِبِيْنَ». [النَّمل: ٢٤-٢٧]

الشَّرْحُ:

وَجدتُ أنا الهُدهُدُ ملِكةَ سَبَأٍ وقومَها يَسجُدونَ للشَّمسِ عِبادةً مِن دُونِ اللهِ وزَيَّنَ لهم الشَّيْطانُ أعمالَهم بما مَنعَهم عن اتِّخاذِ طَريقِ الحقِّ اهتداءً بالسُّجودِ للهِ الَّذي لا يَخفَى علَيهِ أمرٌ مُختبئٌ في السَّماواتِ والأرضِ ، ويَعلمُ ما تُخفونَ مِن أمرٍ في صُدورِكم ، أيُّها البَشرُ ، وما تُعلِنونَ عنه ، ذَلكَ اللهُ ربُّ العَرشِ العَظيمِ ، والَّذي لا إلاهَ إلاّ هوَ. قالَ النَّبيُّ سُلَيْمانُ ، الَّذي وجَّهَ الهُدهُدُ إليهِ الخِطابَ: «سنَرَى إنْ كُنتَ صادقاً فيما أَتَيتَ بهِ مِن ادِّعاءٍ أو كنتَ كاذِباً».

تعقيبٌ:

تُهمةٌ عقيديَّةٌ ؛ يَحرِصُ نَبيُّ اللهِ على التَّثَبُّتِ مِن صِحَّتِها رُغمَ تأكيدِ الهُدهُدِ ابتداءً بيَقينيَّةِ النَّبأِ (راجع الآية: ٢٢).

١١/أ/٤ ومِنَ الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ بَراءةِ المُتَّهَمِ حتَّى تَثبُتَ إدانتُهُ:
النِّساءُ: ١١٢ ؛ الجاثِيةُ: ٢٨-٢٩ ؛ الحُجُراتُ: ١٢ ؛ الأنبياءُ: ٥٩-٦٨ ؛ يوسُفُ: ٢٥-٢٨ ؛ الزُّمَرُ: ٦٩-٧٠.

١١/ب/١ إِنَّما جَزاءُ الَّذِيْنَ يُحارِبُوْنَ اللَّهَ وَرَسُوْلَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَساداً أَنْ
يُقَتَّلُوا ، أَوْ يُصَلَّبُوا ، أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيْهِمْ وأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ ، أَوْ
يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ؛ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا ، ولَهُمْ فِي الآخِرَةِ
عَذابٌ عَظِيْمٌ ؛ إِلاّ الَّذِيْنَ تابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ، فاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ غَفُوْرٌ رَحِيْمٌ. [المائِدةُ: ٣٣-٣٤]

الشَّرْحُ:

إنَّ جَزاءَ الَّذين يُحاربونَ شَريعةَ اللهِ وسُنَّةَ رَسولِهِ بالإبطالِ ، أو التَّسفيهِ ، أو غيرِهما ، وهم دائبوا الإفسادِ في الأرضِ قتلاً ، أو زناً ، أو سَرِقةً ، أو اعتداءً ، أو ترويجاً وبثّاً لأيِّ لونٍ من ألوانِ الإفسادِ العَديدةِ لحياةِ النّاسِ وبيئةِ الأرضِ – جَزاؤهم أنْ يُقْتلوا بِلا رَحمةٍ ، أو يُصلَبوا تَعذيباً ، أو تُقَطَّعَ لهم يدٌ ورجلٌ مُتخالِفتانِ ، أو يُنفَوا من مَواطنِهم ، وذَلكَ إخزاءٌ لهم في حَياتِهِم ، ولهم في أُخراهم عذابٌ عظيمٌ من اللهِ. يُستَثنى من مُعاقبةِ هَؤُلاءِ مَن تابَ عن فعلِهِ وانتهَى من قَبلِ أنْ تَعلَموا بهم أو يقعوا في أيْديكم أو ، من بابِ أَوْلى ، يَنزلَ في فِعلِهِم هَذا الحُكمُ ، فاعلموا أنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ بالنّاسِ.

٨١/ب/٢ الَّذِيْنَ يأكُلُوْنَ الرِّبا لا يَقُوْمُوْنَ إلاّ كَما يَقُوْمُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ ، ذَلِكَ بِأنَّهُمْ قالُوْا: «إنَّما الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا» ، وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا ، فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فانْتَهَى فَلَهُ ما سَلَفَ وَأَمْرُهُ إلَى اللَّهِ ، وَمَنْ عادَ فَأُولَئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُوْنَ. [البَقَرةُ: ٢٧٥]

الشَّرْحُ:

الَّذين يَتكسَّبونَ بالرِّبا ، وهي الاستزادةُ في المالِ من إقراضِه أيّاً كانَ مَصرِفُه أو مَردودُه فإنَّ حياتَهم لا تَقومُ قيامَها الطَّبيعيَّ السَّليمَ ، وإنَّما كحياةِ مَن بِهِ مَسٌّ من الشَّيطانِ فهوَ يَتخبَّطُ في مَسيرِ حياتِهِ (أو يَقومُ من قَبرِه يَومَ القيامةِ مُتعثِّراً لا يَستطيعُ المشيَ سَوِيّاً) ، ذَلكَ بأنَّهم جَعلوا مُمارَسةَ الرِّبا كالبَيْعِ (الشِّراءِ والاشتراءِ) ، واللهُ قد حَرَّمَها وجَعَلَ البيعَ حَلالاً. فمَن كانَ يأكلُ الرِّبا عن غَيرِ علمٍ بحُرمتِها أو يَقينٍ بأنَّ ما يُمارِسُه هوَ من الرِّبا ثم عَلِمَ وتَيقَّنَ ، مُتَّعظاً ، بكَيفيةٍ ما ، من اللهِ فانتهى عن مُمارستِها فيَحلُّ له ما سَبَقَ أنْ أكلَهُ وأمرُ خَطئِه مَوكولٌ إلى اللهِ ، ومَن عادَ بعدَ

الموعظة يأكلُ الرِّبا فأُولَئكَ لهم النّارُ في الآخرةِ خالدينَ فيها.

تعقيبٌ:

جُرمٌ اقتصاديٌّ.

٨١/ب/٣ وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إلاّ ما قَدْ سَلَفَ ؛ إنَّهُ كانَ فاحِشَةً ، وَمَقْتاً ، وَساءَ سَبِيْلاً. [النِّساء: ٢٢]

الشَّرْحُ:

لا تتزوَّجوا النِّساءَ اللاتي سَبَقَ أنْ تَزوَّجَهنّ آباؤكم ؛ فمَن كانَ تزوَّجَ مِن قَبلِ أنْ يَعلمَ بهَذا بزَوْجٍ سابقٍ لأبيهِ فلَهُ زواجُه ؛ إنَّ الزَّواجَ ممَّن كانَ الآباءُ قد تَزوَّجوهنَّ لَهُوَ أمرٌ قَبيحٌ ، وأمرٌ بَغيضٌ ، وطَريقاً اجتماعيَّةً سيِّئةِ العَواقبِ.

تعقيبٌ:

جُرمٌ اجتماعيٌّ ؛ وحكمةُ الشَّرعِ تَتجاوزُ عَمّا سَبَقَ حُصولُه قبلَ التَّشريعِ لما ترتَّبَ عليه مِن بُنيانٍ اجتماعيٍّ يَضُرُّ هَدمُهُ.

٨١/ب/٤ يا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا ، لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ ، هَدْياً بالِغَ الْكَعْبَةِ ، أَوْ كَفّارَةٌ طَعامُ مَساكِيْنَ ، أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياماً ، لِيَذُوْقَ وَبالَ أَمْرِهِ ؛ عَفا اللّهُ عَمّا سَلَفَ وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ ، وَاللّهُ عَزِيْزٌ ذُو انْتِقامٍ. [المائدة: ٩٥]

الشَّرْحُ:

يا مَن آمَنتم باللهِ وملائكتِهِ وكتبِهِ ورسلِهِ واليَومِ الآخرِ ، لا تَقتُلوا ما يُصطادُ مِن الحيواناتِ والطُّيورِ البَرِّيَّةِ وأنتم مُحرِمونَ في حَجٍّ أو عُمرَةٍ ، ومَن قَتلَهُ منكم مُتعمِّداً عن علمٍ بهَذا التَّشريعِ فجزاؤه إهداءٌ مُماثِلٌ مِن الأنعامِ (الإبلِ ، والبَقرِ ، والغَنمِ ، والمَعزِ)

يُحدِّدُه حكمانِ عادلانِ مِن المُؤمنينَ ويُقدِّمُه في منطقةِ الكعبةِ طعاماً للفُقراءِ والمساكينِ والمُنقطعِ سفَراً عن ديارِه ومالِه ؛ أو يُكفِّرُ عن ذَلكَ بإطعامِ مَساكينَ بمقدارِ ذَلكَ الهَديِ ؛ أو ما يُعادلُ ذَلكَ العَددَ مِن المساكينِ أيّاماً يَصومُها ليَذوقَ نَتيجةَ فعلِه. عَفا اللهُ عمّا سَبقَ نُزولَ هَذا التَّشريعِ أو العلمِ بِه مِن قَتلِ الصَّيدِ ، ومَن عادَ يَفعلُه بعدَ العلمِ فيَنتقمُ اللهُ منه بهَذا الجَزاءِ ، واللهُ عزيزٌ مُنتقمٌ.

تعقيبٌ:

في هَذا التَّشريعِ دَرجةٌ مِن الحمايةِ للحياةِ البَرِّيَّةِ لبيئةِ الحَرمِ حيثُ يَحتشدُ في أوقاتٍ مُتفرِّقةٍ مِن السَّنةِ آلافُ المُحرمينَ حُجّاجاً ومُعتمرينَ ؛ والمَبدأُ قائمُ التَّطبيقِ حيثُما تَوفَّرت نَفسُ الظُّروفِ.

٨١/ب/٥ مَن اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً.

[الإسراءُ:١٥]

الشَّرْحُ:

مَن اهتَدى برسالةِ اللهِ للنّاسِ فإنَّ هُداهُ لنَفسِه مغانمَه ، ومَن ضلَّ عن رسالةِ اللهِ فإنَّ ضَلالَه يَعودُ على نَفسِه بعواقِبِه ؛ وما مِن نَفسٍ تَحملُ عن نفسٍ جَرائرَها ؛ وما كُنّا ، نحنُ اللهُ وجُنودُه ، لنُعذِّبَ أُناساً لَم نَبعثْ لهدايتِهم رَسولاً بكتابِنا (شرائعَ ومنهجاً).

٨١/ب/٦ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ عَدمِ التَّجريمِ بدونِ مادَّةٍ عُقوبيَّةٍ أو مُعاقبةٍ بما يَفوقُها:

الأنْعامُ: ١٢٠ و ١٥٧ ؛ المؤمِنونَ: ١٠٣-١٠٦ ؛ النَّحلُ: ١١٩ ؛ القَصَصُ: ٨٤ ؛ غافِرُ: ٤٠ ؛ النَّجمُ: ٣١ ؛ الحَديدُ: ٢٥ ؛ النِّساءُ: ٢٣ ؛ يوسُفُ: ٧٥ و ٧٦.

ويَدْعَمُ القُرآنُ الكريمُ عدالةَ التَّحاكمِ بالنَّصِّ على عَددٍ مِن السُّلوكيّاتِ الَّتي تَضمنُ قَضاءً قِسطاً ، منها:-

١- النَّهيُ عن شَهادةِ الزُّورِ (الفُرْقانُ: ٧٢ ؛ الحَجُّ: ٣٠).
٢- وُجوبُ أداءِ الشَّهادةِ وعدمِ كِتمانِها (البَقَرةُ: ٢٨٣).
٣- اِستجابةُ أيٍّ مَن يَستطيعُ الكتابةَ بكتابةِ الحُقوقِ (بأجرٍ أو بدونٍ) حينَ الطَّلبِ (البَقَرةُ: ٢٨٢).
٤- عَدمُ الإضرارِ بالشُّهداءِ وكُتّابِ الحُقوقِ (البَقَرةُ: ٢٨٢).

هَذا ، ويَكادُ يُضيفُ حَقّاً آخَرَ في هَذا الصَّددِ بتَجريمِ إلصاقِ الذُّنوبِ المُقترَفةِ بالأبرياءِ ؛ باحتسابِ ذَلِكَ جُرماً قائماً بذاتِه ؛ أيْ: إضافةً للذَّنبِ الحَقيقيِّ المُقترَفِ (النِّساءُ: ١١٢).

١٢

لا يَتعرَّضْ أحدٌ لتَدَخُّلٍ تَعسُّفيٍّ في خُصوصيّاته ؛ أو شؤونِ أُسرَتِه ؛ أو مَنزِله ؛ أو مُراسلاته ؛ ولا للتَّهجُّمِ على شَرَفِه وسُمعتِه. كُلُّ فَردٍ لهُ الحَقُّ في حِمايةِ القانونِ له ضِدَّ ذَلكَ التَّدخُّلِ أو التَّهجُّمِ.

No one shall be subjected to arbitrary interference with his privacy, family, home or correspondence, nor to attacks upon his honour and reputation. Everyone has the right to the protection of the law against such interference or attacks.

عُنصُرها:

عَدمُ التَّعرُّضِ لخُصوصيّاتِ أيِّ إنسانٍ: الشَّخصيَّةِ والبَيتيَّةِ ؛ أو سُمعتِهِ وشَرَفِهِ بحمايةِ القانونِ.

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

١/١٢ يا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا ، لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُوْنُوا خَيْراً
مِنْهُمْ ؛ وَلا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ ؛ وَلا تَلْمِزُوا
أَنْفُسَكُمْ ؛ وَلا تَنابَزُوا بِالأَلْقابِ ، بِئْسَ الاسمُ: "الْفُسُوْقُ بَعْدَ الإِيْمانِ"!
وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظّالِمُوْنَ. يا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا ، اجْتَنِبُوا كَثِيْراً
مِنَ الظَّنِّ ، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلا تَجَسَّسُوا ؛ وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ
بَعْضاً ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيْهِ مَيْتاً؟! فَكَرِهْتُمُوهُ! وَاتَّقُوا
اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ تَوّابٌ رَحِيْمٌ. [الحُجُرات: ١١-١٢]

الشَّرْحُ:

يا مَن آمَنتم باللهِ وملائكتِه وكتبِهِ ورُسُلِه واليَومِ الآخرِ ، لا يَسخَرْ رِجالٌ مِن رِجالٍ لَرُبَّما

يكونونَ خَيراً مِن السّاخرينَ مِنهم ؛ ولا يَسخرْ نِساءٌ مِن نِساءٍ لَربَّما يكُنَّ خيراً مِن الساخِراتِ مِنهُنَّ ؛ ولا تَتعايَبوا فيما بَينكم ؛ ولا تُحطُّوا مِن أقدارِ بعضِكم بما لهم مِن ألقابٍ ، فذَلِكَ فُسوقٌ مِنكم بعدَ أنْ تكونوا آمَنتم ؛ وياله مِن وصفٍ بائسٍ "الفُسوقُ بعدَ الإيمانِ"! ومَن لَم يَتُب عن إتيانِ السُّخرِيَةِ أو اللَّمزِ أو التَّنابُزِ بالألقابِ بعدَ هَذا التَّشريعِ فأُولَئكَ هُم الظّالمونَ. يا مَن آمَنتم ، تَجنَّبوا كثيراً مِن سُوءِ الظَّنِّ بالنَّاسِ ، فإنَّ بَعضاً مِن ظُنونِ السُّوءِ بالنّاسِ تكونُ ذَنْباً على أصحابِها ؛ ولا يَتجسَّسْ بعضُكم على خُصوصيّاتِ الآخرينَ أيّاً كانوا وكانَ نَوعُ خُصوصيّاتهم ؛ ولا يَذكُرُ بَعضُكم البعضَ الآخرَ في غيابِهِ بما يَسوءُه ، فمَثَلُ ذَلِكَ كأكلِ أحدِكم لَحمَ أخيهِ الإنسانِ وهوَ مَيِّتٌ ... أفَتُحبُّونَ هَذا؟! بَلْ تكرَهونَهُ. واجتَنِبوا مَعصيةَ اللهِ تَحاشياً لِنقْمَتِهِ ، إنَّ اللهَ يَتوبُ على الْمُخْطئينَ ؛ رحيمٌ بعبادِهِ أجمعينَ.

تعقيبٌ:

- النَّهيُ عنِ السُّخريَةِ مِنِ الآخَرينَ يَتضمَّنُ حَتماً النَّهيَ عنِ الْمَساسِ بسُمعتِهم وشَرَفِهم وهُما درجةٌ أعلى.
- سُوءُ الظَّنِّ بالنّاسِ ألطَفُ درجاتِ الْمَساسِ بالسُّمعةِ والشَّرَفِ.

٢/١٢ يا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا ، لا تَدْخُلُوا بُيُوْتاً غَيْرَ بُيُوْتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِها ؛ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُوْنَ. فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيْها أَحَداً فَلا تَدْخُلُوْها حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ ؛ وَإِنْ قِيْلَ لَكُم: «ارْجِعُوا!» فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ ، وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُوْنَ عَلِيْمٌ. [النُّور: ٢٧-٢٨]

الشَّرْحُ:

يا مَن آمَنتم باللهِ وملائكته وكتبِهِ ورُسُلِهِ واليَومِ الآخِرِ ، لا تَدخُلوا بُيوتاً غيرَ بُيوتِكم حتّى تُقدِّموا الأُلفةَ والْمَودَّةَ لأنفُسِكم وتُسلِّموا على أهلِها ، ذَلِكَ خَيْرٌ لكم لعلَّكم تَذَكَّرونَ أنْ تُداوِموا على فِعلِهِ ؛ فإنْ لَم تَجدوا فيها أحداً فلا تَدخُلوها حتَّى يَأذنَ أصحابُها أو

وُكلاؤها أو وُلاةُ الأمرِ لكم بدُخولِها ؛ وإنْ قالَ لكم أهلُها أو وُكلاؤها أنْ تَرجعوا عن دُخولِها فارجِعوا ، فالرُّجُوعُ أزكى لكم مِن الانتظارِ على أبوابِها أو الإلحاحِ بالدُّخولِ ، واللهُ يَعلَمُ ما تَعمَلونَ مِن سَيِّءٍ أو حَسَنٍ.

٣/١٢ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. [النُّور: ٢٣]

الشَّرْحُ:

إنَّ الَّذينَ يَقذِفونَ مِن النَّاسِ العَفيفاتِ مِن النِّساءِ ، مُتزوِّجاتٍ وأبكاراً ، المُؤمناتِ باللهِ ومَحارِمِهِ ، غيرَ العالِماتِ بما يُكادُ لَهُنَّ ؛ أُولَئِكَ النَّاسُ عليهِم اللَّعنةُ في الدُّنيا وفي الآخِرةِ ، ويَستحقُّونَ عذاباً عظيماً في الدُّنيا أو الآخرة.

٤/١٢ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ عدمِ التَّعرُّضِ لخُصوصيَّاتِ وشَرَفِ أيِّ إنسانٍ:

القلمُ: ١٠-١٢.

١٣

أ - كلُّ فردٍ لهُ الحقُّ في حُرِّيَّةِ التَّنقُّلِ واختيارِ مَحلِّ إقامته ضمنَ حُدودِ كلِّ قُطْرٍ.
ب- كلُّ فَردٍ لهُ الحَقُّ في مُغادرةِ أيِّ قُطْرٍ بما في ذَلكَ قُطْرِه ؛ وأنْ يَعودَ إلى قُطْرِه.

a- Everyone has the right to freedom of movement and residence within the borders of each state.
b- Everyone has the right to leave any country, including his own, and to return to his country.

عُنصُراها:

أ - حُرِّيَّةُ التَّواجُدِ حيثُما يَشاءُ الإنسانُ من مَوطنه.
ب - حُرِّيَّةُ المُغادرةِ والعَودةِ للمَوْطِنِ.

تقديمٌ:

احتِسابُ القُرآنِ للمَوطِنِ ذُو شِقَّينِ: مَحدودٌ ؛ ومُطْلَقٌ. فالقُرآنُ يُقرُّ المَوطِنَ المحدودَ للإنسانِ ويَحفظُ لهُ حقَّهُ في البقاءِ فيه بمَشيئَتِه (الدّارُ أو القَريَةُ) ، ولَكنَّهُ يَمُدُّ لهُ هَذا الحقَّ إلى أقطابِ الأرضِ برُمَّتِها كمَوطِنٍ مُطلَقٍ يُهاجِرُ من وإلى أجزائِه في أيِّ وقتٍ يَشاءُ لأنَّ اللهَ هوَ المالكُ الأوحدُ لكلِّ مَوطِنٍ. ذانِكَ الوجهانِ من الحقِّ مكفولانِ بشَرطِ الالتزامِ بشرائعِ اللهِ الواردةِ في القُرآنِ جُملةً مُبلورَةً في عَدمِ الإفسادِ في الأرضِ بما يَضُرُّ أخيهِ الإنسانِ اجتماعياً أو أمنياً أو بيئياً ، أو أنْ يَمَسَّ ذَلكَ الضَّررُ حياةَ المكانِ الفِطريَّةِ من نباتيَّةٍ وحَيوانيَّةٍ. يَدْعَمُ ما أورَدنا من مفاهيمَ مَجموعةُ الآياتِ التّاليةِ:

١- *قُلْ: «يا أَيُّها النّاسُ ، إنِّي رَسُوْلُ اللهِ إلَيْكُمْ جَميْعاً ؛ الَّذيْ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالأرْضِ ، لا إلاهَ إلاّ هُوَ يُحْيي وَيُميْتُ» ؛ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ ، النَّبيِّ الأُمِّيِّ الَّذيْ يُؤْمِنُ بِاللهِ*

وَكَلِماتِه ، وَاتَّبِعُوْهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَ. [الأعراف: ١٥٨]

تعقيبٌ: ملكيَّةُ اللهِ للأرضِ.

٢- إِنَّ قارُوْنَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوْسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ، وَآتَيْناهُ مِنَ الْكُنُوْزِ ما إِنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوْءُ بِالْعُصْبَةِ أُلِي الْقُوَّةِ ؛ إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ: «لا تَفْرَحْ ، إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِيْنَ ؛ وَابْتَغِ فِيْما آتاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ؛ وَلا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيا ؛ وَأَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ؛ وَلا تَبْغِ الْفَسادَ فِي الأَرْضِ ، إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِيْنَ». [القَصَص: ٧٦-٧٧]

تعقيبٌ: إفسادٌ اجتماعيٌّ ؛ تؤكِّدُه الآياتُ التّاليةُ لهَتَينِ الآيتَينِ.

٣- وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوْسَى لِقَوْمِهِ ، فَقُلْنا: «اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ» ، فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً ، قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ ؛ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ ، وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِيْنَ. [البَقَرة: ٦٠]

تعقيبٌ: ما نُهِيَ عنهُ بَنو إسرائيلَ هُنا قائمٌ ومُوَجَّهٌ لكلِّ قارئٍ للقُرآنِ مُستمِعٍ لهُ ؛ والآياتُ التّالياتُ لهذه الآيةِ تُؤكِّدُ مَعنى الإفسادِ الأمْنيِّ ضِمنَ غيرِه.

٤- قالُوا: «تاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَما كُنّا سارِقِيْنَ!». [يوسُف: ٧٣]

تعقيبٌ: إفسادٌ أمْنيٌّ.

٥- وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها ، وَادْعُوْهُ خَوْفاً وَطَمَعاً ، إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيْبٌ مِنَ الْمُحْسِنِيْنَ. [الأعْراف: ٥٦]

تعقيبٌ: سِياقُ الآياتِ السّابقةِ والتّاليةِ لهذه الآيةِ يُؤكِّدُ مَفهومَ النَّهيِ عن الإفسادِ البِيئيِّ.

٦- وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ، وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى ما فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ ؛ وَإِذا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيْها وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ، وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ. [البَقَرة: ٢٠٤-٢٠٥]

الشَّرْحُ:

مِن النَّاسِ مَن يُعجِبُكَ حَديثُهُ في الحياةِ ، وهوَ يُشهِدُ اللهَ لكَ على ما يَزعُمُ في قلبِهِ مِن صِدْقٍ ، فيما هوَ ألدُّ الخُصومِ لِمُستمِعِهِ ، وللنَّاسِ عُموماً! فإذا ذَهبَ عمَّن كانَ يَتحدَّثُ إليه عمِلَ دائباً على الإفسادِ في الأرضِ بما يُهلِكُ نباتَها ونسلَ أحيائِها ، واللهُ لا يُحبُّ الفَسادَ.

٧- *إنَّما جَزاءُ الَّذِيْنَ يُحارِبُوْنَ اللَّهَ وَرَسُوْلَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا ، أَوْ يُصَلَّبُوا ، أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيْهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ ، أَوْ يُنْفَوا مِن الأَرْضِ ؛ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا ، وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيْمٌ.* [المائدةُ: ٣٣]

الشَّرْحُ:

إنَّ جَزاءَ الَّذين يُحاربونَ شَريعةَ اللهِ وسُنَّةَ رَسولِهِ بالإبطالِ ، أو التَّسفيهِ ، أو غَيرِهما ، وهم دائبوا الإفسادِ في الأرضِ قَتلاً ، أو زِناً ، أو سَرِقةً ، أو اعتداءً ، أو تَرويجاً وبَثّاً لأيِّ لَونٍ مِن ألوانِ الإفسادِ العَديدةِ لحياةِ النَّاسِ وبيئَةِ الأرضِ - جَزاؤهم أنْ يُقتلوا بِلا رَحمةٍ ، أو يُصلَبوا تَعذيباً ، أو تُقَطَّعَ لهم يدٌ ورِجلٌ مُتخالفتانِ ، أو يُنفَوا مِن مَواطنِهم ، وذَلكَ إخزاءٌ لهم في حَياتِهِم ، ولهم في أُخراهم عذابٌ عظيمٌ مِن اللهِ.

تعقيبٌ: تِلكَ أحكامُ اللهِ على مَن فيهِم المُفسِدينَ في الأرضِ.

٨- ومِن آياتِ النَّهيِ الأُخرى عن الإفسادِ في الأرضِ:
المائدةُ: ٣٢ ؛ الأعْرافُ: ٧٤ و ٨٥ ؛ البَقَرةُ: ١١ و ٢٧ ؛ الرَّعدُ: ٢٥.

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

١٣/أ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوْسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْها حَيْثُ يَشاءُ ؛ نُصِيْبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ وَلا نُضِيْعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِيْنَ. [يوسُفُ: ٥٦]

الشَّرْحُ:

بما جَعَلنا يوسُفَ النَّبيَّ مِن المُخلَصينَ لِمَلكِ مِصرَ ، حافِظاً بعلمِهِ لِخَزائنِ المملَكةِ ؛

جَعلناهُ ، نحنُ اللهُ ، بتَقواهُ وصَبرِهِ وإحسانِه مُستقرَّ المكانِ آمناً في مِصرَ ، يُقيمُ منها حيثُ يَشاءُ ؛ وكذَلكَ نُنْزِلُ رَحمتَنا على مَن نَشاءُ مِن عِبادِنا بصلاحِهِم ، ولا نُضيعُ أجرَ المُحْسنينَ عَملاً.

١٣/ب/١ وَمَا لَكُمْ لا تُقاتِلُوْنَ فِي سَبِيْلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِيْنَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالْوِلْدانِ الَّذِيْنَ يَقُوْلُوْنَ: «رَبَّنَا ، أَخْرِجْنا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظّالِمِ أَهْلُها ؛ وَاجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً ؛ وَاجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيْراً».
[النِّساءُ: ٧٥]

الشَّرْحُ:

ما يَمنعُكم أنْ تُقاتِلوا مِن أجلِ إقامَةِ وإقرارِ شرائعَ وسُنَنِ اللهِ ، ودِفاعاً عن المغلوبينَ بضَعفِهِم مِن الرِّجالِ والنِّساءِ والوِلدانِ (ذُكوراً وإناثاً) ؛ الَّذينَ يَقولونَ: «رَبَّنا اخرِجْنا مِن هَذهِ البَلْدةِ الظّالمِ أهلُها بتهيئَةِ الحَولِ والحِيلةِ ؛ واوهِبْ لنا مَن يَتولَّى أمرَنا مِن أمرِكَ ؛ واجعلْ لنا مَن يَنصُرُنا بإذنِكَ على الظّالمينَ.

تعقيبٌ:

دُعاءُ المُستَضعَفينَ يَعني حَيْلولةَ الظّالمينَ بَينَهم ومُغادرةِ المَوْطنِ.

١٣/ب/٢ إنَّ الَّذِيْنَ تَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ ، قالُوا: «فِيْمَ كُنْتُمْ؟» ؛ قالُوا: «كُنّا مُسْتَضْعَفِيْنَ فِي الأَرْضِ» ؛ قالُوا: «أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيْها؟!» ؛ فَأُوْلَئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ ، وَساءَتْ مَصِيْراً ، إلاّ الْمُسْتَضْعَفِيْنَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالْوِلْدانِ ، لا يَسْتَطِيْعُوْنَ حِيْلَةً وَلا يَهْتَدُوْنَ سَبِيْلاً. [النِّساءُ: ٩٧-٩٨]

الشَّرْحُ:

إنَّ الَّذينَ تَقومُ الملائكةُ بتَوَفِّيهِم ، قُبَيلَ مَماتِهِم ، مِمَّن ظَلَموا أنفُسَهم في الدُّنيا ،

يَقولُ لهم الملائكةُ: «في أيِّ عَملٍ وظُروفٍ كُنتم؟» ؛ يقولُ الظّالمونَ: «كُنّا مَغلوبينَ على أمرِنا في الأرضِ لضَعفِنا»! تَقولُ لهُم الملائكةُ: «ألَمْ تكُنْ أرضُ اللهِ واسعةً فتُهاجِروا فيها؟!». أُولَئكَ الظّالمونَ سَيكونُ مأواهم يَومَ القيامةِ جَهنَّمُ وهيَ مَصيرٌ سيِّءٌ؛ إلاّ مَن كانوا مُستَضعَفينَ مِن الرِّجالِ (لِمَرضِهم ، أو لشَيْخوختِهِم ، أو لِغَيرِهِ) ، والنِّساءِ ، والوِلدانِ (الصِّغارِ مِن الجِنسَينِ) ، الَّذينَ لا يَقدِرونَ على حِيلةٍ للهجرةِ ولا يَعرِفونَ الطَّريقَ إليها.

٣/١٣ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ حَقِّ الإنسانِ في الهجرةِ في أرجاءِ الأرضِ كمَوطنٍ مُطلَقٍ:
البَقَرةُ: ١٤٢ ؛ العَنكَبوتُ: ٥٦ ؛ النِّساءُ: ١٠٠ ؛ سَبَأُ: ١٨-١٩ ؛ الرَّحمانُ: ١٠.

١٤

أ - كلُّ فردٍ لهُ الحقُّ في أنْ ينشُدَ وأنْ يَستمتِعَ باللُّجوءِ السِّياسيِّ مِن القَضاءِ في بلدٍ آخرٍ.
ب- لا يَجوزُ أنْ يُنشَدَ هذا الحقُّ في حالةِ قضايا ناشئةٍ حَقيقةً عن جرائمَ غيرِ سياسيَّةٍ أو أفعالٍ مُنافيةٍ لأهدافِ ومَبادئِ الأمَمِ المتَّحدة.

a- Everyone has the right to seek and to enjoy in other countries asylum from prosecution.
b- This right may not be invoked in the case of prosecutions genuinely arising from non-political crimes or from acts contrary to the purposes and principles of the United Nation.

عُنصُرُها:

حَقُّ كلِّ فَردٍ في اللُّجوءِ الى بَلدٍ آخَرٍ في غَيرِ إثْمٍ مَدَنيٍّ /حُقوقيٍّ ، أو ضِدَّ مَبادئِ الأممِ المتَّحدة.

تَقديمٌ:

"سياسيٌّ": بمَفهومٍ فِكريٍّ: سياسيّاً أو عقيدياً.

"بلدٌ" بمَفهومِ مَجموعةٍ بشَريَّةٍ بأيِّ حجمٍ كانَت. ويُدنِّي القُرآنُ حَجمَ تلكَ المجموعةِ إلى حدِّ الفَردِ الواحدِ ؛ أيْ أنَّ اللُّجوءَ يَصحُّ إلى الأفرادِ بنَفسِ المبادئِ. وبالنِّسبةِ للقُرآنِ ، يكونُ ذَلكَ في غَيرِ انتهاكٍ لحُدودِ اللهِ ولا ضِدَّ مَبادئِ القُرآنِ.

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

١/١٤ إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ،
وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ؛ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ
يُهَاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا ، وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ

فِي الدِّيْنِ فَعَلَيْكُم النَّصْرُ إلاّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ؛ وَاللهُ بِما تَعْمَلُوْنَ بَصِيرٌ. [الأنفال: ٧٢]

الشَّرْحُ:

إنَّ الَّذينَ آمَنوا باللهِ وملائكتِهِ وكتبِهِ ورُسُلِهِ واليَومِ الآخرِ ، وهاجَروا التجاءً بعَقيدتِهم ، وبَذلوا الجَهدَ لإعلائِها بأموالِهم وأنفُسِهم ابتغاءَ وجْهِ اللهِ وبشرعِهِ ؛ والَّذينَ ألجَأُوهُم ونَصروا قَضيَّتَهُم فالفِئتانِ يُوالي بَعضُهُم بعضاً. أمّا الَّذينَ آمَنوا ولَم يَطلُبوا اللُّجوءَ فلَيسو أولياءَكم في شَيءٍ حتَّى يُهاجِروا لاجئينَ إلَيكم ؛ وإنْ طَلَبوا مِنكم مُناصرتَهُم في الدِّينِ/العَقيدةِ فيَجبُ علَيكُم نَصرُهم ، لَكِنْ لا تُناصِروهم على قَومٍ بينَكُم وبينَهُم ميثاقُ سلامٍ وعدمِ اعتداءٍ ؛ واللهُ بصيرٌ بما تَعمَلونَ فيُحاسِبُكم علَيه.

٢/١٤ ياأَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا ، إذا جاءَكُم الْمُؤْمِنَاتُ مُهاجِراتٍ فَامْتَحِنُوْهُنَّ ، اللهُ أَعْلَمُ بِإيْمانِهِنَّ ، فَإنْ عَلِمْتُمُوْهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوْهُنَّ إلَى الْكُفَّارِ ، لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّوْنَ لَهُنَّ ، وَآتُوْهُمْ ما أَنْفَقُوا ؛ وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوْهُنَّ إذا آتَيْتُمُوْهُنَّ أُجُورَهُنَّ. وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ ، وَاسْأَلُوا ما أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا ما أَنْفَقُوا ، ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ، وَاللهُ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ. [الْمُمْتَحَنَةُ: ١٠]

الشَّرْحُ:

يا مَن آمَنتم باللهِ وملائكتِهِ وكتبِهِ ورُسُلِهِ واليَومِ الآخرِ ، إذا جاءَكُم المؤمناتُ لاجئاتٍ فحقِّقوا معهُنَّ ، اللهُ أعلمُ منكُم بإيمانِهِنَّ من عدمِه ، فإنْ تبيَّنَ لكم أنَّهُنَّ مُؤمناتٌ فلا تَرجِعوهُنَّ إلى الكُفّارِ لأنَّهُنَّ صِرنَ بإيمانِهِنَّ حَراماً زَواجُهُنَّ منهم ، استمراراً أو ابتداءً ؛ ولا الكُفّارُ حلالاً أنْ يَتزوَّجوا بِهِنَّ أو أنْ يَستمروا لهُنَّ أزواجاً ؛ واعطوا الكُفّارَ ما كانوا قدْ دَفعوا لزوجاتِهِم قَبلَ الإيمانِ اللاجئاتِ مِن مُهورٍ ؛ ولا جُنحةَ مِنكم أنْ تَتزوَّجوهُنَّ إذا

دَفعتم لهُنَّ مُهورَهُنَّ. ولا تُبقوا على زَوجاتِكُم الكافِراتِ في عِصَمِكُم (طلِّقوهُنَّ) ، واطلبوا منهُنَّ أو مِن أولياءِ أُمورِهِنَّ ردَ ما أنفقتُم مُهوراً لهُنَّ ، وليَطلبُ الكُفَّارُ مُهورَ زَوجاتِهِم قَبلَ الإيمانِ اللاجئات. ذَلِكُم حُكمُ اللهِ يَحكُمُ بهِ بينَكُم ، واللهُ عليمٌ بشؤونِ عبادِهِ ، حَكيمٌ في تَصريفِها والقَضاءِ فيها.

٣/١٤ إلاّ الَّذِيْنَ يَصِلُوْنَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ، أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُوْرُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوْكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوْكُمْ ؛ فَإِنِ اعْتَزَلُوْكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوْكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيْلاً. [النِّساءُ: ٩٠]

الشَّرْحُ:

عندَ حَربِكُم ، خُذوا الْمُنافقينَ واقتُلوهم أينَما وجدتموهُم ، ولا تتَّخذوا مِن أيِّهِم مواليَاً ولا مُناصِراً في حَربِكُم ؛ إلاّ الَّذينَ لهم صِلَةٌ بقَومٍ بينَكُم وبينَهُم ميثاقُ سلامٍ وعدمِ اعتداءٍ فلا تُقاتِلوهُم ؛ أو إنْ لجَأوا إلَيكُم وقد ضاقَت نُفوسُهُم عن أنْ يُقاتِلوكم أو أنْ يُقاتِلوا قَومَهُم ، ذَلِكَ لأنَّ اللهَ كانَ يُمكنُ أنْ يُسلِّطَهُم عليكم فيُقاتِلونَكُم ؛ فإذا اجتنَبوا قِتالَكُم وسالَموكم باللُّجوءِ إليكم فما جَعلَ اللهُ لكم علَيهِم مِن مَأخَذٍ.

٤/١٤ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ حقِّ كلِّ فردٍ في اللُّجوءِ السِّياسيِّ في غَيرِ إثْمٍ مَدَنيٍّ /حُقوقيٍّ ولا بضِدِّ شَرعِ اللهِ:

التَّوْبةُ: ٦ ؛ النُّورُ: ٢٢.

١٥

أ - كلُّ فردٍ لهُ الحقُّ في التَّمتُّعِ بجنسيَّةٍ.
ب- لا يُحرَمْ أحدٌ تعسُّفياً من جنسيَّتِهِ ، ولا أنْ يُنْكَرَ عليهِ الحقُّ في تغييرِ جنسيَّتِه.

a- Everyone has the right to a nationality.
b- No one shall be arbitrarily deprived of his nationality nor denied the right to change his nationality.

عُنصُراها:

أ - الحقُّ في التَّمتُّعِ بجنسيَّةٍ.
ب- حَقُّ كلِّ فَردٍ في الإبقاءِ على جنسيَّتِهِ أو تغييرِها بمشيئَتِه.

مَعنى تَمتُّعِ إنسانٍ بجنسيَّةٍ هوَ أنْ تكُونَ لهُ ديارٌ يَنتمي إلَيها ويَحقُّ لهُ العَيشُ حُرّاً في رُبوعِها سَواءٌ إتَّخذَ انتماؤهُ ذَلكَ شكلاً عُرفيّاً أمْ وثائقيّاً ؛ ومِن ثَمَّ ، فالحرمانُ من الجنسيَّةِ تعسُّفياً يَقتضي الإخراجَ مِن المَوطنِ ، أيْ بغَيرِ إرادةِ المُواطنِ ، أو المنعَ من العَودةِ إليه. والحرمانُ من تغييرِ الجنسيَّةِ لَهوَ الاحتجازُ داخلَ الموطنِ ، أيْ عدمُ السَّماحِ بمغادرَتِهِ ، أو عدمُ السَّماحِ باستبدالِهِ هجرةً منه. هَذهِ المفاهيمُ كلُّها قدْ غُطِّيَت في المادَّةِ الثَّالثةَ عَشْرةَ من حُقوقِ الإنسانِ كما سبَقَ.

فإنْ كانَ مَسموحاً لإنسانٍ ما بحقِّ العَيْشِ حُرّاً في رُبوعِ مَوطنٍ ما دونَ اعترافِ عَشيرةِ ذَلكَ الموطنِ بانتمائِهِ إليهِ ، على الرَّغمِ من عدمِ انتمائِهِ لموطنٍ آخَرٍ ، ومِن ثَمَّ تَجرُّدُهُ من الاحتسابِ (الجنسيِّ) الَّذي يُمكِّنُه من قَبولِ عَشائرِ الأوطانِ الأُخرَى لهُ مُهاجِراً إلَيها ، فلا نَجِدُ إسماً لذَلكَ اللا اعترافِ سوى "عُنصُريَّةٍ بَيِّنةٍ".

وعَدمُ سماحِ عَشيرةٍ أُخرى ، في تلكَ الحالةِ ، بقَبولِ مِثلِ ذَلكَ الإنسانِ للعَيشِ في رُبوعِ

وطنها دونَ مُبرِّرٍ من إخلالٍ بشرعِ اللّهِ ، كالإفسادِ في الأرضِ ، لَنَراهُ أيضاً مِن قَبيلِ العُنصُريَّةِ ؛ وتعسُّفاً في مُعظمِ حالاتِ الاستمتاعِ بانتماءٍ لعَشيرةٍ أُخرى ؛ مَوْقِفانِ يُناهِضانِ أحكامَ اللّهِ وشَرعِه.

وقد سجَّلَ العالَمُ الحرُّ ، في الغَربِ ، أكثرَ من سابقةٍ إنسانيَّةٍ في النِّصفِ الآخَرِ من هَذا القَرنِ العشرينَ بقَبولِ أُناسٍ أخرجَتهُم عَشيرةُ مَواطنِهِم لأسبابٍ عُنصُريَّةٍ ، أو خَرجوا منها نَجْياً مِن الظُّلمِ إلى مياهِ البَحرِ الأُمَميَّةِ (الدَّوليَّةِ).

وقد قَصَّ علينا القُرآنُ مثالاً للحالة الثّانية بقَولِه (عزَّ وجَلَّ) في سُورةِ الكَهْفِ:

إذْ أَوى الْفِتْيَةُ إلَى الْكَهْفِ فَقالُوا: «رَبَّنا ، آتنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً (١٠).
هَؤُلاءِ قَوْمُنا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً (١٥).
وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَما يَعْبُدُونَ ، إلاّ اللّهَ ، فَأْوُوا إلَى الْكَهْفِ ؛ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً (١٦).
إنَّهُمْ إنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ، وَلَنْ تُفْلِحُوا إذاً أَبَداً (٢٠)».

١٦

أ - الرِّجالُ والنِّساءُ البالِغونَ لهم الحَقُّ دونَ أيِّ تَحديدٍ يَعودُ للعُنصرِ ، أو الجِنسيَّةِ ، أو الدِّينِ في أنْ يَتزوَّجوا ويُكوِّنوا أُسرةً. إنَّهُم مُخوَّلونَ حُقوقاً مُتساويةً بالنِّسبةِ للزَّواجِ خِلالَ انعقادِه وعِندَ فضِّه.

ب - يَتمُّ الارتباطُ بالزَّواجِ بالرِّضا الحُرِّ والتّامِّ للزَّوجَينِ المُزْمِعَين.

ج - الأُسرةُ هيَ الوِحدةُ التَّجمُّعيَّةُ الطَّبيعيَّةُ والأساسيَّةُ للمُجتمَعِ ، وتُخَوَّلُ الحِمايةَ مِن قِبَلِ المُجتمَعِ والدَّولةِ.

a- Men and women of full age, without any limitation due to race, nationality or religion, have the right to marry and to found a family. They are entitled to equal rights as to marriage, during marriage and at its dissolution.

b- Marriage shall be entered into only with the free and full consent of the intending spouses.

c- The family is the natural and fundamental group unit of society and is entitled to protection by society and the state.

عناصرُها:

أ - أحقِّيَّةُ كلِّ إنسانٍ في التَّزوُّجِ وتكوينِ أُسرةٍ على نَفسِ الأُسُسِ ، عَقداً أو فضّاً للزَّواجِ.

ب - ضَرورةُ رِضاءِ وحُرِّيَّةِ طَرَفَي الزَّواجِ في إتمامِه.

ج - وُجوبُ اعترافِ المُجتمَعِ بالأُسرةِ وحِمايتِه لبِنيَتِها.

تقديمٌ:

لا يُبيحُ القُرآنُ زواجَ "المُسلِمِ" بغَيرِ مُؤمِنةٍ باللهِ ، أو بمُشركةٍ في عِبادتِها لهُ أيَّ شَيءٍ ؛ ولا زَواجَ المُسلِمَةِ برسالةِ النَّبي مُحمَّدٍ بغيرِ المُسلِمِ بها ، وذلكَ استثناءً مِن أيِّ فارِقٍ آخَرٍ بينَ النّاسِ كالعُنصرِ مَثَلاً.

والتَّقييدُ في حالةِ المرأةِ لأنَّ القاعدةَ في الزَّوجَينِ تتَّجهُ نحوَ تَسليمِ المرأةِ ، فِطرَةً ثُمَّ بحُكمِ

القرآن ، لقيادة الرَّجل ، والتَّسليمُ يَعني تَعطيلَ القوانينِ الخاصَّة بالمرأة (ولَو جُزئيّاً) إفساحاً لإقامةِ قَوانينِ الزَّوجِ في مُعظَمِ ما يَتعلَّقُ بتَسييرِ مَركَبِ الحياةِ الزَّوجيَّة ؛ والقاعدةُ ، من ثَمَّ ، أنَّ هَذا ما سيَحدُثُ لمجموعةِ شَرائعِ القُرآنِ ومنهجِهِ إذا كانَت تَختلفُ لَدى الزَّوجِ عنها لَدى امرأتِه "المُسلمة". ولأنَّ مجموعةَ شَرائعِ القُرآنِ ومنهجِهِ وَزَّعَت الحُقوقَ والواجباتِ بالتَّكافؤِ مُحصِّلَةً بينَ الزَّوجَينِ فكَيفَ يَكونُ للمرأةِ "المُسلمة" التزامَ واجباتِها تجاهَ زَوجٍ لها لا يَلتزمُ بواجباتِ الرَّجلِ "المُسلمِ" تِجاهَها ، لِعَدمِ إيمانِهِ بالشَّرائعِ المُلزِمةِ بتلكَ الواجبات!

من هُنا يَنشأُ خَلَلٌ في العلاقةِ بينَ الزَّوجَينِ ؛ كذَلكَ يَنشأُ لاحقاً بينَ الأبناءِ والآباءِ بما يُهدِّدُ بالتَّفتُّتِ الأُسَريِّ ، وهُوَ عَكسُ ما هَدَفَت إليه هَذه المادَّةُ من حُقوقِ الإنسانِ للأُمَمِ المُتَّحدةِ ، من حمايةِ الأُسرَةِ كوحدةٍ اجتماعيَّةٍ أساسيَّةٍ ، وسبَقَت نُصُوصُ القُرآنِ بالدَّعوةِ إلَيها (حمايةً من الدّاخلِ أوَّلاً). ثُمَّ يَكونُ القُرآنُ ، لَو أباحَ ذَلكَ الزَّواجَ ، قد تَركَ ثَغرةً تَهدِمُ ما يَبنيه ، من إقامَتِه دُستوراً للحياةِ ؛ فما بالُكَ إنْ رَأى البعضُ حَلَّ هَذه المُعادَلةِ بخُروجِ "المُسلمَة" عن دينِها إلى دينِ زَوجِها غيرِ المُسلم! إنَّهُ الانفضاضُ عن دينِ الله الَّذي أُنزِلَ القُرآنُ على الرَّسولِ يَدعوانِ إليه ... وقد نَصَّت المادَّةُ: ٢٩-ج من إعلانِ الأُمَمِ المُتَّحدةِ على عَدمِ جَوازِ مُمارَسةِ حُقوقِ الإنسانِ وحُرِّيّاتِه بما يُعارِضُ مَراميَ ومبادئَ الأُمَمِ المُتَّحدةِ ؛ وكذَلكَ يَفعلُ القُرآنُ!

وقد أرَى الغَربُ أعلى مُعدَّلاتٍ للانهياراتِ والتَّصدُّعاتِ الأُسَريَّةِ (ومِن ورائها تَتأثَّرُ بِنيَةُ المُجتمعِ) لدَرجةٍ جَعلَت القانونَ في بَلدٍ كالسُّويدِ يَتدخَّلُ في تَحديدِ أساليبِ تَربيةِ الأُسرةِ لأبنائها (بتَجريمِ ضَربِ الأبناءِ مَثلاً) ، الأمرُ الَّذي نَصَّت على رَفضِه المادَّةُ الثّانيةَ عَشْرَةَ (١٢) من حُقوقِ الإنسانِ للأُمَمِ المُتَّحدة. هَذا عدا تَقديمَ الغربِ أيضاً لأدنى مُعدَّلاتٍ للزِّيجات ؛ وما ذا وذاكَ إلاّ بسَبَبِ الاحتكامِ في تَسييرِ علاقاتِ الإنسانِ لَدَيه لتَقنيناتٍ وضعيَّةٍ اجتهاديَّةٍ ؛ فإنْ كانَ قد بَدا مَثيلٌ لذَيْنِكَ المَظهرَينِ الاجتماعيَّينِ في بَلدٍ يُعلنُ القُرآنَ ديناً لهُ ، فمَرجِعُهُ الوحيدُ إمّا لتَعطيلِ المُجتمَعِ فيه تَطبيقَ مَجموعةِ شرائعِ القُرآنِ ومَنهجِه ، أو سُوءِ تَطبيقِها!

وزَواجُ "المُسلمِ" برسالةِ مُحَمَّدٍ من الكتابيَّةِ ، أيْ المُسلمةِ فقط برسالةِ نَبيِّ اللهِ موسى (اليَهوديَّة) ، أو المُسلمةِ فقط برسالَتَيْ موسى وعيسى (النَّصرانيَّة) ، دُونَ شركٍ بالله بائنٍ ، لهوَ

أضيَقُ الفَجواتِ عَقيدياً في هَذا الصَّدَدِ دَرءاً للتَّصدُّعاتِ الأُسَريَّةِ ، لأنَّ التَّعاليمَ الأصليَّةَ للكتابَينِ لها نَفسُ أساسِ التَّعاليمِ القُرآنيَّةِ.

في الجِهةِ الأُخرى ، زادَ القُرآنُ في حُقوقِ الأزواجِ مِن النِّساءِ على الرِّجالِ ، حينَ انعقادِ الزَّواجِ ، وخلالَهُ ، وعندَ فضِّهِ ، بأنْ فَرضَ على الرَّجلِ إمتاعَ زَوجِهِ قدرَ استطاعتِهِ بالمَعروفِ (راجع العُنصُرَين: ٢/أ و ٢٢/أ/٢).

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

١/أ/١٦ وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ، وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ؛ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. [الرُّوم: ٢١]

الشَّرْحُ:

ومِن دَلائلِ اللهِ وعلاماتِهِ على رُبوبيَّتِهِ لكم أيُّها النّاسُ أنَّهُ خَلَقَ لكم مِن أنفُسِكُم أزواجاً لكم ، إناثاً للذُّكورِ وذُكوراً للإناثِ ، ذَلِكَ لتَتحقَّقَ السَّكينةُ الحسِّيَّةُ والنَّفسيَّةُ والذِّهنيَّةُ لكلِّ جِنسٍ بزواجِهِ مِن الجِّنسِ الآخَرِ ؛ وجَعلَ بَينَكم حينَ الزَّواجِ مَودَّةً ورَحمةً مِن أحدِكما للآخَرِ لتقويةِ التَّزاوجِ واستِمرارِهِ. إنَّ في ذَلِكَ لأكثَرَ مِن آيةٍ لأُناسٍ هُم قادِرونَ على إعمالِ الفِكرِ وتقليبِهِ.

تعقيبٌ:

التَّعليلُ: "لِتَسكُنوا" يُقيمُ مَبدأَ حقِّ كلِّ إنسانٍ في التَّزوُّجِ دونَ استثناءٍ.
مِن أنفُسِكم تَعني كَبَشَرٍ عُموماً ، ومِن أنفُسِكم كشُعوبٍ وقبائلَ.

٢/أ/١٦ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ - وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ ، وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ - وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ ، وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ؛ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ

عمَلُهُ ، وَهُوَ في الآخِرَةِ مِن الْخاسِرِيْنَ. [المائدة: ٥]

الشَّرْحُ:

اليَومَ - يَومَ اكتملَ للمؤمنِينَ دينُهُم ، وتَمَّت علَيهِم نِعمةُ اللهِ وارتضَى لهم الإسلامَ برسالةِ النَبيِّ مُحمَّدٍ - صارَت الطَّيباتُ مِن مأكلٍ وملبَسٍ وغيرِهِ حَلالاً لكم - وأيضاً طَعامُ الَّذينَ أوتو الكتابَ ، توراةً وإنجيلاً ، صارَ حَلالاً لكم ، وطَعامُكم كذَلكَ حَلالٌ لهم - وحَلالٌ زَواجُكم مِن العَفيفاتِ (غَيرِ البَغايا) مِن المؤمناتِ باللهِ وملائكتهِ وكتبِهِ ورُسُلِهِ واليَومِ الآخِرِ ، والعَفيفاتِ مِن الَّذينَ أوتوا الكتابَ مِن قَبلِكُم ، إذا دَفعتُم لأولَئكَ العَفيفاتِ مِن الفِئَتينِ مُهورَهُنَّ مُفضينَ إلَيهُنَّ عن تكاتُبٍ وتَزوُّجٍ لا شُيوعاً ولا مُتَّخذينَ منهُنَّ خَليلاتٍ (يَختَصُّ الرَّجلُ وحدَهُ بامرأةٍ لَكِنْ على غيرِ تكاتُبٍ). ومَن يُنكِرُ ويُعرِضُ عن الإيمانِ فقد سَقَطَ وفشِلَ عملُهُ في الدُّنيا ، وهوَ في الآخِرَةِ مِن الخاسِرينَ حِسابُهُ.

٣/أ/١٦ وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ ، وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ؛ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه ، واللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ. وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه. وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ فَكاتِبُوهُمْ ، إِنْ عَلِمتُمْ فِيهِمْ خَيْراً ، وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتاكُمْ ؛ ولا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيا ؛ وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ. [النُّور: ٣٢-٣٣]

الشَّرْحُ:

زَوِّجوا العزابَ مِن رِجالِكم ونِسائِكم ، وزوِّجوا الصَّالحينَ ديناً وعقلاً وبَدَناً مِن مَماليكِكُم الذُّكورِ (العَبيدِ) والإناثِ (الإماءِ) وإنْ كانوا فُقراءَ مِن هؤُلاءِ أو أُولَئكَ فإنَّ اللهَ

يَتولَّى إغناءَهم مِن فَضلِهِ ، واللهُ واسعُ الفَضلِ والرِّزقِ ، عَليمٌ بأحوالِ عبادِه. ولْيَلتزمِ التَّعفُّفَ ، وهوَ هُنا التَّرفُّعُ عن الحاجةِ الجنسيَّةِ ، مَن لا يَجدونَ زواجاً مِن رجالِكم ونِسائِكم حتَّى يُغنيَهُم اللهُ بالزَّواجِ مِن فَضلِه ، والَّذين يَنشُدونَ مِن مَماليكِكُم عقدَ الزَّواجِ على العَزباواتِ مِن نسائِكم ، أو مِن إمائِكم ، فكاتِبوهُم إنْ رأيْتُم فيهم مِن الخَيرِ ما يُؤهِّلُهم لذَلكَ ، بَلْ وأعْطوهم ممَّا أنعمَ اللهُ علَيكم بِهِ مِن مالٍ ما يَستعينونَ بهِ على إتمامِ الزَّواجِ. ولا تُجبِروا فتياتِكم المملوكات ، ومِن بابِ أوْلَى غيرَهُنَّ مِن فَتياتٍ في كَفالتِكم ، على مُمارَسةِ البِغاءِ وهُنَّ يُرِدْنَ التَّعفُّفَ بالتَّزوُّجِ ، نُشداناً منكم لفائدةٍ دُنيَويَّةٍ عارضةٍ ماديَّةٍ أو عَمليَّةٍ أو مَعنويَّةٍ ، ومَنْ يقَعْنَ في البِغاءِ مُكرَهاتٍ فإنَّ اللهَ يَغفرُ لَهُنَّ إتيانَ الزِّنا.

تعقيبٌ:

"زَوِّجوا" تَعني: اِقبَلوا طَلَباتِ الزَّواجِ أو اعرِضوه ؛ وليسَ زَوِّجوا بالإكراه.

١٦/أ/٤ وزَكَرِيّاً إذْ نادَى رَبَّهُ: «رَبِّ ، لا تَذَرْني فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِيْنَ» ؛ فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَوَهَبْنا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ ؛ إنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُوْنَ فِي الْخَيْراتِ ، وَيَدْعُوْنَنا رَغَباً وَرَهَباً ، وَكانُوا لَنا خاشِعِيْنَ. [الأنبياء: ٨٩-٩٠]

الشَّرْحُ:

ومِن رُسُلِنا نَبيُّ اللهِ زَكَرِيّا عندَما دَعا رَبَّهُ بصَوتٍ مَسموعٍ: «رَبِّي ، لا تَدَعْني وحيداً بِلا ذُرِّيَّةٍ تَرِثُني معَ إقراري بأنَّكَ خَيرُ الوارثِينَ» ؛ فاستَجبنا ، نحنُ اللهُ ، لهُ ووَهَبنا لهُ وَلَدَهُ النَّبيَّ يَحْيا ، وجَعلنا زَوجَهُ مِن الصّالحاتِ ديناً وعَملاً ؛ إنَّهُم الثَّلاثةُ كانوا يُسارِعونَ في عَملِ الخَيراتِ ، ويَدعوننا رَغبةً في خَيرِ الدُّنيا والآخرَةِ ، ورَهبةً مِن أنْ يَحلَّ بِهِم غَضبُنا وعذابُنا ، وكانوا لنا مُتَذلِّلينَ خاضعينَ.

١٦/أ/٥ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ أحقِّيَّةِ كلِّ إنسانٍ في التَّزوُّجِ وتكوينِ

أسرة:
النَّحلُ: ٧٢ ؛ آلُ عمرانَ: ١٤ ؛ النِّساءُ: ٣ ؛ الفُرقانُ: ٧٤ ؛ القيامةُ: ٣٧-٣٩ ؛ النَّبأُ: ٨ ؛ الأعرافُ: ١٨٩.

١٦/ب/١ يا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا ، لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً ؛ وَلا تَعْضُلُوْهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوْهُنَّ إِلاّ أَنْ يأْتِيْنَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ؛ وَعاشِرُوْهُنَّ بِالْمَعْرُوْفِ ، فَإِنْ كَرِهْتُمُوْهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيْهِ خَيْراً كَثِيْراً. [النِّساءُ: ١٩]

الشَّرْحُ:

يا مَن آمَنتم باللهِ وملائكتِهِ وكتبِهِ ورُسُلِهِ واليَومِ الآخِرِ ، لَيسَ حَلالاً لكم أنْ تتزوَّجوا النِّساءَ إرثاً على كُرهٍ منهُنَّ ، ولَيسَ حَلالاً لكم أنْ تُضيِّقوا وتُشدِّدوا علَيهِنَّ بهَدفِ أنْ تَأخُذوا منهُنَّ بعضَ ما آتَيتموهُنَّ من مَتاعٍ إذْ تزوَّجتموهُنَّ إلاّ بسَبَبِ فاحشةٍ واضحةِ البَيانِ يكُنَّ فَعَلنها ؛ وعاشِروهُنَّ ، مَعيشيّاً وجِنسيّاً ، بالمَعروفِ ، فإنْ كرِهتُموهُنَّ فلرُبَّما لخَيرٍ كثيرٍ يُريدُهُ اللهُ بالطَّرفَينِ.

١٦/ب/٢ وَإِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوْهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ إِذا تَراضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوْفِ ؛ ذَلِكَ يُوْعَظُ بِهِ مَنْ كانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ؛ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ، وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُوْنَ. [البَقَرةُ: ٢٣٢]

الشَّرْحُ:

وإذا منكم مَن نَوَى وأعلَنَ طلاقَ زَوجِهِ ثُمَّ انقضَت فَترةُ العدَّةِ علَيها ، إنْ كانَت لها عدَّةٌ ، فحانَ ولَزِمَ انفصالُ وتَباعُدُ الزَوجَينِ ، غَيرَ أنَّهُما كانا قد رَضيَ أحدُهما عن الآخَرِ خِلالَ الفَترةِ السّابقةِ ، فلا تُضيِّقوا على المرأةِ وتَمنَعوها أنْ تَستأنِفَ حياتَها

زَوجاً لرَجُلِها بالمعروفِ ؛ ذاكَ التَّشريعُ يُوعَظُ بهِ مَن كانَ منكم يؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ ، فذٰلكم أزكى وأطهرُ لكم أفراداً ومُجتمعاً. واللهُ يَعلمُ الأصوبَ والأصلحَ ، وأنتم لا تَعلمونَ مثلَ علمِه.

٨٦/ب/٣ قالَتْ إحْداهُما: «يا أَبَتِ ، اسْتَأْجِرْهُ ، إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ» ؛ قالَ: «إنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إحْدَى ابْنَتَيَّ هٰتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمانِيَ حِجَجٍ ، فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَما أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ، سَتَجِدُنِي إنْ شاءَ اللّٰهُ مِنَ الصّالِحِينَ» ؛ قالَ: «ذٰلِكَ بَيْنِي وبَيْنَكَ ؛ أَيَّما الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوانَ عَلَيَّ ، واللّٰهُ عَلَى ما نَقُولُ وَكِيلٌ». [القَصَص: ٢٦-٢٨]

الشَّرْحُ:

قالَت إحدى ابنتَي الشَّيْخِ (قيلَ نَبيُّ اللهِ شُعَيْبُ) اللَّتينِ سَقَى لهما نَبيُّ اللهِ موسى بهائمَهُما تَطوُّعاً: «يا أبي ، اتَّخِذْ موسى أجيراً لرعايةِ البهائِمِ ، فإنَّ خَيرَ مَن تَستأجِرُ لذٰلكَ مَن هوَ قَويٌّ وأمينٌ كموسى» ؛ قالَ أبوهما لموسى: «إنِّي أُريدُ أنْ أُزوِّجَك إحدى ابنتَي هٰتَينِ (في الحينِ) على أنْ تَدفعَ أجرَها ، أي مَهرَها ، ثمانيَ سنينَ من رِعايةِ البَهائمِ ، فإنْ أتمَمتَ الثَّمانيَ عَشْراً ففَضلٌ من عندِكَ ؛ وما أُريدُ أنْ أشُقَّ عليكَ في هٰذا المَهرِ ، بَلْ سَتجدُني إنْ شاءَ اللهُ من الصّالِحينَ». قالَ موسى: «ذٰلكَ عَهدٌ بَيني وبَينكَ ؛ أيّاً مِن الأجَلَينِ ، الثَّماني أو العَشْرِ ، قَضيتُهُ فلا تَعَدٍّ عليَّ بنَقضِ العَهدِ أو بغَيرِهِ ، واللهُ وكيلٌ على تَعاهُدِنا».

تعقيبٌ:

رُغمَ أنَّ القُرآنَ لَم يُبيِّنْ لنا أيَّ الفتاتَينِ أصبحَت زَوجاً لنَبيِّ اللهِ موسى ، فهُناكَ أمرانِ جَديرانِ بالمُلاحظةِ في الآياتِ السّابقةِ ؛ أوَّلُهُما: أنَّ تَرشيحَ إحدى الفَتاتَينِ موسى للاستِئجارِ على مَسمَعٍ مِنهُ لَيَنُمُّ بوضوحٍ عن إعجابِ تلكَ الفَتاةِ بموسى ،

خاصةً لو أنَّها كانَت هيَ نَفسُها الَّتي ذَهبَت إليهِ على استحياءٍ تُبلغُهُ دَعوةَ أبيها لهُ ليَجزيَهُ أجرَ خدمتِهِ ، ومن ثَمَّ استَشعرَ أبوها ذَلِكَ الرِّضا فكانَ منهُ عَرضُ الزَّواجِ.
ثانيهُما: أنَّ العَرضَ كانَ في حُضورِ البنتَينِ بدليلِ اسمِ الإشارةِ "هَتَينِ" ، ولم يُخبرْ القُرآنُ باعتراضِ أيٍّ منهُما.

١٦/ب/٤ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ ضَرورةِ رِضا وحريَّةِ طَرَفَي الزَّواجِ في إتمامه:
النِّساءُ: ٢٤-٢٥.

١٦/ج/١ ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ، وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ، وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ؛ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ؛ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ، فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ؛ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً. [الأحزاب: ٤-٥]

الشَّرْحُ:

لَم يَخلقِ اللهُ لرَجلٍ قلبَينِ في صَدرِهِ (كِنايةٌ عن وَحدَويَّةِ المَبدأ) ، وهوَ من نَفسِ المُنطلَقِ والمَبدأِ ما جَعلَ أزواجَكُم اللَّواتي تُقسمونَ علَيهِنَّ بالهَجرِ - بقَولِ أحدِكُم: «أنت عليَّ كظَهرِ أُمِّي» - باحتِسابِكم لَهُنَّ كأُمَّهاتِكم أنَّهنَّ كذَلكَ ؛ وما جَعلَ رَبائبَكُم الَّذينَ تَكفلونَهم وتَدعونَهُم لِنَسَبِكم أبناءَكم ، إنَّما ذَلكَ قَولُكم بأفواهِكم ، واللهُ يَقولُ الحقَّ وهوَ يَهدي النَّاسَ لسبيلِ الرَّشادِ. أَنسبُوا رَبائبَكم (المُتَبَنينَ) لأسماءِ آبائِهم ، فذَلكَ أكثرُ إقساطاً (إعطاءَ كلِّ ذي حقٍّ حقَّهُ) عندَ اللهِ ؛ فإنْ لَم تَعلَموا مَن هُم آباؤهُم فلا تَنسبُوهم لأبوَّتِكم ، بَلْ يُحتَسَبونَ إخواناً لكم في الدِّينِ وتابِعيكُم. لَيسَ علَيكم جُنحَةٌ/إثمٌ فيما أخطَأتُم (سلَفاً) بإنسابٍ لأبوَّتِكم ، ولَكِنْ الجُنحةَ فيما تعمَّدَتهُ قُلوبُكم

(كِنايةً عن النَّوايا) ، وكانَ اللهُ غَفوراً للخَطأِ رحيماً بعبادِهِ وخَلقِه.

تعقيبٌ:

اتِّخاذُ الأزواجِ مَوقفَ الظِّهارِ من نسائهم نَوعٌ من سَحْبِ الاعترافِ برابطةِ الزَّوجيَّةِ ، وتَهديدٌ لقوامِ الأُسرةِ ؛ والقُرآنُ يُخالِفُ ذَلِكَ المَوقفَ ويَحمي الأُسرةَ بهَذا التَّشريعِ.

وفي الأمرِ بإنسابِ المَكفولينَ لآبائِهم اعترافٌ ، وَضمانٌ لذَلِكَ الاعترافِ ، بأعضاءِ أُسرةٍ مَوجودةٍ لها أبناؤها.

١٦/ج/٢ حَتَّى إذا جاءَ أَمْرُنا وفَارَ التَّنُّورُ قُلْنا: «احمِلْ فِيْها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ، إلاّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ، وَمَنْ آمَنَ» ، وَما آمَنَ مَعَهُ إلاّ قَلِيلٌ. [هُودُ: ٤٠]

وَنادَى نُوْحٌ رَبَّهُ فَقالَ: «رَبِّ ، إنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ، وَإنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحاكِمِيْنَ» ؛ قالَ: «يا نُوْحُ ، إنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ ، فَلا تَسْأَلْنِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُوْنَ مِنَ الْجاهِلِيْنَ». [هُودُ: ٤٥-٤٦]

الشَّرْحُ:

حَتَّى إذا حانَ مَوعدُ أمرِنا ، نحنُ اللهُ ، بالإغراقِ ، وفارَ الماءُ مُتصاعداً في الْمنطقةِ الإنائيَّةِ التَّضاريسِ (أو رُبَّما المقصودُ أنَّ الماءَ بدأَ الفَوَرانَ من مَوقدِ خُبْزٍ في مَكانٍ ما من الْمَدينةِ كعلامةِ ابتداءٍ لنُوحٍ!) ؛ قُلنا: «احملْ يا نُوحُ في السَّفينةِ من كلِّ كائنٍ زَوجَينِ اثنَينِ (ذَكَرٍ وأُنثى) من مَخلوقاتِ المنطَقةِ ؛ وأُسرتَكَ ، إلاَّ مَن سبَقَ منها حُكمُنا علَيه بأنَّهُ مُغْرَقٌ (ابنُ نُوحٍ) فلَنْ يَركبَ معكَ ، ومَن آمَنَ باللهِ وملائكتِهِ ونوحٍ من النَّاسِ» ، وما آمَنَ معَه إلاَّ عددٌ قليلٌ.

دَعا نُوحُ ربَّهُ بصَوتٍ مسموعٍ بعدَ أنْ رَسَت سَفينتُهُ على اليابسةِ قائلاً: «رَبِّي ، إنَّ ابني الَّذي غَرِقَ برفضِهِ لدَعوَتي بالرُّكوبِ معَنا هوَ من أهلي الَّذينَ أمرتَني أنْ أحملَهم

علَيها ، وإنَّ وعْدكَ بنَصرِ رُسُلِكَ لَحقٌّ ، وأنتَ أحكَمُ مَن يَحكُمُ في الكَونِ على الخَلقِ والأمورِ» ؛ قالَ اللهُ: «يا نُوحُ ، إنَّهُ لا يُعَدُّ مِن أهلِكَ ؛ إنَّ مِيلادَ ابنِكَ في أهلِكَ كانَ عملاً غيرَ صالحٍ ، فلا تَسألْني عَمّا لَستَ على عِلمٍ بهِ ، فإنّي أعِظُكَ أنْ تكونَ بسؤالِكَ في هٰذا الأمرِ مِنَ الجاهلينَ».

تعقيبٌ:

آمَنت أُسرةُ نُوحٍ بدَعوتِهِ إلاّ ابناً لهُ ، وامرأةً ؛ وكانَ يَكفي لأمرِ اللهِ لنُوحٍ أنْ يَقتصِرَ ، بعدَ حَملِ زَوجَينِ مِن كلٍّ ، على مَن آمَنَ فيشمَلُ ذٰلكَ أفرادَ أُسرَتِهِ المؤمنينَ ؛ ولٰكنَّ النَّصَّ على الأُسرةِ ضِمنَ الأمرِ يُبرِزُ اعترافَ القُرآنِ وتمييزَهُ لهٰذهِ الوحدةِ الاجتماعيَّةِ - الأسرةِ. يَتجلّى الشَّيءُ نَفسُهُ في قَولِهِ (عزَّ وجلَّ) في آيةِ هُودَ-٨١: *قالُوا: «يا لُوطُ ، إنّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إلَيْكَ ؛ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ، وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ....* تَمهيداً لإهلاكِ اللهِ لقَومِ لُوطٍ.

وفي الآيتَينِ الأخيرتَينِ يُؤكِّدُ القُرآنُ على أنَّ القاعدةَ في كَينونَةِ الأُسرةِ تَشمَلُ الأولادَ وذٰلكَ بإيرادِ مُناقشةِ نُوحٍ لربِّهِ في ابنِهِ ، وإنْ كانَ يُبَيِّنُ القُرآنُ في نَفسِ الوقتِ حالةً شاذَّةً عبَّرَ عنها بالعملِ غيرِ الصّالحِ ، ونَهى نَبيَّهُ عن أنْ يَسترسِلَ في استيضاحِ أُسُسِها لضيقِ أُفُقِنا ، البشرُ ، عن الإحاطةِ بها. وكفَى بأنَّ إنقاذَ الإبنِ ، كحقٍّ إنسانيٍّ ، كانَ يَتعارَضُ معَ أوَّلِ وأهمِّ مَبادئِ القُرآنِ ، وهوَ الإيمانُ باللهِ وعِبادتُهُ وحدَهُ ؛ الأمرُ المُوافِقةُ لهُ المادةُ ٢٩-ج مِن حُقوقِ الإنسانِ للأُمَمِ المُتَّحدةِ.

١٦/ج/٣ وكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إلَى بَعْضٍ ، وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً؟! [النِّساءُ: ٢١]

الشَّرْحُ:

وكَيفَ يَحِقُّ لكم أنْ تَأخُذوا ما كُنتم قد آتَيتُم نِساءَكم حينَ زَواجِكم وقد اتَّصلَ بَعضُكم ببعضٍ جِنسيّاً ونَفسيّاً وذِهنيّاً ؛ وأخَذْنَ مِنكم عَقداً مَتيناً!

تعقيب:

اللهُ أعلمُ بمُشتمَلات ذلكَ الميثاقِ عدا ما نَستبينُهُ مِن الأيْمانِ المَعقودة على الزَّواجِ ، ثُمَّ مِن انتقالِ مَنيِّ الرَّجلِ المُفعَمِ بالحياةِ إلى أنسجةِ المرأةِ الدّاخليَّة. تبيانٌ لقوَّةِ الآصرةِ الزَّوجيَّةِ بما يَتضمَّنُ الاعترافَ بها.

١٦/ج/٤ فَلَمّا جاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا: «اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ» ؛ وَما كَيْدُ الْكافِرِينَ إِلاّ فِي ضَلالٍ. [غافر: ٢٥]

الشَّرْح:

فلمّا جاءَ النَّبيُّ موسى فِرْعَونَ ومَلأَهُ بالحقِّ مِن عِندِنا ، نحنُ اللهُ ، قالَ فِرْعَوْنُ ومَلؤهُ: «أسرِفوا في قَتلِ أبناءِ الَّذينَ آمَنوا معَ موسى ، واستَبْقوا نِساءَهم أحياءً قَيْدَ السُّخرَةِ (وربَّما الجِنسِ) ؛ وما تَدبيرُ وإيذاءُ الكافرينَ إلاّ إلى فَشَلٍ.

تعقيبٌ:

المَساسُ ببِنْيَةِ الأُسرةِ قَرينُ الكُفرِ ؛ كحُكمِ القُرآنِ.

١٦/ج/٥ وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوْءٍ ، وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ ما خَلَقَ اللّهُ فِي أَرْحامِهِنَّ ، إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ؛ وَبُعُوْلَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذلِكَ إِنْ أَرادُوا إِصْلاحاً ؛ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوْفِ ، وَلِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ، وَاللّهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ. الطَّلاقُ مَرَّتانِ ؛ فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوْفٍ أَوْ تَسْرِيْحٌ بِإِحْسانٍ ؛ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمّا آتَيْتُمُوْهُنَّ شَيْئاً إِلاّ أَنْ يَخافا أَنْ لا يُقِيْما حُدُوْدَ اللّهِ ؛ فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لا يُقِيْما حُدُوْدَ اللّهِ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما فِيما افْتَدَتْ بِهِ. تِلْكَ حُدُوْدُ اللّهِ فَلا تَعْتَدُوْها ، وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُوْدَ اللّهِ فَأُوْلئِكَ هُمُ

الظَّالمُونْ. [البَقرةُ:٢٢٨-٢٢٩]

الشَّرْحُ:

والنِّساءُ المُعلَنُ طلاقُهُنَّ يَرقُبْنَ أنفُسَهُنَّ لثلاثةِ مَواقيت ، حَيْضات أو طَهارات من الحَيْض ، مُقيمات في بَيتِ الزَّوجيَّة ، ولَيسَ حَلالاً لَهنَّ أنْ يَكتُمنَ عن مُطلِّقيهنَّ ما خلقَ اللهُ من أجنَّةٍ في أرحامِهِنَّ إنْ كُنَّ يُؤمنَّ بالله ويَومِ الحساب ؛ ومُطَلِّقوهُنَّ أحقُّ بردِّهِنَّ أزواجاً في تلكَ الحالِ إنْ أرادوا إصلاحاً لعلاقاتِ الأُسرةِ ، ولهُنَّ من حُقوقٍ مثلُ ما علَيهِنَّ من واجباتٍ بالمعروفِ ، وللرِّجالِ زيادةٌ علَيهِنَّ دَرجةٌ ؛ واللهُ في قضائه عَزيزٌ حكيمٌ. فُرصةُ الطَّلاقِ ثُمَّ الرُّجوعِ عنهُ مرَّتانِ ، فإمساكُ الرَّجلِ لزَوجِهِ ، في أيِّ مَرَّةٍ ، بالمعروفِ حينَ العُدولِ عن الطَّلاقِ قَبلَ أو بانقضاءِ العدَّةِ ، أو تَسريحٌ لها بإحسانٍ ، وفي تلكَ الحالِ لَيسَ حَلالاً على المُطلِّقينَ أنْ يأخُذوا شَيئاً ممَّا كانَ الواحدُ منهم قد أعطاهُ لزَوجِهِ إلاّ أنْ يَخافَ كلا الزَّوجَينِ أنْ يكونَ عدمُ الأخذِ سَبَباً في عدمِ رعايةِ ما حدَّدَهُ اللهُ من شَرائعَ ، فإنْ خِفتُم يا أولياءُ الأُمورِ أنْ لا يَرعَى المُتطالقانِ ما حدَّدَهُ اللهُ فلا جُنحةَ علَيهِما فيما أعادَتهُ لمُطلِّقِها فديَةً لذَلكَ ؛ تلكَ شرائعُ اللهِ فلا تَتجاوَزوها ، ومَن يَتجاوزْها فأُولَئكَ هُم الظّالمونَ.

تعقيبٌ:

إعطاءُ الأولويَّةِ للمُطلِّقِ في إعادةِ الزَّواجِ من مُطلَّقته ؛ وتَعديدُ فُرصِ رَدِّ الزَّوجِ ؛ والأمرُ بالإعلانِ عَمّا يَحدُثُ مِن حَملٍ... ركائزُ في صِيانةِ القُرآنِ لبِنيَةِ الأُسرةِ.

١٦/ج/٦ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً ؛ إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينْ. [القَصَصُ: ١٠]

فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ ؛ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونْ. [القَصَصُ: ١٣]

الشَّرْحُ:

فطلَعَ الصُّبحُ على عَقلِ أمِّ نَبيِّ اللهِ موسى وهوَ فارغٌ مِن التَّفكيرِ في أيِّ شَيءٍ خَلا وليدِها الَّذي التقطَهُ آلُ فِرْعَونَ بعدَ أنْ وضعَتهُ بإيحاءٍ مِن اللهِ على سَطحِ الماءِ ؛ لقد أوشَكَتْ أنْ تُبدي لآلِ فِرْعَونَ بأُمومَتِها لموسى مِن فَرطِ لَهفَتِها لَولا أنْ شَدَدْنا على قَلبِها بالتَّثبيتِ لتكونَ مِن المؤمنينَ باللهِ وقَضائِهِ ورَحمتِه. فأعَدنا ، نحنُ اللهُ ، موسى إلى أُمِّهِ كَيْ تَستقرَّ عَينُها (كِنايةٌ عن القَناعةِ والرِّضا) ولا تَحزَنَ ؛ ولِتَعلمَ أنَّ وعدَ اللهِ لها كانَ حَقّاً ، ولَكنَّ أكثرَ النّاسِ لا يَعلَمونَ هَذهِ الحَقيقةَ.

تعقيبٌ:

ردُّ الابنِ إلى أُمِّهِ اعترافٌ بأُسرةٍ لها أعضاؤها ، وحِمايةٌ لبِنيَتِها مِن التَّفتُّتِ.

١٦/ج/٧ وَلَا تَقْتُلُوٓا أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ، نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ، إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا. [الإسراءُ: ٣١]

الشَّرْحُ:

ولا تَقتُلوا أَولادَكم (ذُكوراً وإناثاً) تَخوُّفاً مِن فَقرٍ يَحلُّ بكم ، فنحنُ اللهُ الَّذينَ نَرزُقُهم وإيّاكم ؛ إنَّ قَتلَهم كانَ خَطأً مُتعمَّداً كَبيراً.

١٦/ج/٨ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ وُجوبِ اعترافِ المُجتمَعِ بالأُسرةِ وحمايتِهِ لبِنيَتِها:

البَقَرةُ: ٤٩ و ١٠٢ و ٢١٥ ؛ النِّساءُ: ٢٢ ؛ النَّحلُ: ٩٠ ؛ الرُّومُ: ٣٨ ؛ الأحْزابُ: ٤ ؛ الرَّعدُ: ٢١ و ٢٣ و ٣٨ ؛ النُّورُ: ٢٢ ؛ الأنبياءُ: ٧٦ ؛ الفُرقانُ: ٧٤ ؛ الصّافّاتُ: ١٣٤ ؛ غافِرُ: ٨ ؛ آلُ عِمرانَ: ٣٨ ؛ مُحمَّدٌ: ٢٢.

١٧

أ - كلُّ فَردٍ لهُ الحَقُّ في أنْ يَحُوزَ وحدَهُ مِلْكاً ، كما يَحوزُهُ بالاشتراكِ معَ آخَرينَ.
ب - لا يُحْرَمُ أحدٌ تعسُّفياً من مِلْكِه.

a- Everyone has the right to own property alone as well as in association with others.
b- No one shall be arbitrarily deprived of his property.

عُنصُراها:

أ - أحقِّيَّةُ كلِّ فَردٍ في الامتلاك.

ب - لا يُنْزَعَ مِن أحدٍ مِلْكُهُ تَعسُّفياً.

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

١٧/أ/١ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَالْبَنِينَ ، وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ، وَالأَنْعَامِ ، وَالْحَرْثِ ؛ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ. [آلَ عمرانَ: ١٤]

الشَّرْحُ:

جَعلَ اللهُ أمراً حَسَناً حُبَّ النَّاسِ لما تَشتهيهِ أنفُسُهم مِن النِّساءِ أزواجاً ، والأولادِ الذُّكورِ ، والقَناطيرَ العَديدةِ وزناً مِن الذَّهبِ والفِضَّةِ ، والخَيلِ الدَّاجنةِ (أو المُسَخَّرةِ أو الرَّاعيةِ) ، والماشيةِ (الإبلِ والبَقرِ والغَنمِ والمَعزِ) ، وحَرثِ ما تُنبِتُهُ الأرضُ مِن زَرعٍ ؛ ذَلِكَ هوَ مُستَمتَعاتُ الحياةِ الدُّنيا المادِّيَّةِ ، واللهُ عِندَهُ العاقبةُ الأحسَنُ.

تعقيبٌ:

تُفيدُ الآيةُ أنَّ اللهَ حَسَّنَ أمرَ الامتلاكِ لكلِّ النّاسِ ، دونَ تَحديدٍ ، ممّا خلَقَهُ هوَ أوّلاً فممّا صنَعَهُ الإنسانُ ، كنَتيجةٍ مَنطقيَّةٍ.

١٧/أ/٢ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً: رَجُلَيْنِ جَعَلْنا لأحَدِهِما جَنَّتَيْنِ مِنْ أعْنابٍ وَحَفَفْناهُما بِنَخْلٍ وَجَعَلْنا بَيْنَهُما زَرْعاً ؛ كِلْتا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً ، وَفَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً ؛ وَكانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقالَ لِصاحِبِهِ وَهُوَ يُحاوِرُهُ: «أنا أكْثَرُ مِنْكَ مالاً وَأعَزُّ نَفَراً». [الكَهف: ٣٢-٣٤]

الشَّرْحُ:

قَدِّمْ مَثيلاً مِن الواقِعِ للنّاسِ ، أيُّها الرَّسولُ /المؤمنُ ، قصةَ رَجلَينِ جَعلَ اللهُ لأحدهما بُستانَينِ من صُنوفِ العنَبِ يَحوطُ شَجرُ النَّخلِ كلاً منهُما ؛ وبَينَ البُستانَينِ زَرعٌ ؛ كِلاهُما أنتجَ مَحصُولَهُ دونَ نُقصانٍ ؛ وكانَ يَتدفَّقُ خِلالَ البُستانَينِ نَهرٌ (جَدوَلٌ) من الماءِ. وكانَ لذَلكَ الرَّجلِ ثَمرٌ من البُستانَينِ ، فقالَ لصاحِبِهِ الآخَرِ ، في نِقاشٍ معَهُ: «أنا أكثرُ منكَ مالاً ، وذَوُوني أعزُّ من ذَويكَ».

تعقيبٌ:

في القِصَّةِ إقرارٌ بحَقِّ الإنسانِ في امتلاكِ الأطيانِ وما اشتَملَتهُ. ... *فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ.* [الأعراف: ١٧٦]

١٧/أ/٣ «إنِّي وَجَدْتُ امْرَأةً تَمْلِكُهُمْ ، وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَها عَرْشٌ عَظيمٌ». [النَّمل: ٢٣]

الشَّرْحُ:

إنِّيَ ، الهُدهُدُ ، وَجدتُ يا نَبيَّ اللهِ سلَيْمانُ امرأةً تَملِكُ حاضِرةَ سبَأٍ ، وتَمتلِكُ من كلِّ

شَيءٍ ، ولها عَرشٌ عَظيمٌ.

تعقيبٌ:

وللمرأةِ أيضاً حقُّ الامتلاكِ بلا حُدودٍ ، ممّا يُعلِّمنا القُرآنُ من القِصّةِ الواقعيّةِ.

١٧/أ/٤ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً. [المُدَّثِّرُ: ١١-١٢]

الشَّرْحُ:

دَعْني أيُّها المُدَّثِّرُ مُحمَّدٌ وذَلِكَ الجاحدَ الَّذي خلقتُهُ فَريداً في ألوانِ عطائي لهُ ، وجَعلْتُ لهُ أملاكاً عَريضةً.

١٧/أ/٥ ومن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ أحقِّيَّةِ كلِّ فردٍ في الامتلاكِ:
البَقَرةُ: ٢٦٦ ؛ النَّحلُ: ٧٥ ؛ القَصَصُ: ٧٧ ؛ الشُّورَى: ٣٦ ؛ الزُّخرُفُ: ٣٢ ؛ الذّارياتُ: ١٩ ؛ المَعارِجُ: ٢٤ ؛ يس: ٧١.

١٧/ب/١ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ، وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً. [الكَهفُ: ٧٩]

الشَّرْحُ:

أمّا السَّفينةُ الَّتي خَرقْتُها ، أنا عَبدُ اللهِ الَّذي علَّمَني من لَدُنهُ علماً ، فكانَت يا موسى ملكاً لمساكينَ يَرتزِقونَ بعَملِهِم بِها في البَحرِ ، فأرَدتُ أنْ أجعلَ فيها عَيْباً كيْ لا تُعجِبَ مَلِكاً هُناكَ غيرَ بعيدٍ عَنهُم يَنتزِعُ كلَّ سَفينةٍ يَطولُها مِن أصحابِها اغتصاباً!

تعقيبٌ:

كانَ ذَلِكَ الفعلُ عن إرادةِ اللهِ ، ولَيسَ عن أمرِ ذَلِكَ العبدِ الصّالِحِ كما تُنبِئُنا به آيةُ الكَهفِ-٨٢.

١٧/ب/٢ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ، وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ: «أَكْفِلْنِيهَا!» ، وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ». قَالَ: «لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ

نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ؛ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ» ؛ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ. [ص: ٢٣-٢٤]

الشَّرْحُ:

قالَ أحدُ خَصمَينِ احتكَما إلى نَبيِّ اللهِ داوودَ: «إنَّ هَذا أخي يَملكُ تِسعاً وتسعينَ نعجةً ، وأملكُ واحدَةً ، ومعَ ذَلكَ قالَ لي: «تَنازلْ لي عن كَفالَتِها (أو عن ملكيَّتِها) ، وتَفوَّقَ عليَّ في النِّقاشِ». قالَ داوودُ: «لَقد ظَلَمَكَ بطَلَبِ ضَمِّ نَعجتِكَ إلى نعاجِهِ ، وإنَّ كثيراً مِن الجيرانِ (أو الشُّركاءِ) لَيَجورُ بَعضُهُم على بعضٍ إلاَّ الَّذينَ آمَنوا باللهِ مِن النَّاسِ ، وهُم قِلَّةٌ». وظَنَّ داوودُ أنَّنا ، اللهَ ، قد أزلَلْناهُ بحكمِهِ في قَضيَّةٍ مُستمعاً لأحدِ طَرفَيها فقط فاستغفَرَنا وهَبطَ راكعاً وعادَ إلى اللهِ تائباً.

تعقيبٌ:

قضيَّةُ انتزاعِ ملكيَّةٍ ؛ والحكمُ عليهِ: الظُّلمُ والبَغيُ.

٨٧/ب/٣ وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً ؛ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً؟! [النِّساء: ٢٠]

الشَّرْحُ:

إنْ أرَدتُم التَّزوُّجَ بامرأةٍ بَدلاً لأُخرى بطَلاقِها وكُنتم أعطَيتم المُطلَّقةَ قنطاراً زِنَةً من مالٍ مَهراً لها فلا تَأخُذوا مِنه شَيئاً بتطليقِها ؛ فإنَّ أخذَكُم لهُ باطلٌ وذنبٌ واضحُ البَيانِ.

تعقيبٌ:

حُكمُ القُرآنِ على حالةٍ مِن انتزاعِ المِلكيَّةِ ، حتَّى ولو كانَ راغبُ الانتزاعِ أصلُ مصدرِ المملوكِ ؛ فقد آلَت الملكيَّةُ لصاحبِ الحقِّ الجديدِ.

١٧/ب/٤ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إذا بَلَغُوا النِّكاحَ ؛ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ ؛ وَلا تَأْكُلُوها إِسْرافاً وَبِداراً أَنْ يَكْبَرُوا. وَمَنْ كانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ ، وَمَنْ كانَ فَقِيْراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوْفِ ؛ فَإِذا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ، وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيْباً. [النِّساءُ: ٦]

الشَّرْحُ:

واختبروا أيُّها النّاسُ اليَتامى (القُصَّرَ فاقدي الأبِ أو كلَيهما) المُوصونَ أنتم علَيهِم من طُفولَتِهم حتَّى يَبلُغوا سِنَّ الزَّواجِ ، فإنْ استَشعرتُم منهم الرَّشادَ ونُضْجَ الفِكرِ خِلالَ ذلكَ فادفَعوا إلَيهم أموالَهُم المُؤتمَنونَ أنتم علَيها ؛ ولا تَأكُلوها تَضْييعاً ومُبادَأةً خَشيَةَ أنْ يَكبُروا فيُطالِبونَ بها. ومَن كانَ وصيّاً منكم غنيّاً فليتَرَفَّعْ عن الحاجةِ لها واستِغلالِها ، أمّا مَن كانَ فَقيراً فليَأكلْ منها بالأمانةِ والإخلاصِ نَظيرَ صيانتِهِ لها ورعايتِهِ لليَتيمِ. فإذا دَفعتم إلَيهم أموالَهم حينَ النُّضجِ فأشهِدوا على أخذِهِم أموالَهُم شاهِداً على الأقلِّ ، ويَكفي اللهُ حاسِباً على الجميعِ.

١٧/ب/٥ ومِنَ الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ عَدمِ نَزعِ مِلكِ أحدٍ تَعسُّفاً: البَقَرةُ: ١٨٨ ؛ النِّساءُ: ٢ و ٢٩ و ٥٨ ؛ الحَشْرُ: ٨.

١٨

كلُّ فَردٍ لهُ الحَقُّ في حُريَّةِ الفكرِ ، وأمالي الضَّمير ، والدِّين ؛ ويَتضمَّنُ حقُّهُ هَذا الحُريَّةَ في أنْ يُغيِّرَ دينَهُ أو مُعتقَدَهُ ؛ ولهُ الحُريَّةُ - إمّا مُنفرِداً أو في مَجموعةٍ معَ آخَرينَ ، وعَلَناً أو سِرّاً - في أنْ يُبديَ دينَهُ أو مُعتقَدَهُ في التَّدارُسِ ، والمُمارسَةِ ، والعِبادةِ ، والتَّتبُّعِ.

Everyone has the right to freedom of thought, conscience and religion; this right includes freedom to change his religion or belief, and freedom, either alone or in community with others and in public or private, to manifest his religion or belief in teaching, practice, worship and observance.

عناصرُها:

أ - حَقُّ كلِّ فردٍ في حُريَّةِ الفِكرِ.

ب - وأمالي الضَّميرِ.

ج - والدِّين: تَغييراً لهُ ؛ تَعبُّداً به ؛ مُمارَسةً لشرائعِهِ وتعاليمِهِ ؛ تدارُساً وتَتبُّعاً لشُؤونِه.

تَعريفٌ:

الإسلامُ للأمرِ هوَ الانقيادُ لهُ والتَّسليمُ بواقعِهِ ، وهوَ ما كانَ من المَطلوبِ من العبادِ معَ كلِّ رسالةٍ بَعثَ اللهُ بها رَسولاً إليهم ... تَقبُّلُ مَضمونِ الرِّسالةِ واتِّباعُ رَسولها (الصَّفُّ: ٦-٧ مثالاً). ومعَ نُزولِ رِسالةِ النَّبيِّ مُحمَّدٍ (ﷺ) ، القُرآنِ ، صارَ مَطلوباً من البَشريَّةِ أنْ تُسلِمَ بها كما كانَ الكتابيُّونَ إذّاكَ مُسلِمينَ برسالتَي عيسى و/أو موسى ؛ وأسلمَ من الأُمَمِ السّابِقةِ مَن أسلمَ بسائرِ رِسالاتِ اللهِ قَبلَها ومَن بَعثَهُم بهنَّ من أنبياءِ. ومن ثَمَّ ، فَـ "الإسلامُ" كما تَعارَفَ علَيهِ العالَمُ اليَومَ لَيسَ عَقيدةً مُنفصلةً بذاتِها ، وإنَّما هوَ الحَلَقةُ الأخيرةُ في سِلسلةِ التَّربيةِ الرَّبّانيَّةِ وهَدْيِ عِبادِهِ لحقيقةِ رُبوبيَّتِهِ وسُنَنِهِ في كَوْنِه.

غيرَ أنَّ المطلوبَ من النّاسِ ليسَ مُجرَّدُ الإسلامِ أو التَّسليم ، وإنَّما الإيمانُ: وهوَ التَّصديقُ والاعتقادُ في الأمرِ ولهُ ، بحيثُ يكونُ الإنسانُ مُندفعاً من تلقائِه ، مُصراً على التزامِ المفاهيمِ الرَّبّانيَّةِ ، من واقعِ كتبِه ، وتطبيقِها ، لا مُنقاداً للتَّيارِ ، نتيجةَ طَرفٍ أو آخَرٍ ، الَّذي هوَ مَفهومُ الإسلامِ بالشَّيءِ. تَمعَّنْ قولَهُ (تعالى):

- *أَفَغَيْرَ دِيْنِ اللَّهِ يَبْغُوْنَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُوْنَ!* [آلُ عمرانَ: ٨٣]
- ... *قالَتْ: «رَبِّ ، إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِيْنَ».* [النَّملُ: ٤٤]
- *قالَت الأَعْرابُ: «آمَنّا» ؛ قُلْ: «لَمْ تُؤْمِنُوا ، وَلَكِنْ قُوْلُوا: "أَسْلَمْنا" ، وَلَمّا يَدْخُلْ الإِيْمانُ فِي قُلُوْبِكُمْ ...».* [الحُجُراتُ: ١٤]

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

١٨/أ/١ قُلْ: «إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ: أَنْ تَقُوْمُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا». ما بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ؛ إِنْ هُوَ إِلاّ نَذِيْرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيْدٍ. [سَبَأٌ: ٤٦]

الشَّرْحُ:

قُلْ يا مُحمَّدُ / أيُّها المؤمنُ للنّاسِ: «دَعوني أعظُكُم بشَيءٍ واحدٍ: أنْ تَعزموا مُخلصينَ ، أفراداً أو اثنَينِ اثنَينِ ، ثُمَّ تَتفكَّروا فيما أدعوكُم إلَيه». أيُّها النّاسُ ، ليسَ بِداعيكُم من جُنونٍ ، ولَكِنْ هوَ مُنذِرٌ لكم لِقاءَ عذابٍ شَديدٍ.

١٨/أ/٢ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيْلاً. [الإنسانُ: ٢٩]

الشَّرْحُ:

هَذِهِ الدَّعوةُ والرِّسالةُ هُما تذكِرةٌ للنّاسِ في الحياةِ الدُّنيا برُبوبيَّةِ اللهِ ووُجوبِ عبادتِهِ

وحدَهُ ، فمَن يَشأُ منكم يتَّجِهْ إلى الله.

١٨/أ/٣ وَقَالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ: «إنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ، وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ، وَمَا كانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ؛ فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ؛ ما أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ؛ إنِّي كَفَرْتُ بِما أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ، إنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ». [إبراهيمُ: ٢٢]

الشَّرْحُ:

لَمَّا انتهى حِسابُ العالَمينَ في الآخِرَةِ ، قالَ الشَّيْطانُ لِمَن لامَهُ مِن البَشرِ: «... وما كانَ لي مِن سُلْطةٍ أو قَهرٍ علَيكم ... ما أنا الآنَ بمُجادِلِكم اختِصاماً ، ولا أنتم بِمُستحِقِّي ذَلِكَ ؛ إنّي كَفَرتُ الآنَ بإشراكِكُم إيّايَ معَ اللهِ في الدُّنيا ...».

١٨/أ/٤ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ حقِّ كلِّ فردٍ في حُرِّيَّةِ الفِكرِ:
الإنسانُ: ٣ ؛ المُدَّثِّرُ: ١٨-١٩ ؛ ص: ٢٩ ؛ سَبَأُ: ٢٠-٢١.

١٨/ب/١ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلَى الْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ؛ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. [آلُ عِمرانَ: ١٠٤]

الشَّرْحُ:

فلتَكونوا أُمَّةً تَدعو إلى فِعلِ الخَيرِ ، وتَأمُرُ بالتَّعامُلِ بالمَعروفِ (دونَ إلزامٍ) ، وتَنهَى عن المَرفوضِ مِن الفِعلِ والقَولِ (دونَ إلزامٍ) ؛ فالَّذينَ يَفعلونَ ذَلِكَ مِن النّاسِ هُم المُفلِحونَ دُنيا وآخِرةً.

تعقيبٌ:

قد يُصحِّحُ البَعضُ فَهمَ الأمرِ في الآيةِ على أنَّهُ يَقتصِرُ على فَريقٍ مِن الَّذينَ آمَنوا وليسَ جميعَهُم ؛ ولَكِنّا نَرى الجمعَ أرجَحُ بدليلِ قولِهِ (تعالى): كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

النّاسِ ؛ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ؛ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتابِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ ، مِنْهُم الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُم الْفاسِقُونَ. [آلُ عمرانَ: ١١٠]

١٨/ب/٢ وَنَفْسٍ وَما سَوّاها فَأَلْهَمَها فُجُورَها وتَقْواها ؛ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها ، وَقَدْ خابَ مَنْ دَسّاها. [الشَّمسُ: ٧-١٠]

الشَّرْحُ:

نُقسمُ نحنُ اللهُ بالنَّفسِ الإنسانيَّةِ وخالقِها الَّذي سوّاها فعلَّمَها العصيانَ والغَي مثلَما علَّمها الخُشوعَ والهُدَى ؛ قد فازَ من النّاسِ مَن جَعلَ نَفسَهُ زَكيَّةً بالتزامِ سَبيلِ التَّقوى ، وقد خابَ مَن حقَّرَها بالسَّيرِ ضِدَّهُ.

١٨/ب/٣ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ حقِّ كلِّ فردٍ في حُريَّةِ أمالي الضَّميرِ: فُصِّلَت: ٤٠.

١٨/ج/١ يا أَيُّها النَّبِيُّ ؛ إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً. [الأحزابُ: ٤٥]
وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً ، أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ؟! [يُونُسُ: ٩٩]
قُلْ: «مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماواتِ وَالأَرْضِ؟» ؛ قُلْ: «اللَّهُ» ؛ وَإِنّا أَوْ إِيّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ». [سَبَأ: ٢٤]
فَإِنْ حاجُّوكَ فَقُلْ: «أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي» ؛ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَالأُمِّيِّينَ: «أَأَسْلَمْتُمْ؟» ؛ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ. [آلُ عمرانَ: ٢٠]
قُلْ: «يا أَهْلَ الْكِتابِ ، تَعالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ: أَنْ لا

نَعْبُدَ إلاّ اللّهَ ولا نُشْرِكَ به شيئاً ، ولا يَتَّخِذَ بعضُنا بعضاً أرْباباً مِنْ دونِ اللّه» ، فإنْ تَوَلَّوْا فقولُوا: «اشهَدُوا بِأنّا مُسْلِمُونَ». [آلَ عِمرانَ: ٦٤]

والّذِينَ اتّخَذُوا مِنْ دُونِه أوْلِياءَ اللّهُ حَفِيظٌ عليْهِمْ ، وما أنْتَ عليْهِمْ بِوكِيلٍ. [الشّورَى:٦]

ومَنْ يدْعُ مَعَ اللّهِ إلاهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لهُ بِه فإنّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ، إنّهُ لا يُفْلِحُ الكافِرُونَ. [المؤمنونَ: ١١٧]

يا أيُّها النّاسُ ، قَدْ جاءَكُم الرّسُولُ بالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ ؛ وإنْ تَكْفُرُوا فإنّ لِلّهِ ما في السّماواتِ والأرْضِ ، وكانَ اللّهُ عَلِيْماً حَكِيْماً. [النِّساءُ: ١٧٠]

يا أيُّها الّذِيْنَ آمَنُوا ، عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ ؛ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذا اهْتَدَيْتُمْ ؛ إلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيْعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. [المائدةُ: ١٠٥]

الشَّرْحُ:

أرسلْناكَ أيُّها النّبيُّ شاهداً على تَنزيلنا الكتابَ للنّاسِ من وقتكَ ، ومُبَشِّراً بعاقبةِ اتّباعِهِم لهُ ، ونَذيراً لَهم من عواقبِ الكُفرِ به ؛ وليسَ من واجبكَ إكراهُ النّاسِ على الإيمانِ بالله ، وهوَ القادرُ على جَعلِ كلِّ مَن في الأرضِ مُؤمناً. قُلْ: «مَن يرزُقُكم منَ السّماواتِ والأرضِ؟ وقَوْلي: إنّهُ اللهُ ؛ فأحَدُ الفَريقَين منّا ، نحنُ أو أنتُم ، لَعلَى هُدىً أو في ضَلالٍ واضحِ البيانِ» ؛ فإنْ بادَلوكَ الحُجّةَ فقُلْ: «أسلَمتُ أنا ومَن اتّبعَني وُجوهَنا لله» ؛ واسألْ أصحابَ الكتبِ السّابقةِ الإيمانَ وكَذا مَن لا يتّبعونَ كتاباً ، فإنْ أعرَضوا فإنّ الّذي عليكَ هوَ التّبليغُ. قُلْ: «يا أهلَ الكُتبِ السّابقةِ ،

لنلتقِ على موقفٍ مُشترَكٍ لنا سَوِيّاً: أنْ لا نَعبدَ إلاّ اللهَ دونَ شَريكٍ معَهُ». فأمّا مَن اتَّخذَ مِن النّاسِ والياً غَيرَ اللهِ فهوَ (سُبحانُهُ) المُتولّي شأنَهم ، وما أمرُهم بمَوْكولٍ إليكَ.

تعقيبٌ:

وتَتعدَّدُ الآياتُ كثيراً في مُجمَلِ القُرآنِ بما يُؤكِّدُ انتفاءَ الإكراهِ على اعتناقِ "الإسلامِ" ، منها: النُّورُ: ٥٤ ؛ البَقَرةُ: ٢٧٢ ؛ الأنعامُ: ١٠٤ و ١٠٧ ؛ فاطرٌ: ٢٤ ؛ العَنكَبوتُ: ١٨ ؛ الأعرافُ: ٧٩ ؛ الشُّورَى: ٤٨ ؛ الفَتحُ: ٨. وهَذه أرضيَّةٌ مَنطقيَّةٌ تَتفقُ تماماً معَ كتابٍ تُخاطِبُ آياتُهُ وتَحتكِمُ في الإنسانِ إلى فطرَتِه ، وعَقلِه ، وعلمِه في عَشَراتِ الآياتِ.

١٨/ج/٢ قالَ: «يا قَوْمِ ، أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ، أَنُلْزِمُكُمُوها وَأَنْتُمْ لَها كارِهُونَ؟!». [هُودُ: ٢٨]

الشَّرْحُ:

قالَ نَبيُّ اللهِ نُوحٌ حينَ كذَّبَهُ قومُهُ في دعواهُ إيّاهُم: «يا قَومي ، ما رأيُكم إنْ كُنتُ أنا على أمرٍ مِن اللهِ واضحِ البَيانِ بالنِّسبةِ لي ، ومَدَّني برحمةٍ مِن عِندِهِ مُتمثِّلةً في هِدايةٍ استَخْفَت علَيكم ؛ أتتصَوَّرونَ أنَّنا نُلزِمُكم بالإيمانِ بها وأنتم كارِهونَ لها!

تعقيبٌ:

في التَّغييرِ إلى "الإسلامِ".

١٨/ج/٣ لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ ، قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ، فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصامَ لَها ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. [البقرةُ: ٢٥٦]

الشَّرْحُ:

لا إكراهَ في الدِّينِ إلزاماً أو التزاماً به ، لأنَّهُ قد استبانَ الصَّوابُ والسَّدادُ من الضَّلالِ والزَّللِ. فذلكَ الَّذي يَكْفرُ بما يَصرفُ النَّاسَ عن طَريقِ الخَيرِ (من شَيْطانٍ ، وإنسٍ ، وصنَمٍ) ويؤمنُ باللهِ فقد استَمسكَ بالعُروَةِ الوثيقةِ الَّتي لا تَنحلُّ (كنايةٌ عن الهدايةِ المؤكَّدةِ) ؛ والله سميعٌ لما يقولُ النَّاسُ ، عَليم بأفعالِهم.

تعقيبٌ:

في التَّغييرِ من "الإسلامِ".

المُعتنقُ لـ "الإسلامِ" مُعاهدٌ ، عاقدٌ للأَيْمانِ (جَمعُ يَمينٍ: اليَدُ اليُمْنى ؛ كنايةٌ عن القسَمِ بعقدِ يمينٍ على يمينٍ) مُستشهدٌ باللهِ ومُكفلُهُ على عَهدهِ ؛ ومن ثَمَّ فالخُروجُ عن "الإسلامِ" نَقضٌ ونَكثٌ من الإنسانِ لذَلكَ العهدِ مَنهيٌّ عنهُ ، وإنْ لم يَضعِ القُرآنُ جزاءً دُنيوياً أوكَلَ لأحدٍ إيقاعَهُ على الخارجِ لأنَّ ذَلكَ من شأنِ الله لا البشَرِ ، والعَهدُ يَخُصُّ اللهَ لا أحداً من النّاسِ. والملَّةُ الَّتي تُعاقبُ دُنيوياً الخارجَ عنها تَحكُمُ على نَفسِها بالانهزاميَّةِ واللاثقةِ ... فما بالُكَ بدينِ اللهِ القاهرِ لكلِّ كائنٍ ، المُهَيمنِ على كلِّ أمرٍ ؛ والَّذي يقولُ (عزَّ وجلَّ) عن ذاتِه:

يا أَيُّها النّاسُ ، أَنْتُم الْفُقَراءُ إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيْدُ. [فاطر: ١٥]

وَمَنْ جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِيْنَ. [العَنكَبوتُ: ٦]

يُؤَيِّدُ هَذا المفهومَ مجموعةُ الآياتِ التّاليةِ:

١- *إِنَّ الَّذِيْنَ يُبايِعُوْنَكَ إِنَّما يُبايِعُوْنَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيْهِمْ ؛ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيْهِ أَجْراً عَظِيْماً.* [الفتحُ: ١٠]

٢- *وَما مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُوْلٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ؛ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقابِكُمْ؟! وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً ، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشّاكِرِيْنَ.* [آلُ عمرانَ: ١٤٤]

٣- إِنَّ الَّذِيْنَ يَشْتَرُوْنَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيْلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ ، وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ، وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ ، وَلا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيْمٌ. [آلُ عمرانَ: ٧٧]

٤- كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُوْلَ حَقٌّ وَجاءَهُمُ الْبَيِّناتُ! وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِيْنَ ؛ أُولَئِكَ جَزاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنّاسِ أَجْمَعِيْنَ ؛ خالِدِيْنَ فِيْها لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُوْنَ ؛ إِلاّ الَّذِيْنَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُوْرٌ رَحِيْمٌ. إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمانِهِمْ ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الضّالُّوْنَ. [آلُ عمرانَ: ٨٦-٩٠]

٥- إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ؛ ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ؛ ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيْلاً. [النِّساءُ: ١٣٧]

٦- يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوْهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوْهٌ ؛ فَأَمّا الَّذِيْنَ اسْوَدَّتْ وُجُوْهُهُمْ: أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمانِكُمْ؟! فَذُوْقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُوْنَ. [آلُ عمرانَ: ١٠٦]

٧- يَسْأَلُوْنَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فِيْهِ ، قُلْ: «قِتالٌ فِيْهِ كَبِيْرٌ ، وَصَدٌّ عَنْ سَبِيْلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ» ؛ وَالْمَسْجِدِ الْحَرامِ: «وَإِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ، وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ». وَلا يَزالُوْنَ يُقاتِلُوْنَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوْكُمْ عَنْ دِيْنِكُمْ إِنِ اسْتَطاعُوا ، وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِيْنِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ ، وَأُولَئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيْها خالِدُوْنَ. [البَقَرةُ:٢١٧]

٨- إِنَّ الَّذِيْنَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبارِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لِلَّذِيْنَ كَرِهُوا ما نَزَّلَ اللَّهُ: «سَنُطِيْعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ» ؛ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرارَهُمْ! [مُحَمَّدٌ: ٢٥-٢٦]

٩- يا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا ، إِنْ تُطِيْعُوا فَرِيْقاً مِنَ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْكِتابَ يَرُدُّوْكُمْ بَعْدَ إِيْمانِكُمْ كافِرِيْنَ ، وَكَيْفَ تَكْفُرُوْنَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آياتُ اللَّهِ وَفِيْكُمْ رَسُوْلُهُ!

وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. [آلُ عمرانَ: ١٠٠-١٠١]

١٠- *يا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا ، مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِيْنِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوْنَهُ ؛ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ ، أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِيْنَ ، يُجاهِدُوْنَ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ وَلا يَخافُوْنَ لَوْمَةَ لائِمٍ ؛ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَشاءُ ، وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيْمٌ.* [المائدةُ: ٥٤]

١١- *إِنَّما يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِيْنَ لا يُؤْمِنُوْنَ بِآياتِ اللَّهِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْكاذِبُوْنَ ، مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمانِهِ ، إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيْمانِ. وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ ، وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيْمٌ.* [النَّحلُ: ١٠٥-١٠٦]

١٨/ج/٤ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْداً إِذا صَلَّى! أَرَأَيْتَ إِنْ كانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى! [العَلَقُ: ٩-١٢]

الشَّرْحُ:

أرَأَيْتَ مَن يَنهى إنساناً عن الصَّلاةِ لله! أما كانَ أجدرُ بذلكَ النّاهي أنْ يكُونَ على الهُدى أو يأمُرَ بتَقوى الله!

تعقيبٌ:

تَعبُّدٌ على "الإسلامِ".

١٨/ج/٥ قُلْ: «يا أَيُّها النَّاسُ ، إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِيْنِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِيْنَ تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ ؛ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ؛ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ. [يونُسُ: ١٠٤]

الشَّرْحُ:

قُلْ يا مُحمَّدُ /أيُّها المؤمنُ: «يا أيُّها النّاسُ ، إنْ كُنتم في شكٍّ من حَقيقيَّةِ ديني

فأنا لا أعبُدُ الَّذينَ تَعبُدونَ مِن دونِ اللهِ ممَّنْ لا يَملِكونَ لأنفُسِهِم ولا لكم أمراً ، ولَكنِّي أعبُدُ اللهَ الَّذي بيدِهِ توفيتكم (قُبَيْلَ المَوتِ) ، وأمَرَني أنْ أكونَ مِن المؤمنينَ بهِ وملائكتِهِ وكتبِهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخِرِ.

تعقيبٌ:

تَعبُّدٌ على "الإسلامِ".

١٨/ج/٦ قُلْ: «اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِيني فَاعْبُدُوا ما شِئْتُمْ مِن دُونِه» ؛ قُلْ: «إِنَّ الْخاسِرِيْنَ الَّذِيْنَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ» ؛ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِيْنُ. [الزُّمَرُ: ١٤-١٥]

الشَّرْحُ:

قُلْ يا مُحمَّدُ /أيُّها المؤمنُ: «إنَّني أعبُدُ اللهَ مُخلِصاً لهُ التَّديُّنَ ، فاعبُدوا يا مَن تُخالِفونَني العَقيدةَ ما شئتُم غَيرَهُ». قُلْ: «إنَّ الخاسِرينَ مِن أيِّ الفَريقَينِ هُم مَن سيَخسَرونَ أنفُسَهُم وأهلَهم يومَ القيامةِ حينَ يُوقِعُ بهم العذابُ ويَفرِقُ بَينَهم وبَينَ أهلِهم ، وهَذا لَهوَ أبيَنُ خُسرانٍ إطلاقاً.

تعقيبٌ:

حُرِّيَّةُ التَّعبُّدِ.

١٨/ج/٧ ثُمَّ جَعَلْناكَ عَلَى شَرِيْعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْها ، وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِيْنَ لا يَعْلَمُونَ. [الجاثيةُ: ١٨]

الشَّرْحُ:

ثُمَّ جَعلناكَ يا مُحمَّدُ /أيُّها المؤمنُ على تَشريعٍ ومَنهجٍ (القُرآنِ والوَحيِ) مِن أمرِ الدُّنيا والآخِرَةِ (أو الرُّبوبيَّةِ) فاتَّبِعْها ، ولا تتَّبِعْ ما تَهوى نُفوسُ الَّذينَ لا يَعلَمونَ مِصداقيَّتَها.

تعقيبٌ:

مُمارَسةٌ لـ "الإسلامِ".

١٨/ج/٨ قُلْ: «لا تُسْأَلُونَ عمَّا أَجْرَمْنا ، وَلا نُسْأَلُ عمَّا تَعْمَلُونَ». [سَبَأ: ٢٥]

الشَّرْحُ:

قُلْ يا مُحمَّدُ /أيُّها المؤمنُ: «إنَّكُم يا مَن تُخالِفوننا الدِّينَ لا يَسألُكم الرَّبُّ ولا مَلائكتُهُ ولا النَّاسُ عن أفعالِنا الَّتي تَرَونها إجراماً ، ولَسْنا بمَسؤولينَ عمَّا تَقولونَ أو تَفعَلونَ.

تعقيبٌ:

مُمارَسةٌ لغيرِ "الإسلامِ".

١٨/ج/٩ وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إلاّ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ ، إلاّ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ؛ وقُوْلُوا: «آمَنَّا بِالَّذِيْ أُنْزِلَ إلَيْنا وأُنْزِلَ إلَيْكُمْ ؛ وإلاهُنا وإلاهُكُمْ واحِدٌ ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُوْنَ». [العَنكَبوت: ٤٦]

الشَّرْحُ:

لا تُحاوِروا أيُّها المؤمنونَ مِن "المُسلمينَ" أصحابَ التَّوراةِ والإنجيلِ في شُؤونِ العَقيدَةِ إلاّ بالأحسَنِ مِن الخِطابِ والأُسلوبِ ، إلاّ الَّذينَ ظَلَموا مِنهم بالإساءَةِ إلَيكم ؛ وقولوا لهم: «آمَنَّا بالَّذي أُنزِلَ إلينا وأُنزِلَ إليكم مِن كُتُبٍ (معَ التَّحفُّظِ على ما أُدخِلَ على الأوَّلَينِ مِن تَحريفٍ) ، وإلاهُنا وإلاهُكم واحدٌ نحنُ لهُ مُسلِمونَ.

تعقيبٌ:

جِدالُ المُسلمينَ لأهلِ الكتابِ فيما يَتدارسونَ ويتتبَّعونَ.

١٨/ج/١٠ وَإذا رَأَيْتَ الَّذِيْنَ يَخُوضُوْنَ فِي آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيْثٍ غَيْرِهِ ؛ وَإمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ

الْقَوْمِ الظالِمِيْنَ. وَمَا عَلَى الَّذِيْنَ يَتَّقُوْنَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَ. [الأنعام: ٦٨-٦٩]

الشَّرْحُ:

وإذا رَأيتَ يا مُحمَّدُ /أيُّها المؤمنُ من جُلَسائِكَ مَن يَتناوَلونَ ويَتعرَّضونَ لآياتِنا بغيرِ الحقِّ فانصرفْ عَنهم إلى أنْ يَتناوَلوا حَديثاً آخَرَ ؛ فإنْ أنساكَ الشَّيطانُ الانصرافَ ثُمَّ تذكَّرْتَ ، فلا تَقعُدْ إثرَ ذَلكَ معَهم. وليسَ على الَّذينَ يتَّقونَ ربَّهم من مَسؤوليَّةٍ بخَوضِ أُولَئكَ في آياتِ اللهِ ، ولَكنْ نُذكِّرُهم لَعلَّهُم يتَّقونَ العَواقِبَ.

تعقيبٌ:

لم تأمُرِ الآيتانِ بمَنعِ الخائضينَ من خَوضِهِم ، بَلْ تُركوا أحراراً ؛ وإنَّما نَهَتْ سلمياً الجانبَ المَعنيَّ عن المُشارَكةِ السَّلبيَّةِ (الحُضوريَّة). تدارُسٌ وتَتبُّعٌ.

١٨/ج/١١ إنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوا ، وَالَّذِيْنَ هادُوا ، وَالصَّابِئِيْنَ ، وَالنَّصارَى ، وَالْمَجُوْسَ ، وَالَّذِيْنَ أَشْرَكُوا ؛ إنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ ، إنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيْدٌ. [الحَجُّ: ١٧]

الشَّرْحُ:

إنَّ الَّذينَ آمَنوا باللهِ وحدَهُ وملائكتِهِ وكتبِهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخِرِ ؛ والَّذينَ اعتنَقوا اليَهوديَّةَ ؛ وعَبَدةَ النُّجومِ والكواكبِ ؛ والنَّصارى ؛ وعبَدَةَ النَّارِ ؛ والَّذينَ أشركوا معَ اللهِ أرباباً آخرينَ - اللهُ يَفصِلُ بَينَ خِلافاتِهم العَقيديَّةِ يومَ القيامةِ ؛ فإنَّهُ شاهدٌ على كلِّ شَيءٍ.

تعقيبٌ:

تَتضمَّنُ الآيةُ تواجُدَ كلِّ تلكَ الفِرَقِ حُرَّةً تُمارِسُ فِكرَها وعقائدَها ؛ واللهُ وحدَهُ هوَ القاضي في أمرِهم ؛ ويَومَ القيامةِ.

١٨/ج/١٢ ومن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ حُرِّيَّةِ تَغييرِ العقيدة:

البَقَرةُ: ١٣٩ ؛ يونُسُ: ٤١ ؛ الأعرافُ: ٨٨ و ١٢٣ ؛ المُنافِقونَ: ١-٣.

... وحُرِّيَّةِ التَّعبُّدِ:

الكافِرونَ: ٦ ؛ الأنعامُ: ٥٢.

... وحُرِّيَّةِ المُمارَسةِ الدِّينيَّة:

آلُ عمرانَ: ٩٩ ؛ القَصصُ: ٥٥ ؛ الشُّورَى: ١٥.

... عَدمِ الحَجْرِ على تَدارُسِ الأديانِ:

البَقَرةُ: ١١٤ ؛ الغاشِيَةُ: ٢١-٢٢ ؛ الأنعامُ: ١٥٥-١٥٦ ؛ النِّساءُ: ١٤٠.

١٩

كلُّ فَردٍ لَه الحَقُّ في حُرِّيَّةِ الرَّأيِ والتَّعبيرِ ؛ ويَتضمَّنُ هَذا الحقُّ حُرِّيَّته في أنْ يَتمسَّكَ بالآراءِ دونَ تَدخُّلٍ ، وأنْ يَنشُدَ ، ويَتلقَّى ، ويَستَوْرِدَ المعلوماتِ والأفكارَ عَبْرَ أيِّ واسطةٍ ؛ وبِغضِّ النَّظرِ عن الحُدودِ السِّياسيَّةِ.

Everyone has the right to freedom of opinion and expression; this right includes freedom to held opinions without interference and to seek, receive and import information and ideas through any media and regardless of frontiers.

عُنصُراها :

أ - حُرِّيَّةُ إبداءِ الرَّأيِ والتَّمسُّكِ بِه.

ب - حُرِّيَّةُ التَّزوُّدِ بالرَّأيِ الآخَرِ.

١٩/أ تَقديمٌ:

إبداءُ الرَّأيِ أو التَّعبيرِ عنهُ - ما لَم يَدخُلْ في نِطاقِ الإساءَةِ لِسُمعةِ الآخَرينَ أحياءً وأمواتاً (خَرْقاً لِما نَصَّت علَيه المادَّةُ الثَّانيةَ عَشْرَةَ من إعلانِ حُقوقِ الإنسانِ) ؛ أو الطَّعنِ بدونِ بُرهانٍ - لا نَراهُ يَخرُجُ عن أنواعٍ أربعةٍ هيَ ما يُمكنُ أنْ تَتعرَّضَ للكَبْتِ: الرَّأيُ الدِّينيُّ ؛ السِّياسيُّ /العَسكَريُّ ؛ المَعيشيُّ (اجتماعيٌّ /اقتصاديٌّ) ؛ العلميُّ.

والرَّأيُ الدِّينيُّ هوَ ذُروَةُ الرَّأيِ في "الإسلامِ" ؛ فإقرارُ حُرِّيَّتِه إقرارٌ بحُرِّيَّةِ الآراءِ الأُخرى مادامَت نَزيهةً من الهَوى (خاصَّةً منها الاجتماعيَّ) ، لأنَّ العَقيدةَ الإسلاميَّةَ مَنهجُ حياةٍ: عَيْشٌ وعِبادةٌ. تَدعَمُ الآياتُ الكريمةُ التَّاليةُ مفهومَ النَّهيِ عن الإساءةِ للآخَرينَ و الرَّأيِ المُستندِ لغَيرِ حَقيقةٍ:

١- *وَلإِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُوْلُنَّ: «إِنَّما كُنَّا نَخُوْضُ وَنَلْعَبُ»! قُلْ: «أَبِاللَّهِ وَآياتِهِ وَرَسُوْلِهِ كُنْتُمْ*

تَسْتَهْزِئُونَ؟!» ؛ لا تَعْتَذِرُوا ، قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ ؛ إِنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طائِفَةً بِأَنَّهُمْ كانُوا مُجْرِمِينَ. [التَّوبةُ: ٦٥-٦٦]

٢- *قُلْ: «إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ، ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ ؛ وَالإِثْمَ ؛ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ؛ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً ؛ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ».* [الأعرافُ: ٣٣]

٣- *وَقالُوا: «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارَى» ، تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ ؛ قُلْ: «هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ!».* [البَقَرةُ: ١١١]

ومِنَ الآياتِ غيرِهِنَّ: النِّساءُ: ١٤٠ و ١٤٨ و ١٧٤.

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

١٩/أ/١ قُلْ: «اللَّهُمَّ فاطِرَ السَّماواتِ وَالأَرْضِ ؛ عالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ ؛ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ فِي ما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ». [الزُّمَرُ: ٤٦]

الشَّرْحُ:

قُلْ يا مُحمَّدُ /أيُّها المؤمنُ لنَفسِكَ مُقرّاً: «إنَّكَ أنتَ يا إلاهَنا - يا مَن خَلَقتَ السَّماواتِ والأرضَ على غَيرِ مَثيلٍ ، وتَعلَمُ الغائبَ مِن الأُمورِ والمُشاهَدَ منها - أنتَ الَّذي يَفصِلُ بينَ عَبيدِكَ فيما كانوا في دُنياهُم يَختلِفونَ في رؤياهُ.

تعقيبٌ:

إثباتٌ لحُرِّيَّةِ الرَّأيِ عُموماً بينَ العِبادِ ... النَّاسِ.

١٩/أ/٢ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ، اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ؛ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؛ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً. [الأحْزابُ: ٧٠-٧١]

الشَّرْحُ:

يا مَن آمَنتم بالله وملائكته وكتبِهِ ورُسُلِهِ واليَوم الآخرِ ، اجتَنبوا مَعصيةَ اللهِ تَحاشياً لنقْمته بأنْ تَقولوا المُحكَمَ من الرَّأيِ فيُصلِحُ لكُم بذلكَ أعمالَكُم في الحياتَينِ الدُّنيا والآخرةِ ؛ ويَغفرُ لكُم ذُنوبَكُم. ومَن يُطِعْ منكُم قَولَ اللهِ وما يَرى رَسُولُهُ فقد فازَ فَوزاً عَظيماً في الحياتَين.

تعقيبٌ:

تَرشيدٌ لحُرِّيَّةِ الرَّأيِ ، وتأكيدٌ علَيها بمجرَّدِ التَّشجيعِ على طاعةِ رَأيِ الرَّسُولِ.

٣/أ/١٩ ادْعُ إلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ؛ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ؛ إنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ. [النَّحل: ١٢٥]

الشَّرْحُ:

ادْعُ أيُّها النَّبيُّ /المؤمنُ إلى طريقِ (العَملِ بِـ) مَرضاةِ اللهِ وتَقواهُ بالرَّأيِ الرَّشيدِ السَّديدِ الحَسَنِ الوَقْعِ ؛ وجادِلِ الآخَرينَ ، ناقِشْهُم لَدَى اختلافِ الآراءِ ، بأحسنِ الأساليبِ وقْعاً في النَّفسِ ، فإنَّ ربَّكَ هوَ الأعلَمُ مِنكَ بمَن ضَلَّ مِن النَّاسِ عن العَملِ برِضوانِهِ ، وهوَ الأعلَمُ بالمُهتَدينَ إليهِ مِنهم.

تعقيبٌ:

حُرِّيَّةُ الرَّأيِ الدِّينيِّ والعامِّ.

٤/أ/١٩ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ: «أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ: "رَبِّيَ اللَّهُ" وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ؟! وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ، وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ؛ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ. [غافر: ٢٨]

الشَّرْحُ:

وقالَ رَجلٌ مِن عَشيرةِ فِرْعَوْنَ ، يَكتمُ عَنهم إيمانَهُ بالله ، مُخاطباً فِرْعَوْنَ ومَلَئِه: «أتُقَرِّرونَ قَتْلَ رَجلٍ (موسى) يَرى رُبوبيَّةَ اللهِ لهُ ، وقَد قدَّمَ لكُم البراهينَ البائنةَ من اللهِ علَيها؟ وهوَ إنْ يَكُنْ كاذِباً فيما يُعلِنُ مِن رَأيٍ فعلَيهِ يَقعْ ثَمنُ كَذِبِه ، وإنْ كانَ صادِقاً تَنالوا بعضَ الَّذي يَعِدُكُم مِن فَوْزٍ ونَجاةٍ ، إنَّ اللهَ لا يُوفِّقُ مَن هوَ مُبالِغٌ كاذِبٌ.

تعقيبٌ:

مُناشَدةٌ بحُرِّيَّةِ الرَّأيِ الدِّينيِّ.

١٩/أ/٥ وَالَّذِيْنَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ ، وَأَقامُوا الصَّلاةَ ، وَأَمْرُهُمْ شُوْرَى بَيْنَهُمْ ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُوْنَ. [الشُّورَى: ٣٨]

الشَّرْحُ:

ما عِندَ اللهِ مِن جَزاءٍ ومَتاعٍ خَيرٌ مِن مَتاعِ الدُّنيا وأكثرُ بقاءً للَّذينَ آمَنوا ويَتَّصِفونَ ، فيما يَتَّصِفونَ ، بأنَّهُم استجابوا لِربِّهم ما أمرَ ونَهَى ؛ وأقاموا الصَّلاةَ ؛ وأمرَ حياتِهِم ، مِمَّا لَم يَنزِلْ فيهِ قُرآنٌ ، خاضِعٌ لِتشاوُرِهِم فيما بينَهُم ؛ ويُنفِقونَ طاعةً وإرضاءً لنا نحنُ اللهِ مِمَّا رَزَقناهُم.

تعقيبٌ:

حُرِّيَّةُ رأيٍ سِياسيٍّ بالدَّرجةِ الأُولى ، فالرَّأيانِ الدِّينيُّ والاجتماعيُّ قد اتُّفِقَ علَيهما بإيمانِ الجميعِ بكتابِ اللهِ دُستورَ دينٍ ودُنيا.

١٩/أ/٦ فَبِما رَحْمَةٍ مِن اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ؛ فَاعْفُ عَنْهُمْ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ؛ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِيْنَ. [آلُ عمران: ١٥٩]

الشَّرْحُ:

إنَّما هيَ رَحمةٌ مِن اللهِ أنْ جعلَكَ لَيِّناً لأتباعِكَ يا مُحَمَّدُ /أيُّها الوالي المؤمنُ ؛ ولَو كُنتَ خَشِناً معَهم ، قاسيَ القَلبِ علَيهم لانصرَفَ النّاسُ مِن حَولِكَ ؛ فاعفُ عن زَلّاتِهِم ، واطلبْ مِن اللهِ الْمَغفرَةَ لخَطاياهُم ، وشاوِرْهم في أمرِ مَعايِشِهِم ومصالحِهِم ، فإنْ عَزَمْتَ على قَرارٍ اتَّخَذتموهُ فتَوكَّلْ على اللهِ في تَنفيذِهِ ، فإنَّ اللهَ يُحبُّ المُتوكِّلينَ.

تعقيبٌ:

أمرٌ بإقامةِ حُرِّيَةِ الرَّأيِ ، السِّياسيِّ /عَسكَرِيِّ ، باحتِسابِ أنَّ مُحمَّداً كانَ قائداً ورَئيساً لأتباعِه.

٧/أ/١٩ فَلَمَّا فَصَلَ ‹ طالُوْتُ › بِالْجُنُوْدِ قالَ: «إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ، وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ، إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ» ؛ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيْلاً مِنْهُمْ. فَلَمَّا جاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِيْنَ آمَنُوا مَعَهُ قالُوا: «لا طاقَةَ لَنا الْيَوْمَ بِـ ‹ جالُوْتَ › وَجُنُوْدِهِ» ؛ قالَ الَّذِيْنَ يَظُنُّوْنَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللّهِ: «كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيْلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيْرَةً بِإِذْنِ اللّهِ! وَاللّهُ مَعَ الصّابِرِيْنَ». [البَقَرَة: ٢٤٩]

الشَّرْحُ:

فلَمّا خَرجَ مَلِكُ بَني إسرائيلَ ‹ طالوتُ › بِجُنودِهِ الَّذينَ آمَنُوا مِنهُم ، مَأموراً مِن اللهِ ، لقتالِ مَنْ أخرجوهم مِنْ ديارِهم وأبنائِهم ، قالَ طالوتُ لجُنودِه: «إنَّ اللهَ مُختبرُكم بِنَهَرٍ ...» ؛ فشربَ منه أكثرُ جُنودِه مُخالفينَ رَأيَه ؛ فَلَمّا تَقدَّمَ طالوتُ والجُنودُ مَعَه مُخلِّفينَ النَهَرَ وَراءَهم ، قالت غالبيةُ الجُنودِ الَّتي أفرَطتْ في الشُّربِ مِن النَهَرِ: «لا طاقةَ لَنا اليَومَ بقتالِ جَيشِ أعدائنا بقيادةِ جالوتَ». فقالت القِلَّةُ الَّتي كانتْ قد عَمِلَتْ برأيِ قائدِها طالوتَ ، عن عَقيدةٍ بأنَّهم إلى اللهِ مُنقلِبونَ في النِّهايةِ: «ما أكثَرَ الوَقائعَ الَّتي غَلَبَتْ فِئَةٌ قَليلةُ العَددِ فيها فِئَةً كثيرةً بإذنِ اللهِ! واللهُ إنَّما يكونُ مَعَ

الصّابرينَ على أمرِه».

تعقيبٌ:

حُريَّةُ رأيٍ عَسكَريٍّ.

١٩/أ/٨ وَلُوْطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِه: «إِنَّكُمْ لَتَأْتُوْنَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِيْنَ ؛ أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُوْنَ الرِّجالَ وتَقْطَعُوْنَ السَّبِيْلَ وتَأْتُوْنَ فِي نادِيْكُمُ الْمُنْكَرَ!» ، فَما كانَ جَوابَ قَوْمِه إِلاّ أَنْ قالُوا: «ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِيْنَ»! قالَ: «رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِيْنَ». [العَنكَبوتُ: ٢٨-٣٠]

الشَّرْحُ:

ونَبيَ اللهِ لوطَ حينَ قالَ لِقَومِه: «إنَّكُم لَتَفعلونَ مَشيناً مُستقبَحاً لَم يَسبقْكُم لِفعلِه سابقٌ مِن الخَلائقِ! ما أقبحَ أنْ تُجامعوا الرِّجالَ ، وتَقطَعوا الطَّريقَ على العابرِ ، وتَعملَوا في ناديكُم الْمَرفوضَ مِن فِعلٍ وقَولٍ» ؛ فما أجابَهُ قَومُهُ بغَيرِ: «اوقِعْ علينا عذابَ اللهِ إنْ كُنتَ صادِقاً فيما تنهانا عَنهُ»! دَعا ربَّهُ قائِلاً: «ربِّي ، انصُرْ مَوقِفي على مَوقِفِ القَومِ الْمُفسِدينَ».

تعقيبٌ:

قضيَّةُ رأيٍ اجتماعيٍ.

١٩/أ/٩ قالَ: «يا قَوْمِ ، أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً ؛ وَما أُرِيْدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلَى ما أَنْهاكُمْ عَنْهُ ، إِنْ أُرِيْدُ إِلاّ الإِصْلاحَ ما اسْتَطَعْتُ ؛ وَما تَوْفِيْقِي إِلاّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيْبُ». [هُودُ: ٨٨]

قالُوا: «يا شُعَيْبُ ، ما نَفْقَهُ كَثِيْراً مِمّا تَقُوْلُ ، وَإِنّا لَنَراكَ فِيْنا

ضَعِيْفاً ؛ ولَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيْزٍ». [هُودُ: ٩١]

وَ: «يا قَوْمِ ، اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ ، إِنِّي عَامِلٌ ؛ سَوْفَ تَعْلَمُوْنَ مَنْ يَأْتِيْهِ عَذَابٌ يُخْزِيْهِ ، وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ؛ وَارْتَقِبُوا ، إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيْبٌ». [هُودُ: ٩٣]

الشَّرْحُ:

قالَ نَبِيُّ اللهِ شُعَيْبُ لِقَومِهِ أهلِ مَدْيَنَ: «يا قَومي ، ما رأيُكُم إنْ كُنتُ على عِلْمٍ بائنٍ من ربِّي ، وقد رَزَقَني من عندِهِ رِزقاً حَسَناً فلا يَدفَعُني حِقدٌ على مَكاسِبِكم أو حَسَدٌ لِتجارتِكم ؛ وما أُريدُ أنْ أكونَ مُجَرَّدَ مُخالِفٍ لكم فيما أنهاكُم بِهِ من رأيٍ بعدمِ إبخاسِ النّاسِ أشياءَهُم ، وإنقاصِ المِكيالِ والميزانِ في الشِّراءِ (البَيْعِ) ، والإلحاحِ إفساداً في الأرضِ ، ولَكِنْ أُريدُ الإصلاحَ للعُمومِ ، وما اهتِدائي وصَوابي في الإصلاحِ إلاّ بمشيئَةِ اللهِ ؛ على اللهِ تَوكَّلتُ في مَسعاي معَكُم ، وإلَيه أركَنُ وألجَأُ. ياقَومي ، استمِرُّوا بمشيئَتِكُم فيما تَفعَلونَ ، وأنا على ما أعمَلُ ، فسَوفَ تَعلَمونَ مَن يأتيهِ منّا عذابٌ من اللهِ يُذِلُّهُ ، ومَن يَثْبُتُ كَذِبُهُ ، وانتظِروا ذَلِكَ الوعدَ وأنا مُنتظِرٌ معَكُم.

تعقيبٌ:

حُرِّيَّةُ تراءٍ عَيْشيٍّ (اقتِصاديٍّ).

١٩/أ/١٠ إنَّ الَّذِيْنَ لا يُؤْمِنُوْنَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّوْنَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى! وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُوْنَ إِلاَّ الظَّنَّ ، وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ؛ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا وَلَمْ يُرِدْ إِلاّ الْحَيَاةَ الدُّنْيا. [النَّجمُ: ٢٧-٢٩]

الشَّرْحُ:

إنَّ الَّذينَ لا يؤمِنونَ مِن النّاسِ بالحياةِ الآخِرةِ يُسمُّونَ الملائكةَ بأسماءِ الإناثِ ، وليسَ لَهم عِلمٌ ، هؤُلاءِ النّاسِ ، بذَلكَ التَّأنيثِ ، ولَكنَّهم يَتَّبعونَ فقط الظَّنَّ ، ولا يُفيدُ الظَّنُّ بشَيءٍ عن الحَقيقةِ ؛ فتَجاهَلْ يا مُحَمَّدُ /أيُّها المؤمِنُ مَن انصرَفَ عن قُرآنِنا ولَم يَهتمَّ إلاّ بالحياةِ الأولى.

تعقيبٌ:

حُرِّيَّةُ رأيٍ عِلميٍّ.

١١/أ/١٩ قُلْ: «هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ» ؛ ما كانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلأِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ. [ص: ٦٧-٦٩]

الشَّرْحُ:

قُلْ يا مُحمَّدُ للنّاسِ: «إنَّ تَخاصُمَ أهلِ النّارِ فيما بَينَهم نَبأٌ خَطيرٌ أخبَرتُكم بهِ أنتم لهُ مُتجاهِلونَ ؛ ما كانَ لي مِن عِلمٍ بأهلِ العالَمِ العُلويِّ وهُم يتَلاوَمونَ ما لَم يُوحِ اللهُ بهِ إليَّ».

تعقيبٌ:

حُرِّيَّةُ تَراءٍ عِلميٍّ.

١٢/أ/١٩ وَإِذا قِيلَ لَهُمْ: «اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ» ، قالُوا: «بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا»! أَوَلَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذابِ السَّعِيرِ؟! وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ، وَإِلَى اللَّهِ عاقِبَةُ الأُمُورِ. [لُقمانُ: ٢١-٢٢]

الشَّرْحُ:

وإذا قِيلَ لِبعضِ النّاسِ: «اتَّبِعوا ما أنزَلَ اللهُ مِن تَعاليمٍ» ، قالوا: «بَلْ نَتَّبِعُ مِنها ما

وجَدنا أسلافَنا علَيه»! أوَلَو كانَ الشَّيْطانُ يَدعوهُم بِهَذا الرَّأيِ لِيُوقِعَهم في عَذابِ النّارِ المُستَعِرة؟! ومَن يُفَوِّضُ مِن النّاسِ كلَّ أمرِهِ إلى اللهِ وهوَ مُحسنُ العَملِ فقدْ تَمسَّكَ بالرَّأيِ الأقوى ، والعهدِ الَّذي لا انقضاضَ لهُ ، وإلى اللهِ تَنتهي الأُمورُ قَصداً مِنها وفَصلاً فيها .

تعقيبٌ:

حُرِّيَّةُ تَمسُّكٍ بالرَّأيِ.

١٣/أ/١٩ وَأَطِيْعُوا اللّٰهَ وَأَطِيْعُوا الرَّسُوْلَ ؛ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُوْلِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِيْنُ. [التَّغابُن: ١٢]

الشَّرْحُ:

وأطيعوا أيُّها النّاسُ اللهَ فيما يَعظُكم بهِ أمراً ونَهياً ، وأطيعوا الرَّسُولَ فيما ارتآهُ لكم إنذاراً وتَبْشيراً ، فإن انصرَفتُم عن ذلِكَ فإنَّما على رَسُولِنا ليسَ غَيرُ التَّبليغِ البائنِ.

تعقيبٌ:

مُخاطَبَةُ الآيةِ للنّاسِ تُفهَمُ مِن قَولِهِ (تَعالَى) في بدايةِ السُّورة: *هُوَ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ، وَاللّٰهُ بِما تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ.* حُرِّيَّةُ تَمسُّكٍ بالرَّأيِ.

١٤/أ/١٩ ومِن الآياتِ الكريمةِ الأُخرى الَّتي تَدْعَمُ نَفسَ المعاييرِ السّابقةِ مِن مَفهومِ حُرِّيَّةِ إبداءِ الرَّأيِ والتَّمسُّكِ بهِ – بنفسِ التَّرتيبِ:

الشُّورَى: ٤٧–٤٨ ؛ الغاشيَةُ: ٢١–٢٢.

غافرٌ: ٤٢ و ٤٤ ؛ الأنْعامُ: ٣٤–٣٥ ؛ الزُّخرُفُ: ٨٨–٨٩.

النَّملُ: ٣٢ ؛ غافرٌ: ٢٩.

المائدَةُ: ٢١–٢٥ ؛ التَّوبَةُ: ٨١–٨٣

الشُّعراءُ: ١٦١ و ١٦٥–١٦٨.

آلُ عِمرانَ: ٦١ ؛ الأنبياءُ: ٣٢ ؛ فُصِّلَتْ: ١١–١٣.

آلُ عِمرانَ: ٢٣.

١٩/ب تقديم:

أمرُ إعاقةِ الإنسانِ عن استيرادِ المَعلوماتِ والآراءِ عَبرَ الوسائطِ المحسوسةِ في الموانئِ الحُدوديَّةِ غيرُ بارزٍ في القرآنِ لِعَدمِ إقرارِهِ أصلاً بالحُدودِ السِّياسيَّةِ ، الَّتي اصطنَعَها الإنسانُ ، كما أشَرْنا لذَلِكَ في تَناوُلِ المادَّةِ الثَّالثةَ عَشْرةَ سابِقاً.

١٩/ب/١ الَّذِيْنَ يَسْتَمِعُوْنَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُوْنَ أَحْسَنَهُ ، أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ، وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُو الأَلْبَابِ. [الزُّمَرُ: ١٨]

الشَّرْحُ:

بُشْرَى لِعبادِ اللهِ الَّذينَ يَستمِعونَ لأفكارِ ومَعلوماتِ الآخرينَ فيتَّبِعونَ أحسنَها ؛ أُولَئِكَ الَّذينَ وَفَّقَهُم اللهُ ، وأُولَئِكَ هُم ذَوو العُقولِ.

تعقيبٌ:

حُرِّيَّةُ استيرادِ المَعلوماتِ سَماعاً.

١٩/ب/٢ أَفَلَمْ يَسِيْرُوْا فِي الأَرْضِ فَتَكُوْنَ لَهُمْ قُلُوْبٌ يَعْقِلُوْنَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُوْنَ بِهَا؟! فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوْبُ الَّتِي فِي الصُّدُوْرِ! [الحَجُّ: ٤٦]

الشَّرْحُ:

أفَلَم يَسِرِ المُنكِرونَ لآياتِنا وذِكرِنا ، نحنُ اللهُ ، في الأرضِ فيُعمِلوا عُقولَهُم وضَمائرَهُم ويَستمِعونَ بآذانِهِم نُشداناً للحقِّ فِكرَةً ومَعلومةً؟! إنَّ الأبصارَ لا تَعمَى عن إدراكِ الحقائقِ ، ولَكِنْ تَعمى عنها الضَّمائرُ والأهواءُ.

تعقيبٌ:

حَثٌّ على استيرادِ الفِكرِ والمَعلوماتِ مِن أنحاءِ الأرضِ.

١٩/ب/٣ يا أَهْلَ الْكِتابِ ، لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ؟ [آلُ عِمرانَ: ٧١]

الشَّرْحُ:

يا أهلَ التَّوراةِ والإنجيلِ ، لماذا تَستُرونَ الحقَّ بالباطِلِ ، وتَكتُمونَ الحَقيقةَ وأنتم تَعلَمونَ بها؟!

تعقيبٌ:

استِنكارٌ لِكِتمانِ الحقِّ ، فِكرةً ومَعلومةً ، عن عِلمٍ بها.

١٩/ب/٤ يا أَهْلَ الْكِتابِ ، قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ؛ قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتابٌ مُبِينٌ. [المائِدةُ: ١٥]

الشَّرْحُ:

يا أهلَ التَّوراةِ والإنجيلِ ، قد جاءَكُم رَسُولُنا مُحمَّدٌ يُبَيِّنُ لكم كثيراً مِمّا كُنتم تُخفُونَ مِن تعاليمَ وحقائقَ في التَّوراةِ والإنجيلِ ، ويَعفو عن كثيرٍ غَيرِها ؛ قد جاءَكُم مِن اللهِ ما يُنيرُ حياتَكُم بالصَّلاحِ وكتابٍ بائنٍ.

تعقيبٌ:

تَقريعٌ لَطيفٌ على حَجْبِ الحقائقِ ، عِلماً وفِكراً ، عن عَمْدٍ.

١٩/ب/٥ ومِنَ الآياتِ الكريمةِ الأُخرى الَّتي تَدْعَمُ نَفسَ المعاييرِ السّابقةِ مِن مَفهومِ حُرِّيَّةِ التَّزوُّدِ بالرَّأيِ الآخَرِ:

القَصَصُ: ٤٩ ؛ العَنكَبوتُ: ١٩-٢٠ ؛ هُودُ: ١٣-١٤ ؛ الأنعامُ: ٢٥-٢٦ و ١١٢-١١٣.

٢٠

أ - كلُّ فردٍ لَهُ الحَقُّ في حُرِّيَّةِ التَّجمُّعِ والتَّرافُقِ السِّلْميِّ مع الآخَرينَ.
ب - لا يُجبَر أحدٌ على الانتماءِ إلى جماعةٍ ما.

a- Everyone has the right to freedom of peaceful assembly and association.
b- No one may be compelled to belong to an association.

فِكرَةُ التَّجمُّعِ أو التَّحزُّب عُموماً أساسُها الاشتراكُ أو الالتقاءُ حَولَ فكرٍ أو رأيٍ مُعَيَّنٍ ؛ وأيّاً كانَت طَبيعتُهُ أو أهدافُهُ: دينيَّةً ؛ أو سياسيَّةً /عَسكريَّةً ؛ أو اجتماعيَّةً /علميَّةً ؛ أو مِهَنيَّةً/اقتصاديَّةً ... فحُرِّيَّةُ الانتماءِ إلى أو الانفضاضِ عن تَجمُّعٍ هيَ حُرِّيَّةُ فِكرٍ ورأيٍ ، وقد سَبَقَ تناوُلُهما في المادتَينِ الثَّامنةَ عَشْرَةَ ، والتَّاسعةَ عَشْرَةَ السَّابِقَتَينِ.

إضافةً لذَلكَ ، فقدْ طَرحَ القُرآنُ الكريمُ الأساسَ العامَّ لِفكرَةِ التَّجمُّعِ السِّلْميِّ فيما منهُ:

١/٢٠ ... تَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ؛ وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ. [المائدة: ٢]

٢/٢٠ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ؛ إِذا تَناجَيْتُمْ فَلا تَتَناجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ، وَتَناجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ. [المُجادَلَة: ٩]

كما تَعرَّضَ للفكرةِ بالاسمِ (النَّادي ؛ المجالِسُ ؛ الحِزبُ) كَمَسعىً بَشَريٍّ حُرٍّ في آياتٍ مِنها: العَلَقُ: ١٧ ؛ مَريَمُ: ٧٣ ؛ المُجادَلَةُ: ١١ و ١٩ و ٢٢ ؛ المائِدَةُ: ٥٦ ؛ فاطِرُ: ٥-٦.

٢١

أ – كلُّ فَردٍ لَهُ الحَقُّ في أنْ يُشارِكَ في سُلْطةِ (حُكومةِ) قُطْرِه ، مُباشَرةً أو من خلالِ مُمثِّلينَ مُختارينَ بشكلٍ حُرٍّ.
ب – كلُّ فَردٍ لَهُ الحَقُّ في الوُصولِ على قدمِ المُساواةِ إلى الخِدمةِ العامَّةِ في قُطْرِه.
ج – إرادةُ الشَّعبِ تكونُ هيَ الأساسُ لسُلْطةِ الدَّولةِ (الحُكومةِ) ؛ ويُعبَّرُ عن تلكَ الإرادةِ في انتخاباتٍ دَوريَّةٍ وحقيقيَّةٍ ، والَّتي تكونُ بإجماعٍ واقتراعٍ مُتساوٍ ، وتُعقَدُ بالتَّصويتِ السِّرِّيِّ أو بإجراءاتِ تَصويتٍ حُرٍّ مُعادلة.

a- Everyone has the right to take part in the government of his country, directly or through freely chosen representatives.
b- Everyone has the right to equal access to public service in his country.
c- The will of the people shall be the basis of the authority of government; this will shall be expressed in periodic and genuine elections which shall be by universal and equal suffrage and shall be held by secret vote or by equivalent free voting procedures.

عناصرُها:

أ – حَقُّ المُشاركةِ في السُّلطة (الحُكم).
ب – حَقُّ العملِ في الخدمةِ العامَّة.
ج – دَوريَّةُ انتخابِ السُّلطةِ انتخاباً حقيقياً.

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

٢١/أ/١ يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا ، أَطيعُوا اللَّهَ وأَطيعُوا الرَّسُولَ وأُولي الأمرِ مِنكُمْ ؛ فَإنْ تَنازَعتُمْ في شَيءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللَّهِ والرَّسُولِ ، إنْ كُنْتُمْ

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ؛ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً. [النِّساءُ: ٥٩]

الشَّرْحُ:

يا مَن آمَنتم باللهِ وملائكتِهِ وكتبِهِ ورُسُلِهِ واليَومِ الآخِرِ ، أطيعوا قُرآنَ اللهِ شَرعاً ومَنهجاً ؛ وأطيعوا تَوجيهاتِ/أمْرَ رَسُولِهِ (بما في ذَلِكَ صَحيحِ سُنَّتِهِ في شَرحِ ما أجمَلَهُ القُرآنُ) ؛ ثُمَّ أطيعوا مَن تَوَلَّوا أمرَكُم (السُّلطةَ) ؛ فإنْ شَبَّ نِزاعٌ بَينَكُم وبينَ وليِّكُم فاحتَكِموا في ذَلِكَ لقُرآنِ اللهِ: نَصّاً ، أو قِياساً ، أو استِنتاجاً ؛ وأمْرِ/صَحيحِ سُنَّةِ رَسُولِهِ ؛ ذَلِكَ إنْ كُنتم تُؤمِنونَ فعلاً باللهِ ويَومِ الحِسابِ ؛ فالاحتِكامُ للقُرآنِ وصَحيحِ الحديثِ خَيْرٌ وأحسنُ مَرجِعاً.

تعقيبٌ:

تُحِقُّ الآيةُ للتَّابِعِ أنْ يُنازِعَ السُّلطةَ (وليَّ الأمرِ) ، والفَيْصلُ وَحْيُ اللهِ. مُشارَكَةٌ في السُّلطةِ.

٢١/أ/٢ وَالَّذِيْنَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ ، وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ ، وَأَمْرُهُمْ شُوْرَى بَيْنَهُمْ ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُوْنَ. [الشُّورَى: ٣٨]

الشَّرْحُ:

ما عِندَ اللهِ مِن جَزاءٍ ومَتاعٍ خَيرٌ مِن مَتاعِ الدُّنيا وأكثرُ بقاءً لِلَّذينَ آمَنوا ويَتَّصِفونَ ، فيما يَتَّصِفونَ ، بأنَّهُم استجابوا لربِّهِم ما أمرَ ونَهَى ؛ وأقاموا الصَّلاةَ ؛ وأمرُ حياتِهِم ، مِمّا لَم يَنزِلْ فيهِ قُرآنٌ ، خاضِعٌ لِتشاوُرِهِم فيما بَينَهم ؛ ويُنفِقونَ طاعةً وإرضاءً لنا نحنُ اللهِ مِمّا رَزَقناهُم.

تعقيبٌ:

الشُّورَى هيَ مَبدأُ المُشارَكةِ ، مُباشَرَةً أو مِن خِلالِ مُمَثِّلينَ ، في السُّلطةِ.

٢١/أ/٣ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ. [الشُّعراءُ: ٢١٥]

الشَّرْحُ:

اخفضْ جانِبَكَ (كِنايةٌ عن التَّواضُعِ ولينِ القلْبِ) لِمَن تَبِعَكَ مِن المؤمنينَ والياً لأمرِهِم.

تعقيبٌ:

التَّواضُعُ ولينُ القلْبِ مِن وليِّ الأمرِ مُنطلَقُ اشتراكِ رَعيَّتِهِ معَهُ في السُّلطة.

٢١/أ/٤ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ حقِّ المُشاركَةِ في السُّلطة:

الزُّخرُفُ: ٥١ و ٥٤.

٢١/ب/١ وَقَالَ الْمَلِكُ: «ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي» ؛ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ: «إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ» ، قَالَ: «اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ ، إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ». [يوسُفُ: ٥٤-٥٥]

الشَّرْحُ:

قالَ مَلِكُ مصْرَ - حينَ أوَّلَ لهُ نَبيُّ اللهِ يوسفُ حُلْمَهُ ذا السَّبعِ بقراتٍ مِن داخلِ السِّجنِ ؛ ثُمَّ ثَبُتَت بَراءَتُه ممَّا كانَ نُسِبَ إليه - لِمَسؤوليه: «أرسلوا إليَّ يوسفَ لأختَصَّ بِه نَفسي» ؛ فلمّا جاءَ يوسُفُ وكلَّمَهُ المَلِكُ قالَ الملكُ لهُ: «إنَّكَ مِن اليَومِ وطيدُ المَكانةِ لدَينا ، آمِناً على نَفسِكَ» ؛ فقالَ يوسُفُ للمَلك: «نَصِّبْني على إدارةِ خَزائنِ الأرضِ (المالِ والتِّجارةِ) ، فإنَّني حَفيظٌ للمالِ عَليمٌ بأُصولِ التِّجارةِ».

تعقيبٌ:

مَمْلوكٌ مِصريُّ المَنشَأ (المَوطنِ) ، أصلُهُ مِن غَيرِ أهلِ البلادِ ، استأهلَ الالتِحاقَ بالخِدمةِ العامَّةِ في الدَّولةِ بأمانَتِه ، وعِلمِه ، وجدارَتِه.

٢١/ب/٢ وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ: «لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ» ، تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَنْ لا يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ. [التَّوبةُ: ٩٢]

الشَّرْحُ:

ولا مِن حَرَجٍ علَيهم أنْ لا يَنضمَّ لجَيشِ المؤمنينَ مَن إذا أتَوكَ يا رَسُولَ اللهِ/وليَّ الأمرِ لإعطائِهم ما يَركَبونَهُ رَغبةً في الانضِمامِ للجَيشِ قُلتَ لهم: «لَيسَ لدَينا ما تَركَبونَهُ» ؛ انصرَفوا والدُّموعَ في أعيُنِهم مِن الحُزنِ لِكَونِهم لا يَجدونَ مالاً يَشترونَ بهِ ما يَركَبونَ في قِتالِهم أو يُساهِمونَ بهِ في إعدادِ جَيشِ المؤمنينَ.

٢١/ب/٣ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ حقِّ العملِ في الخِدمةِ العامَّةِ:

طه: ٢٩-٣٢ ؛ الأعْرافُ: ١٤٢.

٢١/ج تقديمٌ:

العناصرُ القُرآنيَّةُ التَّاليةُ تَضعُ الثَّلاثةُ الأولى مِنها مُسوِّغاتِ وِلايةِ الأمرِ في:

| تَوفُّرُ الإيمانِ (بأركانِهِ الخَمسةِ).

|| سِيادةُ العِلْمِ.

||| تَوفُّرُ الكَفاءَةِ والجَدارةِ الفِطريَّةِ.

ثُمَّ تَتناولُ الثَّلاثةُ الأخيرةُ مَبادئَ:

| المُساواةُ وعدمُ التَّفرقةِ.

|| الانتِخابُ بالاقتراعِ الحُرِّ.

||| دَورانُ الأيَّامِ بينَ النَّاسِ.

ممَّا يَجعلُ أركانَ انتخابِ السُّلطةِ الصَّالِحةِ انتخاباً دَورِيّاً وحَقيقيّاً ومُتساوياً أساساً قائِماً في القُرآنِ.

٢١/ج/١ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ، لا تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وَإِخْوانَكُمْ أَوْلِياءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمانِ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. [التَّوبةُ: ٢٣]

الشَّرْحُ:

يا مَن آمَنتم بالله وملائكته وكتبهِ ورُسُلِهِ واليَوم الآخرِ ، لا تتَّخذوا آباءَكُم وإخوانَكُم أولياءَ لأمورِكُم إنْ كانَ الكُفرُ أحبَّ إليهِم مِن الإيمانِ ؛ ومَن يتَّخذْهُم منكُم أولياءَ فالمُتَّخذونَ ظالمونَ.

٢١/ج/٢ رَبِّ ، قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ ، وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ. فاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ». [يوسُفُ: ١٠١]

الشَّرْحُ:

دَعا نَبيُّ اللهِ يوسُفُ ربَّنا قائلاً: «ربِّي ، حَمداً لكَ وشُكراً أنْ جَعلتَني مَلِكاً على مِصْرَ وعَلَّمتَني مِن تأويلِ الأحلامِ. يا خالِقَ السَّماواتِ والأرضِ ابتداعاً ، أنتَ وليُّ أمري في الدُّنيا والآخرةِ ، فتوفَّني مُسلِماً بألوهيَّتِكَ وحدَكَ ، وأدخِلْني في عِدادِ الصَّالحينَ مِن عبادِكَ.

٢١/ج/٣ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً» ؛ قَالُوا: «أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ، وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ؟!» ؛ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ ، وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ، وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ». [البَقَرَة: ٢٤٧]

الشَّرْحُ:

قالَ نَبيٌّ لِبَني إسرائيلَ ، مِن بعدِ مُوسى ، للمَلأ منهُم: «إنَّ اللهَ قد نَصَّبَ وأقامَ "طالوتَ" مَلِكاً علَيكم لقتالِ أعدائكُم ؛ فقالوا: «مِن أينَ يكونُ لهُ المُلكُ علَينا ونحنُ أحقُّ بالمُلكِ منهُ ، ولَيسَ لهُ مالٌ وفيرٌ!» ؛ قالَ النَّبيُّ: «إنَّ اللهَ انتقاهُ مِن بَينِكُم ، وزادَهُ

في علمِه اتِّساعاً وفي جِسمِهِ قوَّةً» ؛ واللهُ يؤتي مُلكَهُ مَن يَشاءُ من عِبادِه ، واللهُ واسعُ المُلكِ ، عليمٌ بصِفاتِ خَلْقِه.

٢١/ج/٤ إنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً ، يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ ، إِنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ؛ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ، وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ. [القصص: ٤-٥]

الشَّرْحُ:

مَيَّزَ فِرْعَوْنُ بينَ أهلِ مَملكتِه ، ثُمَّ كانَ يَذبَحُ كلَّ ذكرٍ يُولَدُ لطائفةِ بَني إسرائيلَ ، مُستَضعِفاً إيّاهُم ، ويَستبْقي نِساءَهُم أحياءً رَهنَ السُّخرةِ (وربَّما الجنس) ؛ ونُريدُ أنْ نُنعِمَ على تلكَ الطّائفةِ ونَجعلَهُم في الطَّليعةِ هُداةً ، ونَجعلَهُم الوارِثينَ للنِّعمِ/للأرضِ.

٢١/ج/٥ ذَلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ، وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ، وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ. [آلُ عِمرانَ: ٤٤]

الشَّرْحُ:

ذَلكَ الَّذي نَقصُّهُ عليكَ يا مُحمَّدُ مِن خَبرِ آلِ عِمرانَ هوَ مِن أنباءِ الغَيبِ عنكَ نُوحي إليكَ بِه ، وما كُنتَ لدى قومِ زَكَريّا وهُم يَقترِعونَ على أيِّهم يَتولّى كفالةَ مَرْيَمَ ، ولا وهُم يَتخاصَمونَ في ذَلِكَ.

٢١/ج/٦ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ، وَتِلْكَ الأَيّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النّاسِ ؛ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ ، وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظّالِمِينَ ، وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكافِرِينَ. [آلَ

عمرانَ: ١٤٠-١٤١]

الشَّرْحُ:

إنْ ينالَكُم قَرْحٌ (وهوَ الجُرحُ المُتَقيِّحُ ؛ كِنايةٌ عن الألمِ والمُعاناةِ) ، فقد مَسَّ أعداءَكُم قَرْحٌ مثلُهُ ؛ والأيامُ بخَيرِها وشَرِّها ، وعُلُوِّها وانخفاضِها ، نُديرُها على النّاسِ سُنَّةً ؛ وليَعلَمَ اللهُ علمَ واقعٍ مَن آمَنَ من النّاسِ ، ويتَّخِذَ منكُم أيُّها المؤمنونَ شُهداءَ على إيمانِهِم ، واللهُ لا يُحِبُّ الظّالمينَ ؛ وليُخلِّصَ نُفوسَ الَّذينَ آمَنوا من شَوائبِها ، ويَستأصِلَ الكافرينَ.

٢١/ج/٧ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مُسوِّغاتِ ولايةِ الأمرِ:

النِّساءُ: ١٤٤ ؛ يوسفُ: ٢٢ ؛ ص: ٨ ؛ فاطرٌ: ٣٩ ؛ المائدةُ: ٥٦.

٢٢

كلُّ فَردٍ ، كعُضوٍ في المُجتمَعِ ، لهُ الحَقُّ في تأمينٍ اجتماعيٍّ ؛ وهوَ مُخوَّلٌ تَحقيقَ الحُقوقِ الاقتصاديَّةِ والاجتماعيَّةِ والثَّقافيَّةِ الَّتي لا غِنىً عنها لِكرامَتِه وللتَّطوُّرِ الحُرِّ لشَخصيَّتِهِ ، مِن خِلالِ مَسعىً قوميٍّ وتَعاوُنٍ أُمَميٍّ (دُوَليٍّ) ، ووِفقاً لتنظيمِ ومَوارِدِ كلِّ بَلَدٍ.

Everyone, as a member of society, has the right to social security and is entitled to realization, through national effort and international cooperation and in accordance with the organization and resources of each state, of the economic, social and cultural rights indispensable for his dignity and the free development of his personality.

عُنصُراها:

أ - حقُّ التَّأمينِ/الضَّمانِ الاجتماعيِّ.

ب - ضمانُ الحُقوقِ الاقتصاديَّةِ ، والاجتماعيَّةِ ، والثَّقافيَّةِ/العِلميَّةِ.

٢٢/أ تَقديمٌ:

أرسى القُرآنُ الكريمُ حقَّ الضَّمانِ الاجتماعيِّ مِن خِلالِ ستَّةِ مَصادرِ للتَّمويلِ على الأقلِّ ، هيَ:

١- الزَّكاةُ أو الصَّدَقةُ المفروضةُ ، وهيَ على:

| النَّقدُ (مِن الذَّهبِ والمعادنِ النَّفيسةِ ومثلِهما).

|| الحَرثُ (ممَّا تُنبتُ الأرضُ).

وحدَّدَ مَصارِفَها (مُستحقِّيها) بالتَّاليةِ:

* الفُقَراءُ (الَّذينَ يَعوُزهم ما يَكفيهم ويُقيمُ حَياتَهم ، كما يُقيمُ فقَارُ الظَّهرِ بَدَنَ الإنسانِ ، لانحِصارٍ عن الضَّربِ في الأرضِ ؛ أو لانعدامِ فُرَصِ العملِ ؛ أو

لقلّة الدّخل عُموماً).

* المَساكينُ (الفُقَراءُ بمصابٍ مِن هرَمٍ/شَيخوخةٍ ؛ أو عَجزٍ جِسمانيٍّ ؛ أو تَرَمُّلِ النِّساء ؛ وبما شابَهَ).
* العاملونَ علَيها (جَمعاً وحِفظاً وتَوزيعاً).
* المؤلَّفةُ قُلوبُهم (على الإيمانِ باللهِ ؛ وبِدونِهِ مِن خَيرٍ).
* في الرِّقابِ (لِتَحريرِ العبيدِ).
* الغارِمونَ (مَن علَيهِم غُرمٌ < دَفعُ مالٍ > : أداءً لِدَينٍ ؛ أو تَداوي ؛ وما شابَهَ).
* في سَبيلِ اللهِ (إبلاغاً لِرِسالَةِ اللهِ ؛ أو دِفاعاً عن دِينِ اللهِ ؛ أو تَحصيلَ عِلمٍ ؛ وما شابَه).
* ابنُ السَّبيلِ (المُنقطِعُ عن أهلِهِ ، ومالِهِ ، ودِيارِهِ في غَيرِ مَعصيَةٍ - يَغلُبُ أنْ يكونَ مِن غَيرِ أهلِ البِلادِ).

٢- مَتاعُ النِّساءِ (بالمَعروفِ/بالحُسنَى): إغذاءً ، وكِساءً ، وإيواءً ، و/أو مالٍ ، عِندَ التَّسريحِ/الانفصالِ/الطَّلاقِ.(*)

٣- جَزاءُ عَددٍ مِن الجُنَحِ الصَّغيرةِ:
* تَكفيرُ القَسَمِ غَيرِ المُبَرِّ.
* ظِهارُ الرَّجلِ مِن امرأتِه.
* قَتلُ الصَّيدِ حُرُماً (في العُمرَةِ والحَجِّ بالأراضي المُقدَّسةِ).
* افتِداءُ الصِّيامِ (على مَن لا يَطيقونَ صِيامَ رَمَضانَ).

٤- بأداءِ فَريضةِ الحَجِّ ؛ ومِن النُّذورِ.

٥- الإنفاقُ والتَّصدُّقُ تَطوُّعاً (نَقداً أو عَيناً) ؛ ويُشترَطُ فيه:

| في سَبيلِ اللهِ (لِغَيرِ تَحقيقِ مَصلحةٍ مَعيشيَّةٍ)

(*) كانَ لنا مَزيدٌ على هَذا البابِ مِن رأينا وحَذفناهُ لاعتراضِ «إدارةِ البُحوثِ والتَّأليفِ والتَّرجمةِ» بالأزهرِ للاختلافِ مَعها على انتِساخِ الآيةِ ذاتِ العلاقةِ.

|| عَدمُ إتباعه بِمَنٍّ أو أذَى.

||| الإخفاءُ ما أمكَنَ.

|||| مِن طَيِّبِ الكَسْبِ الحَلالِ.

وحدَّدَ مَصارِفَهُ بالتّالية:

* ذَوُو القُربَى بَدءاً بالوالِدَين.
* الفُقَراءُ.
* اليَتامَى بدءاً بالأقارب.
* المَساكينُ.
* ابنُ السَّبيل.
* السائِلونَ (مَن علَيهم غُرمٌ أداءً لِدَينٍ ؛ أو تَداوي ؛ وما شابَهَ).
* في الرِّقاب.
* إطعامُ الأسرى.

٦- غَنائِمُ الحَربِ (خُمُسُها) ؛ ومَصارِفُها - مِن جِهةِ الضَّمانِ الاجتماعيِّ:

* اليَتامَى.
* المَساكينُ.
* ابنُ السَّبيل.
* الفُقَراءُ (خاصَّةً مَن خَرجوا مِن دِيارِهم وأموالِهِم ابتغاءَ فَضلِ اللهِ ونَصراً لهُ ولِرَسولِهِ).

يُلاحَظُ أنَّ مِن مُستحِقِّي التّأمينِ الاجتماعيِّ في مَنهجِ القُرآنِ احتُسِبَ فِئَتانِ لا تَدخُلانِ في نِطاقِ هَذا الحقِّ وفقَ ما أرادَتهُ المادَّتان: ٢٢ و ٢٥-أ مِن إعلانِ الأُمَمِ، في تَصوُّرِنا، وهُما: المُؤَلَّفةُ قُلوبُهم ؛ وابنُ السَّبيلِ مِن غَيرِ أهلِ البِلادِ.

ونِسبةُ الزَّكاةِ المَفروضةِ قد حَدَّدَها الرَّسُولُ مُحمَّدٌ ؛ أما أُسلوبُ الصَّرفِ فيَصِحُّ أنْ يكونَ فَردياً أو جَماعياً مُنظَّماً ؛ كما يَستبِينُ ذَلكَ مِن افتراضِ نَصيبٍ مِن الزَّكاةِ للعامِلينَ

عليها. ويُروى عن الرَّسولِ أحاديثُ تُضيفُ على ما أورَدناهُ لَم نَتطرَّقْ إليها لاقتِصارِ هَذا الكتابِ على القُرآنِ الكريمِ.

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

١/١/أ/٢٢ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ، وَآتُوا الزَّكَاةَ ، وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. [النُّور: ٥٦]

٢/١/أ/٢٢ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ، إِنَّ كَثِيراً مِن الأَحْبارِ وَالرُّهْبانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ. وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَها في سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ. [التَّوبة: ٣٤]

الشَّرْحُ:

يا مَن آمَنتم باللهِ وملائكتِه وكتبِه ورُسُلِه واليَومِ الآخرِ ، إنَّ كثيراً من أحبارِ اليَهوديَّةِ ورُهبانِ الْمَسيحيَّةِ يَأكُلونَ أموالَ النَّاسِ بالباطلِ أكلاً مؤكَّداً ؛ ويُعيقونَ اتِّخاذَ النَّاسِ الطَّريقَ إلى اللهِ عَملاً بِهَديِه. والَّذينَ يَخزنونَ الذَّهبَ والفضَّةَ (النَّقدَ) من النَّاسِ ولا يُزكُّونَ عنها في أوجُهِ مَرضاتِ اللهِ فبَشِّرهُم أيُّها الرَّسولُ /المؤمنُ بعذابٍ أليمٍ يَومَ الحِسابِ.

٣/١/أ/٢٢ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشاتٍ ؛ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ ؛ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشابِهاً وَغَيْرَ مُتَشابِهٍ. كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ ، وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصادِهِ ، وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ. [الأنعام: ١٤١]

الشَّرْحُ:

حَقُّهُ: الفَريضَةُ علَيه.

٢٢/أ/١/٤ وَالَّذِيْنَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُوْمٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُوْمِ. [المعارجُ: ٢٤-٢٥]

الشَّرْحُ:

والَّذين ممّا يَتَّصِفونَ بِهِ أنَّ في أموالِهِم حقٌّ مَعلومٌ يَدفعونَهُ للسّائلِ والْمَحرومِ مِن النّاسِ ؛ لَيسو بجَزوعينَ إذا مَسَّهُم الشَّرُّ ، ولا مانِعينَ للخَيرِ عن النّاسِ إذا هُم مسَّهُم خَيرٌ.

٢٢/أ/١/٥ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيْهِمْ بِهَا ؛ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ، وَاللهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ. [التَّوبةُ: ١٠٣]

٢٢/أ/١/٦ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ ، وَالْمَسَاكِيْنِ ، وَالْعَامِلِيْنَ عَلَيْهَا ، وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوْبُهُمْ ، وَفِي الرِّقَابِ ، وَالْغَارِمِيْنَ ، وَفِي سَبِيْلِ اللهِ ، وَابْنِ السَّبِيْلِ ؛ فَرِيْضَةً مِنَ اللهِ ، وَاللهُ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ. [التَّوبةُ: ٦٠]

الشَّرْحُ:

تَحقُّ الصَّدقاتُ للفُقَراءِ (الَّذينَ يَعُوزُهم ما يَكفيهم ويُقيمُ حَياتَهم ، كما يُقيمُ فقّارُ الظَّهرِ بَدَنَ الإنسانِ ، لانحِصارٍ عن الضَّربِ في الأرضِ ؛ أو لانعدامِ فُرَصِ العملِ ؛ وغَيرِهما) ؛ وللمساكينِ (وهم الفُقَراءُ بمَصابٍ مِن هرَمٍ/شَيخوخَةٍ ؛ أو العَجزِ الجِسمانيِّ ؛ أو بتَرَمُّلِ النِّساءِ ؛ وبما شابَهَ) ؛ وللعاملينَ علَيها (جَمْعاً وحِفظاً وتَوزيعاً) ؛ وللمُؤَلَّفةِ قُلوبُهُم (على الإيمانِ باللهِ ؛ ودونِهِ مِن خَيرٍ) ؛ وفي تَحريرِ العبيدِ (دونَ تَحديدٍ) ؛ وللغارمينَ (مَن علَيهِم غُرمٌ < دَفعُ مالٍ >: أداءً لِدَينٍ ؛ أو تَداوياً ؛ وما شابَهَ) ؛ وفي سَبيلِ اللهِ (إبلاغِ رِسالَةِ اللهِ ؛ أو الدِّفاعِ عن دينِ اللهِ ؛ أو تَحصيلِ علمٍ ؛ وما شابَهَ) ؛ ولابنِ السَّبيلِ (الْمُنقطِعُ عن أهلِهِ ، ومالِهِ ، ودِيارِهِ

في غيرِ مَعصيةٍ – يَغلُبُ أنْ يكونَ من غيرِ أهلِ البِلادِ) ؛ ذَلكَ فَرضٌ مِن اللهِ على كلِّ ذي مالٍ ، واللهُ عَليمٌ بأحوالِ عِبادِهِ ، حكيمٌ في التَّشريعِ لحَياتِهم.

٢٢/أ/١/٧ ومِن الآياتِ الكريمةِ الأُخرَى الَّتي وَرَدَ فيها إيتاءُ الزَّكاةِ باسمِها هَذا يَبلغُ عَددُها إحدَى وثلاثونَ آيةً مِن ثلاثٍ وعشرينَ سورةً ، هيَ:

البَقَرةُ ؛ النِّساءُ ؛ المائدةُ ؛ الأعرافُ ؛ التَّوبةُ ؛ مَريَمُ ؛ الأنبياءُ ؛ الحَجُّ ؛ المُؤمِنونَ ؛ النُّورُ ؛ النَّملُ ؛ الرُّومُ ؛ لُقمانُ ؛ الأحزابُ ؛ فاطِرٌ ؛ فُصِّلَت ؛ المُجادَلةُ ؛ المُزَّمِّلُ ؛ عَبَسَ ؛ الأعلى ؛ الشَّمسُ ؛ اللَّيلُ ؛ البَيِّنَةُ.

وتلكَ الَّتي وردَ فيها أيضاً الإخراجُ مِن حَرثِ الأرضِ:

البَقَرةُ: ٢٦٧ ؛ القَلَمُ: ١٧-٢٦.

ومِن تلكَ الَّتي تُؤكِّدُ أيضاً الحقَّ في المالِ للضَّمانِ الاجتماعيِّ:

الذَّارياتُ: ١٩ ؛ آلُ عِمرنَ: ١٨٠ ؛ الإسراءُ: ٢٦ ؛ الرُّومُ: ٣٨.

٢٢/أ/٢/١ لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَالَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيْضَةً ؛ وَمَتِّعُوهُنَّ ، عَلَى الْمُوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ ، مَتَاعاً بِالْمَعْرُوْفِ ؛ حَقاً عَلَى الْمُحْسِنِيْنَ [البَقَرةُ: ٢٣٦]

الشَّرْحُ:

لا جُنحَةَ عليكم أيُّها الرِّجالُ إنْ طلَّقتُم النِّساءَ ما لَم تُواطِئوهُنَّ جِنسيّاً ، أو تَفرِضوا لهُنَّ عليكُم صداقاً /مَهراً ؛ وحينئذٍ آتوهُنَّ مَتاعاً مِن مَلبَسٍ و/أو مالٍ ، على الغَنيِّ بقَدرِ غِناهُ ، وعلى المُقِلِّ بقدرِ مالِهِ ؛ مَتاعاً لهُنَّ بالحُسْنى حقّاً واجِباً على المؤمنينَ المُحسنينَ.

٢٢/أ/٢/٢ ومِن الآياتِ الكريمةِ الأُخرى الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَبدأَ إمتاعِ النِّساءِ بالمعروفِ حالَ الطَّلاقِ:

البَقَرةُ: ٢٤١ ؛ الأحزابُ: ٢٨ و ٤٩.

١/٣/أ/٢٢ لا يُؤاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ في أَيْمانِكُمْ ، وَلَكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما عَقَّدْتُمُ الأَيْمانَ ؛ فَكَفّارَتُهُ إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ، أَوْ كِسْوَتُهُمْ ، أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ؛ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيّامٍ ؛ ذَلِكَ كَفّارَةُ أَيْمانِكُمْ إِذا حَلَفْتُمْ ، وَاحْفَظُوا أَيْمانَكُمْ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. [المائدة: ٨٩]

الشَّرْحُ:

لا يُؤاخِذُكُم اللهُ بالقَسَمِ غَيرِ المُعتَدِّ بِه ولَم تَتعمَّدْهُ النِّيَّةُ إذا لَم تُوفوا بِه ، ولَكِنْ يؤاخِذُكُم بالقَسَمِ المَعقودِ علَيه النِّيَّةُ ؛ فالتَّكفيرُ عن عدمِ الوَفاءِ بِه يكونُ بإطعامِ عَشَرَةِ مَساكينَ بمِثْلِ ما يَطعَمُ أهلوكُم في المتوَسِّطِ ، أو كِسوَتِهِم بما يُساوي ذَلكَ مِن مالٍ ، أو تَحريرِ إنسانٍ مِن الرِّقِّ ؛ فمَن لَم يَجدْ منكم مسكيناً ولا رَقيقاً ، فصِيامُ ثلاثةِ أيّامٍ ؛ ذَلكَ تَكفيرُ قَسَمِكم إذا حَلَفتُم ولَم تَبرُّوا به ، واحفظوا القَسَمَ مِن أنْ تَلُوكُوهُ بداعٍ وبغيرِ داعٍ. بذَلِكَ الشَّكلِ يُبيِّنُ اللهُ لكم آياتِه أملاً في أنْ تَشكُروهُ على هَدْيِه.

تعقيبٌ:

الأيمانُ لُغةً جَمعُ يَمينٍ (اليَدُ اليُمنى) ، وتَعقيدُ الأيمانِ هو التقاءُ يَمينَيْ شَخصَينِ أو أكثرَ فيما يُشبِهُ العُقدَةَ ؛ وهوَ كِنايةٌ عن القَسَمِ.

٢/٣/أ/٢٢ وَالَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا ، فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَماسّا ، ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ، وَاللّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَماسّا ؛ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ، ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ ؛

وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ، وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ. [المُجادَلة: ٣-٤]

الشَّرْحُ:

والَّذينَ يُقسمونَ من الرِّجالِ على نساءِهم بعدمِ وَطْئِهِنَّ - بقولِ أحدهم: «أنتِ عليَّ كظَهرِ أُمِّي» أو مثلِه - ثُمَّ يتراجعونَ عن قولهم ؛ يُحرِّرونَ عَبداً من الرِّقِ من قَبلِ أنْ يعودوا للمُعاشَرةِ الجنسيَّةِ ؛ ذَلِكَ الحدُّ (المادَّةُ التَّشريعيَّةُ) يُوعَظُ المؤمنونَ بالعملِ بها ، واللهُ يَخبُرُ ما تَقولونَ وتَفعلونَ ؛ فمَن لَم يَجِدْ رَقيقاً أو ما يُحرِّرُ به الرَّقيقَ ، فصيامُ شَهرَينِ مُتتابعَينِ من قَبلِ أنْ يتعاشرا فمَن لَم يَستَطِعِ الصِّيامَ فيُطعِمُ ستِّينَ مسكيناً. ذَلِكَ التَّشريعُ من لَوازمِ الإيمانِ باللهِ ورَسولِهِ ، وتلكَ تَشريعاتُ اللهِ ، وللكافرينَ بها عذابٌ أليمٌ من اللهِ.

تعقيبٌ:

يَحتسبُ البَعضُ أنَّ إعلانَ الرَّجلِ رَغبتَهُ في الطَّلاقِ هيَ ظِهارٌ من زَوجِهِ بحيثُ إذا عَدَلَ عن رَغبتِهِ في الطَّلاقِ خلالَ مُدَّةِ التَّربُّصِ (٤ أشهرٍ) يَقعْ عليهِ حَدُّ الظِّهارِ! ونَختلفُ معَ أُولَئِكَ في الرَّأيِ ، فآياتُ القُرآنِ المُتناولةُ للأمرَينِ بيِّنةٌ لا التباسَ فيما بَينَها.

٣/٣/أ/٢٢ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ، لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ ، هَدْياً بالِغَ الْكَعْبَةِ ، أَوْ كَفَّارَةٌ طَعامُ مَساكِينَ ، أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياماً ، لِيَذُوقَ وَبالَ أَمْرِهِ ؛ عَفا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ. [المائدة: ٩٥]

الشَّرْحُ:

يا مَن آمَنتم باللهِ وملائكتهِ وكتبِهِ ورسلِهِ واليَومِ الآخِرِ ، لا تَقتُلوا ما يُصطادُ من

الحيواناتِ والطُّيورِ البَرِّيَّةِ وأنتم مُحرِمونَ في حَجٍّ أو عُمرَةٍ ، ومَن قَتَلَهُ منكم مُتعمِّداً عن علمٍ بهَذا التَّشريعِ فجزاؤه إهداءُ مُماثِلٍ من الأنعامِ (الإبلِ ، والبَقرِ ، والغَنمِ ، والْمَعزِ) يُحدِّدُه حكمانِ عادلانِ من المُؤمنينَ ويُقدِّمُه في منطقةِ الكَعبةِ طَعاماً للفُقراءِ والمساكينِ والْمُنقطعِ سَفَراً عن ديارِه ومالِه ؛ أو يُكفِّرُ عن ذَلكَ بإطعامِ مَساكينَ بمقدارِ ذَلكَ الهَديِ ؛ أو ما يُعادلُ ذَلكَ العَددَ من المساكينِ أيّاماً يَصومُها ليَذوقَ نَتيجةَ فعلِه. عَفا اللهُ عَمّا سَبقَ نُزولَ هَذا التَّشريعِ أو العِلمَ به من قَتلِ الصَّيدِ ، ومَن عادَ يَفعلُه بعدَ العِلمِ فيَنتقمُ اللهُ منه بهَذا الجَزاءِ ، واللهُ عزيزٌ مُنتقمٌ.

٤/٣/أ/٢٢ أَيّاماً مَعْدُوْداتٍ ، فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيْضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيّامٍ أُخَرَ ؛ وَعَلَى الَّذِيْنَ يُطِيْقُوْنَهُ فِدْيَةٌ طَعامُ مِسْكِيْنٍ ؛ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَأَنْ تَصُوْمُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ. [البَقَرةُ: ١٨٤]

الشَّرْحُ:

الصِّيامُ أيّامٌ مَعدوداتٌ (شَهرُ رَمَضانَ) ، فمَن كانَ منكم مَريضاً أو على سَفَرٍ (دَخلَ في السَّفَرِ أو يُعدُّ لهُ عُدَّتَهُ) فيَصومُ عَددَ تلكَ الأيامِ من غَيرِها من السَّنَةِ ؛ وعلى الَّذينَ لا يُطيقونَهُ صِياماً لِهرَمٍ ، أو لِحِميَةٍ عِلاجيَّةٍ ، أو لطَبيعةِ عَملٍ ... وإنَّما يُطيقونَهُ فِديَةٌ فإطعامُ مِسكينٍ عن كلِّ يَومٍ ، فمَن تَطوَّعَ خَيراً بالصِّيامِ على مَرَضٍ أو سَفَرٍ فهوَ خَيرٌ لهُ ، وإنْ تَصوموا ولا تَفدوا يكُنْ خَيراً لكُم إنْ كُنتم تَعلَمونَ فَوائدَه.

١/٤/أ/٢٢ يُوفُوْنَ بِالنَّذْرِ وَيَخافُوْنَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيْراً. [الإنسانُ: ٧]

الشَّرْحُ:

الأبرارُ من النّاسِ يُوفونَ بأداءِ ما يَنذرونَ به للهِ من عَملٍ أو عَطاءٍ ، ويَخافونَ يَومَ الحِسابِ الَّذي يكونُ شَرُّهُ على مُستَحقِّيهِ مُذعِراً.

٢٢/أ/٤/٢ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَعَلَى كُلِّ ضامِرٍ ، يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ ، وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُوماتٍ عَلَى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعامِ ؛ فَكُلُوا مِنْها وَأَطْعِمُوا الْبائِسَ الْفَقِيرَ. [الحَجّ: ٢٧-٢٨]

الشَّرْحُ:

أعلِنْ في النّاسِ يا نَبيَّ اللهِ إبراهيمُ بأداءِ الحَجِّ فيَأتوكَ سَيْراً على الأقدامِ ، وعلى كلِّ دابَّةٍ قد أهزلَها السَّفرُ ، تأتي مِن كلِّ طَريقٍ بَعيدةٍ ليَحضُروا مَنافعَ لهم ، ويَذكروا اسمَ اللهِ في أيّامٍ مُعَيَّنةٍ مِن السَّنةِ علي ما رَزَقَهُم مِن الأنعامِ (إبلٍ ، وبَقرٍ ، وغَنَمٍ ، ومَعزٍ) ؛ فكلوا مِن تلكَ الأنعامِ وأطعِموا الْمُبتَئِسَ مِن شِدَّةِ فقرِهِ.

تعقيبٌ:

أمرُ الأذانِ بالحَجِّ واصلٌ أيضاً إلى النَّبيِّ مُحمَّدٍ وهوَ فَرضٌ "إسلاميٌّ" بموجِبِ آياتِ البَقَرةِ: ١٩٦-٢٠٠.

٢٢/أ/٤/٣ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً هَذا الْمَصدرِ (العِبادةِ والنُّذورِ) للتّأمينِ الاجتماعيِّ:

البَقَرةُ: ٢٧٠ ؛ التَّوبةُ: ٧٥-٧٧ ؛ الحَجُّ: ٢٩ و ٣٦.

٢٢/أ/٥/١ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ ؛ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ ، وَاللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ ، وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنّاً وَلا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ، وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ؛ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ

يَتْبَعُها أَذىً ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيْمٌ. يا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا ، لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النَّاسِ ، وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ؛ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً! لا يَقْدِرُوْنَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا ، وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِيْنَ. وَمَثَلُ الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ أَمْوالَهُم ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ ، وَتَثْبِيْتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ ؛ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصابَها وابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَها ضِعْفَيْنِ ؛ فَإِنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ ، وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ. أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُوْنَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيْلٍ وَأَعْنابٍ ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ ، لَهُ فِيْها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ ، وَأَصابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفاءُ ، فَأَصابَها إِعْصارٌ فِيْهِ نارٌ فاحْتَرَقَتْ؟! كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُوْنَ. يا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا ، أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ ، وَمِمَّا أَخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ ؛ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُوْنَ ؛ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيْهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيْهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيْدٌ. [البقرة: ٢٦١-٢٦٧]

٢٢/أ/٥/٢ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ، وَإِنْ تُخْفُوْها وَتُؤْتُوْها الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئاتِكُمْ ، وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ. لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ ؛ وَما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ ؛ وَما تُنْفِقُوْنَ إِلاَّ ابْتِغاءَ وَجْهِ اللَّهِ. وَما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُوْنَ. لِلْفُقَراءِ الَّذِيْنَ أُحْصِرُوا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ ؛ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ ، يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ
أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ، تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ، لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ
إِلْحَافاً ؛ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، سِرّاً وَعَلانِيَةً ، فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ؛
وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ، وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ. [البقرة: ٢٧١-٢٧٤]

الشَّرْح:

ابتغاءَ وجْهِ الله: طاعةً ، ورغبةً في مَرضاته. إلحافاً: بإلحاح.

أُحصِروا في سَبيلِ الله: حاصرَتهُم الظُّروفُ والأحداثُ عن التَّكسُّبِ نتيجةَ انتهاجِهِم مَنهجَ اللهِ.

٢٢/أ/٥/٣ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ؛ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ
آمَنَ بِاللَّهِ ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَالْمَلائِكَةِ ، وَالْكِتَابِ ، وَالنَّبِيِّينَ ؛
وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى ، وَالْيَتَامَى ، وَالْمَسَاكِينَ ،
وَابْنَ السَّبِيلِ ، وَالسَّائِلِينَ ، وَفِي الرِّقَابِ ؛ وَأَقَامَ الصَّلاةَ ،
وَآتَى الزَّكَاةَ ؛ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ؛ وَالصَّابِرِينَ فِي
الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ؛ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ، وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُتَّقُونَ. [البقرة: ١٧٧]

٢٢/أ/٥/٤ ومن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَحُضُّ أيضاً على الإنفاقِ والتَّصدُّقِ:

البَقَرةُ: ١٩٥ و ١٩٦ و ٢١٥ و ٢٥٤ و ٢٧٠ و ٢٨٠ ؛ آلُ عمرانَ: ١٧ و ٩٢ و ١٣٤ ؛ النِّساءُ: ٥ و ٣٧-٣٨ و ٣٩ و ١١٤ ؛ الأنفالُ: ٣-٤ ؛ التَّوبةُ: ٧٩ ؛ الرَّعدُ: ٢٢ ؛ إبراهيمُ: ٣١ ؛ الإسراءُ: ٢٩-٣١ ؛ الحَجُّ: ٣٥ ؛

النُّورُ: ٢٢ ؛ القَصَصُ: ٥٤ ؛ السَّجدةُ: ١٦ ؛ سَبَأٌ: ٣٩ ؛ فاطِرٌ: ٢٩ ؛ يس: ٤٧ ؛ الشُّورَى: ٣٨ ؛ مُحمَّدٌ: ٣٨ ؛ الحَديدُ: ٧ و ١٨ ؛ المُنافقونَ: ٧ و ١٠ ؛ التَّغابُنُ: ١٦–١٧ ؛ الحاقَّةُ: ٣٣–٣٤ ؛ المُزَّمِّلُ: ٢٠ ؛ المُدَّثِّرُ: ٤٢–٤٤ ؛ الإنسانُ: ٨–٩ ؛ الفَجرُ: ١٨ ؛ البَلَدُ: ١٤–١٦ ؛ اللَّيلُ: ٥–٧ ؛ الماعونُ: ٣–٧.

٢٢/أ/٦/١ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً ؛ وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. [الأنفالُ: ٦٩]

٢٢/أ/٦/٢ وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ، وَلِلرَّسُوْلِ ، وَلِذي الْقُرْبَى وَالْيَتامَى وَالْمَساكِيْنِ وَابْنِ السَّبِيْلِ ، إنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَما أَنْزَلْنا عَلَى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ ، يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ. [الأنفالُ: ٤١]

الشَّرْحُ:

واعلَموا يا مُحاربِي المؤمنينَ أنَّ ما غَنِمتُم مِن طَيِّباتِ أيِّ شَيءٍ مِن قتالِ عدوِّكم المَهزومِ فإنَّ خُمُسَهُ يُخصَّصُ للإنفاقِ على نُصرَةِ دِينِ الله ، وللرَّسولِ ، وللأقاربِ ، واليَتامَى ، والمَساكينِ ، وابنِ السَّبيلِ ؛ ولكم الأخماسُ الأربعةُ الباقيةُ ؛ ذلكَ إنْ كُنتم آمَنتم باللهِ وما أنزَلنا ، نحنُ اللهُ ، مِن آيِ القُرانِ على عَبدِنا مُحمَّدٍ يومَ التَّفريقِ بينَ الحَقِّ والباطلِ ؛ بينَ المؤمنينَ والَّذينَ نافقوا ؛ بينَ الَّذينَ جاهَدوا وصَبروا والظَّانِّينَ باللهِ غيرَ الحَقِّ ، ظَنَّ الجاهليَّةِ ؛ بينَ الخَبيثِ والطَّيِّبِ ؛ يَومَ التقَى الجَيشانِ في مَعرَكةِ أُحُدٍ. (الَّذي أنزَلَهُ (سُبحانَهُ) إذَّاكَ قد يَكونُ كلَّ أو بعضَ آياتِ آلِ عمرانَ–١٣٩ إلى ١٨٠ الَّتي نَصُّها: *وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ يَبْخَلُوْنَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ ؛ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ! سَيُطَوَّقُوْنَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ. وَلِلَّهِ مِيْراثُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ ، وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ)*

تعقيبٌ:

الْمَصرِفُ السّابعُ للغَنيمةِ وهوَ الفُقراءُ، مَأخوذٌ مِن آيَتي الحَشْرِ–٧ و ٨.

٢٢/ب/١ يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا ، إذا تَدايَنْتُمْ بدَيْنٍ إلى أجَلٍ مُسَمّىً فاكْتُبُوهُ ؛ وَلْيَكْتُبْ بيْنَكُمْ كاتِبٌ بالْعَدْلِ ؛ وَلا يَأْبَ كاتِبٌ أنْ يَكْتُبَ كَما عَلَّمَهُ اللَّهُ ، فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذي عَلَيْهِ الْحَقُّ ، وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً ؛ فَإنْ كانَ الَّذي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفيهاً أوْ ضَعيفاً ، أوْ لا يَسْتَطيعُ أنْ يُمِلَّ هُوَ ، فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بالْعَدْلِ ؛ وَاسْتَشْهِدُوا شَهيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ ، فَإنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ ؛ أنْ تَضِلَّ إحْداهُما فَتُذَكِّرَ إحْداهُما الأُخْرَى ؛ وَلا يَأْبَ الشُّهَداءُ إذا ما دُعُوا. وَلا تَسْأَمُوا أنْ تَكْتُبُوهُ صَغيراً أوْ كَبيراً إلَى أجَلِهِ ؛ ذَلِكُمْ أقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ، وَأقْوَمُ للشَّهادَةِ ، وَأدْنَى أنْ لا تَرْتابُوا ؛ إلاَّ أنْ تَكُونَ تِجارَةً حاضِرَةً تُديرُونَها بَيْنَكُمْ ، فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ لا تَكْتُبُوها ؛ وَأشْهِدُوا إذا تَبايَعْتُمْ. وَلا يُضارَّ كاتِبٌ وَلا شَهيدٌ ، وَإنْ تَفْعَلُوا فَإنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ! وَاتَّقُوا اللَّهَ! وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ. وَإنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كاتِباً فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ ؛ فَإنْ أمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذي اؤْتُمِنَ أمانَتَهُ ، وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ. وَلا تَكْتُمُوا الشَّهادَةَ ، وَمَنْ يَكْتُمْها فَإنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ، وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَليمٌ. [البَقَرة: ٢٨٢–٢٨٣]

الشَّرْحُ:

أقسَطُ: أكثرُ تحديداً للأقساطِ/الأنصبةِ بينَ الطَّرفَينِ. أقْوَمُ للشَّهادَةِ: أدعَى لقِيامِ الشَّهادةِ على وجْهِها.

أدنى أنْ لا ترتابوا: أكثرُ الأوضاعِ قُرباً مِن عدَمِ التَّشكُّكِ.

٢٢/ب/٢ وإلَى مَدْيَنَ أخاهُمْ شعَيْباً ، قالَ: «يا قوْمِ ، اعبُدُوا اللّهَ ما لكُمْ مِنْ إلاهٍ غيْرُهُ ؛ قدْ جاءَتْكُمْ بيِّنَةٌ مِنْ ربِّكُمْ ، فأوْفُوا الكَيْلَ والمِيزانَ ، ولا تبْخَسُوا النّاسَ أشْياءَهُمْ ، ولا تفْسِدُوا في الأرْضِ بعْدَ إصلاحِها ؛ ذلِكُمْ خيْرٌ لكُمْ إنْ كُنْتُمْ مؤْمِنيْنَ. ولا تقْعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ توْعِدوْنَ وتَصُدُّوْنَ عنْ سبِيلِ اللّهِ منْ آمَنَ بِهِ ، وتبْغونَها عوَجاً ؛ واذْكُرُوا إذْ كُنْتُمْ قلِيْلاً فكثَّرَكُمْ ، وانْظُرُوا كيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُفْسِدِيْنَ. وإنْ كانَ طائِفَةٌ منْكُمْ امنُوا بِالَّذي أُرْسِلْتُ بِهِ ، وطائِفَةٌ لمْ يؤْمِنُوا ، فاصبِرُوا حتَّى يحْكُمَ اللّهُ بيْنَنا وهُوَ خيْرُ الحاكِمِيْنَ». [الأعراف: ٨٥-٨٧]

الشَّرْحُ:

صِراطٌ: طَريقٌ؛ وهيَ أوجَبُ أن تُكتَبَ بالسِّينِ ‹ سراطٌ › لأنَّها مِن ‹ سَرَطَ ›، أي: ابتَلَعَ. تُوعِدونَ: تُهَدِّدونَ. تبغونَها عِوَجاً: تودُّونَ السَّبِيلَ (كِنايةٌ عن أُسلوبِ الحياة) أنْ تَكونَ مُعوَجَّةً مُنحرفةً.

٢٢/ب/٣ ذَرْهُمْ يَأكُلُوا ويتَمتَّعُوا ويُلْهِهِم الأمَلُ ، فَسوْفَ يعْلَمُوْنَ. [الحِجْرُ: ٣]

تعقيبٌ:

يَأكُلوا: اقتصادياً ؛ ويتَمتَّعوا: اجتماعياً ؛ ويُلهِهِم الأمَلُ: فِكرياً وثَقافياً

وعلمياً.

٢٢/ب/٤ ومن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ ضَمانِ الحُقوقِ الاقتصاديَّةِ ، و/أو الاجتماعيَّةِ ، و/أو الثَّقافيَّةِ /العِلميَّةِ:

هُودُ: ٣ و ٨٤ ؛ يوسُفُ: ٤٩ ؛ الحِجْرُ: ٢٠-٢١ ؛ النَّحلُ: ٥-١٦ ؛ الإسراءُ: ٢٢-٣٧ ؛ المُطَفِّفِينَ: ١-٣.

٢٣

أ – كلُّ فَردٍ لهُ الحَقُّ في أنْ يَعمَلَ ، وفي الاختيارِ الحُرِّ للعملِ ، وفي ظُروفِ عَمَلٍ عادلةٍ ومؤاتيةٍ ، وفي الحمايةِ ضدَّ البطالة.

ب – كلُّ فَردٍ لهُ الحقُّ في أجرٍ مُساوٍ على العَملِ المُساوي ؛ دونَ أيِّ تَمييزٍ.

ج – كلُّ فَردٍ يَعمَلُ لهُ الحَقُّ في أجرٍ عادلٍ ومؤاتٍ يُؤمِّنُ لهُ ولأسرَتِه وُجوداً جَديراً بالكرامَةِ الإنسانيَّةِ ؛ ومَمدوداً ، إذا لَزِمَ الأمرُ ، بوسائلَ أُخرى من الحمايةِ الاجتماعيَّة.

د – كلُّ فَردٍ لهُ الحقُّ في أنْ يُشكِّلَ ، وأنْ يَنضَمَّ إلى اتحاداتٍ مِهَنيَّةٍ لحمايةِ مَصالحه.

a- Everyone has the right to work, to free choice of employment, to just and favourable conditions of work and to protection against unemployment.

b- Everyone, without any discrimination, has the right to equal pay for equal work.

c- Everyone who works has the right to just and favourable remuneration ensuring for himself and his family an existence worthy of human dignity, and supplemented, if necessary, by other means of social protection.

d- Everyone has the right to form and to join trade unions for the protection of his interests.

عناصرُها:

أ – حَقُّ العَملِ باختيارٍ حرٍّ في ظُروفٍ عادلةٍ.

ب – عَدمُ التَّمييزِ في الأجرِ.

ج – عدالةُ وقسطُ أجرِ العَملِ.

د – حِمايةُ المَصالحِ المِهَنيَّةِ.

٢٣/أ تقديمٌ:

الحَقُّ في الحمايةِ من البطالة يَضمَنُه التَّأمينُ الاجتماعيُّ القُرآنيُّ تحتَ فئةِ الفُقراءِ (راجع العُنصُرَ: ٢٢/أ من المادَّةِ الفائتة).

الأولويَّةُ في فُرَصِ الاستئجارِ (العملِ بالأجرة) تَحقُّ للرَّجلِ عن المرأةِ إذا تَساويا في كلِّ المعاييرِ التَّرجيحيَّةِ الأُخرى كالأهليَّةِ التَّعليميَّةِ ، والحاجةِ المَعيشيَّةِ ، ومِثلِهما ، لأسبابٍ ثلاثة: أنَّ القُرآنَ فَرَضَ الإنفاقَ على الرَّجلِ (النِّساءُ: ٣٤) ؛ أنَّ طُغيانَ مفاتنِ المرأةِ الجنسيَّةِ ، وردَّ الفعلِ الفطريِّ للرَّجلِ إزاءَها يُحبِّذانِ تواري الأُنثى ما أمكنَ (النُّورُ: ٣١) ؛ أنَّ التَّركيبةَ العُضويَّةَ للأُنثى ، بما في ذلكَ الذِّهنيَّةَ العصَبيَّةَ النَّفسيَّةَ ، تُقَلِّلُ من أهليَّةِ المرأةِ في مُواجَهةِ العَملِ خارجَ البَيتِ (القَصَصُ: ٢٣).

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

١/أ/٢٣ وقُلْ: «اعمَلُوا ؛ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ ، ورَسُولُهُ ، والمُؤمِنُونَ ؛ وسَتُرَدُّونَ إلى عالِمِ الغَيْبِ والشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ». [التَّوبةُ: ١٠٥]

٢/أ/٢٣ ومِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ والنَّهارَ ، لِتَسْكُنُوا فِيهِ ولِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ، ولَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. [القَصَصُ: ٧٣]

الشَّرْحُ:

ومِن رَحمةِ اللهِ بِكُم أيُّها النّاسُ أنْ جَعَلَ لكم اللَّيلَ والنَّهارَ ؛ الأوَّلُ لتَسكُنوا فيهِ إراحةً لأبدانِكُم وأذهانِكُم ونُفوسِكُم ؛ والثَّاني لتَنشُدوا فيه مِن فَضلِ اللهِ رِزقاً و عِلماً ؛ أمَلاً في أنْ تَشكُروه على ذلكَ.

تعقيبٌ:

إذا اقتَضَت مَصلحةُ إنسانٍ مُخالَفةَ التَّرتيبِ فجائزٌ ، رُغمَ أنَّهُ لَيسَ الأمثلَ ، ولَكِنْ

يَظَلُّ الحكمُ قائماً: وقتٌ للسُّكونِ ، ووقتٌ للكَدحِ.

٢٣/أ/٣ مَنْ عَمِلَ صالحاً مِنْ ذكرٍ أوْ أُنثى وَهُوَ مؤمنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبةً ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ. [النَّحلُ: ٩٧]

٢٣/أ/٤ ومِنَ الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ حَقِّ العَملِ باختيارٍ حُرٍّ في ظُروفٍ عادلةٍ:
الإسراءُ: ١٢ ؛ الرُّومُ: ٢٣ ؛ المُزَّمِّلُ: ٢٠.

٢٣/ب تَقديمٌ:

أُغفِلَ عُنصرُ الإنتاجيَّةِ والَّتي تَتدنَّى في عَملِ المرأةِ أثناءَ حَملِها ، وبسببِ تَفرُّغِها للإرضاعِ ، وفي مُعظَمِ حالاتِ الحَيضِ ؛ والقُرآنُ حَمَّلَ الزَّوجَ مَسؤوليَّةَ الإنفاقِ مَمدوداً ، إذا لَزِمَ ، بمصادرِ التَّأمينِ الاجتماعيِّ.

٢٣/ب/١ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أوْ أُنْثَى ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً. [النِّساءُ: ١٢٤]

تعقيبٌ:

سُنَّةُ اللهِ الَّتي يَجبُ أنْ يَقيسَ النَّاسُ علَيها نَهجاً: لا تَمييزَ في الأجرِ بَينَ الذَّكرِ والأُنثى ما تَساوى العَملُ كَمّاً وصَلاحاً ولَو كانَ قَدرَ النَّقيرِ (أيْ: الحَفرِ المَوجودِ على ظَهرِ نواةِ البَلحِ) مِن عَملٍ.

٢٣/ب/٢ إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ، إنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً. [الكَهفُ: ٣٠]

٢٣/ب/٣ وَاصْبِرْ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ. [هُودُ: ١١٥]

٢٣/ب/٤ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ عَدمِ التَّمييزِ في الأجرِ:
آلُ عِمرانَ: ١٩٥ ؛ غافِرٌ: ٤٠.

٢٣/ج/١ مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها ، وَهُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ. [هُودٌ: ١٥]

تعقيبٌ:

وهم لا يُبخَسونَ أعمالَهم مِن النّاسِ وُجوباً في الحياةِ الدُّنيا ، كما هيَ سُنَّةُ المَولى فيهِم.

٢٣/ج/٢ وَ: «يا قَوْمِ ، أَوْفُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ بِالْقِسْطِ ، وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ ، وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ. [هُودٌ: ٨٥]

الشَّرْحُ:

مِن دُعاءِ نَبيِّ اللهِ شُعَيْبَ إلى أهلِ مَدْيَنَ (الأيكةِ).
لا تَعْثَوْا: لا تُعمِلوا في الأرضِ الفَسادَ دأْباً.

٢٣/ج/٣ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ، فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ. [التِّينُ: ٦]

الشَّرْحُ:

مَمنونٍ: مَنقوصٌ ؛ هَزيلٌ.

٢٣/ج/٤ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ عَدالةِ وقِسطِ أجرِ العَمَلِ:
يونُسُ: ٤ ؛ القَصَصُ: ٢٥ ؛ الانشِقاقُ: ٢٥.

٢٣/د شَأنُه شَأنُ ما وَرَدَ في المادَّةِ ٢٠-أ (حَقُّ الانتماءِ إلى جماعةٍ) ؛ كذلكَ تَضمَّنَهُ المادةُ العاشرةُ مِن إعلانِ حُقوقِ الإنسانِ (حَقُّ التَّحاكُمِ في تَقريرِ الحُقوقِ).

٢٤

كلُّ فَردٍ له الحَقُّ في الرّاحةِ ووقتِ الفَراغِ ، مُتضمِّناً حَدّاً مَعقولاً مِن ساعاتِ العملِ وعُطُلاتٍ دَوريَّةً مَدفوعةَ الأجرِ.

Everyone has the right to rest and leisure, including reasonable limitation of working hours and periodic holidays with pay.

عناصِرُها:

أ - الحقُّ في الرّاحة.

ب - الحقُّ في التَّفرُّغ.

تَقديمٌ:

العُطُلاتُ الدَّوريَّةُ المَدفوعةُ الأجرِ أمرٌ تَناسُبيٌّ معَ العائدِ الدَّوريِّ ، بحَيثُ إنَّ احتسابَها أو إغفالَها يتأثَّرُ بهِ العائدُ الدَّوريُّ الإجماليُّ نُقصاناً أو ازدياداً ، خاصَّةً وكَثيراً ما تَجدُ مِن النّاسِ مَن يَسعى برَغبتِه للعَملِ في عُطلَتِه الدَّوريَّةِ ، بَلْ شَعباً بأكمله تَقريباً ، هوَ اليابانيُّ ، دَرجَ في الحِقبةِ المُعاصِرةِ مِن تاريخِه على العملِ بدونِ تلكَ العُطلةِ حتَّى أنَّ قيادتَه (رَئيسَ وُزراءِ وزُعماءَ الأحزابِ) تُحاولُ مُؤخَّراً إثناءَهُ عن هَذا العُرفِ بدواعٍ غيرِ حُقوقيَّةٍ ... ومِن ثَمَّ نَرى أنَّها حَقٌّ شَكليٌّ!

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

١/أ/٢٤ وكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها فَجاءَها بَأْسُنا بَياتاً ، أَوْ هُمْ قائِلُونَ!

[الأعْرافُ: ٤]

الشَّرْحُ:

ما أكثَرَ الأُمَمَ الّتي أهلَكناها ، نحنُ اللهُ ، بما كانوا يَظلِمونَ فجاءَها الهَلاكُ وهُم نيامٌ أو وهُم يَستَريحونَ وسَطَ النَّهارِ.

٢٤/أ/٢ يا أيُّها الَّذيْنَ آمَنُوا ، لِيَسْتَأْذِنْكُم الَّذِيْنَ مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ وَالَّذِيْنَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرّاتٍ: مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ ؛ وَحِيْنَ تَضَعُوْنَ ثِيابَكُمْ مِنَ الظَّهِيْرَةِ ؛ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشاءِ ، ثَلاثُ عَوْراتٍ لَكُمْ ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُناحٌ بَعْدَهُنَّ ، طَوّافُوْنَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ؛ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُم الآياتِ وَاللهُ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ. [النُّورُ:٥٨]

الشَّرْحُ:

مَلَكَت أيمانُكُم: مَلَكَت أيديكم اليُمنى: كِنايةٌ عن أرِقّائِكُم (ويَنطبِقُ الحُكم على الخَدَمِ عُموماً).

جُناحٌ: إثمٌ ، أو حَرَجٌ ؛ إنْ لَم يُستأذَنْ بَعدَهُنَّ. طَوّافون: مُتَجوِّلونَ ساعونَ.

تعقيبٌ:

فَترةٌ عَورةٌ تَعني: اختِلاءٌ بالنَّفسِ ؛ يَعني انقِطاعاً عن العَمَلِ.

٢٤/أ/٣ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم اللَّيْلَ لِباساً ، وَالنَّوْمَ سُباتاً ؛ وَجَعَلَ النَّهارَ نُشُوْراً. [الفُرقانُ: ٤٧]

الشَّرْحُ:

واللهُ هوَ الّذي جَعَلَ لكُم اللَّيلَ ساتِراً وآوِياً ؛ والنَّومَ انقِطاعاً عن السَّعيِّ ؛ والنَّهارَ للانتِشارِ سَعياً وراءَ المعايِشِ.

٢٤/ب/١ إنَّما الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ ، وَإذا كانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ

جامعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حتّى يَسْتَأْذِنُوهُ. إنَّ الَّذِيْنَ يَسْتَأْذِنُوْنَكَ أُولَئِكَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِاللّهِ ورَسُوْلِه ؛ فَإذا اسْتَأْذَنُوْكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ، واسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللّهَ ، إنَّ اللّهَ غَفُوْرٌ رَحِيْمٌ. [النُّورُ: ٦٢]

٢٤/ب/٢ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُوْنَ؟! [الأعْرافُ: ٩٨]

٢٤/ج ومِنَ الآياتِ الكريمةِ الّتي تَدْعَمُ أيضاً المفهومَ العامَّ لِهَذهِ المادَّةِ:
يوسُفُ: ١٧ ؛ النَّملُ: ٨٦ ؛ غافرٌ: ٦١.

٢٥

أ - كلُّ فَردٍ لَه الحَقُّ في مُستوىً مِن المَعيشةِ مُناسبٍ لِصحَّتِه وحُسنِ كَينونَتِه وكَينونةِ أُسرَتِه ، مُتضمِّناً ذَلكَ الطَّعامَ ، والمَلبَسَ ، والمَأوى ، والرِّعايةَ الطِّبيَّةَ ، والخِدماتِ الاجتماعيَّةَ اللازِمةَ. ولهُ الحقُّ في التَّأمينِ في حالةِ افتقارِهِ للعَمَلِ ، أو مَرَضِه ، أو تَعوُّقِه ، أو شَيخوخَتِه ، أو تَرَمُّلِها ، أو أيِّ عَوَزٍ مَعيشيٍّ آخَرٍ في ظُروفٍ خارِجةٍ عن إرادَتِه.

ب - تُخَوَّلُ الأُمومَةُ والطُّفولةُ عِنايةً ومُساعدةً خاصَّتَين. جَميعُ الأطفالِ يَستمتعونَ بنفسِ الحِمايةِ الاجتماعيَّةِ ، سواءٌ وُلِدوا ولَم يُولَدوا في إطارِ الزَّواجِ الشَّرعيِّ.

a- Everyone has the right to a standard of living adequate for the health and well-being of himself and of his family, including food, clothing, housing and medical care and necessary social services, and the right to secruity in the event of unemployment, sickness, disability, widowhood, old age or other lack of livelihood in circumstances beyond his control.

b- Motherhood and childhood are entitled to special care and assistance. All children, whether born in or out of wedlock, shall enjoy the same social protection.

عناصرُها:

أ - حُسنُ المُستوى المَعيشيِّ نسبياً.

ب - تَوفيرُ الضَّمانِ الاجتماعيِّ.

ج - خُصوصيَّةُ رِعايةِ ومُساعدةِ الأمومةِ والطُّفولةِ.

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

١/أ/٢٥ كُلاً نُمِدُّ ، هَؤُلاءِ وهَؤُلاءِ ، مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ ؛ وَمَا كانَ عَطاءُ رَبِّكَ

مَحْظُوراً. [الإسراء: ٢٠]

الشَّرْحُ:

مَن يُريدُ الحياةَ الدُّنيا ؛ ومَن يُريدُ الآخِرَةَ (بدلاً لـ: مَن يؤمِنُ ومَن لا يؤمِنُ بالله) نُمِدُّهُ ، نَحنُ اللهُ ، مِن عطاءِ ربِّكَ (غِذاءً وكِساءً ومأوىً وشِفاءً ، الخ.) ؛ وما كانَ عَطاءُ ربِّكَ مَحظوراً عن أحدٍ.

٢٥/أ/٢ يا بَنِي آدَمَ ، خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ، إنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ. قُلْ: «مَنْ حَرَّمَ زِيْنَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ والطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ؟!» ؛ قُلْ: «هِيَ لِلَّذِيْنَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ» ؛ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ. [الأعْرافُ: ٣١-٣٢]

٢٥/أ/٣ يا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا ، لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ، وَلَا تَعْتَدُوا ، إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِيْنَ. وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُوْنَ. [المائدةُ: ٨٧-٨٨]

٢٥/أ/٤ يا بَنِي آدَمَ ، قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيْشاً ؛ وَلِباسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ، ذَلِكَ مِنْ آياتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ. [الأعْرافُ: ٢٦]

الشَّرْحُ:

رِيشاً: اللِّباسُ الفاخِرِ ؛ شَعَرُ الحيوانِ (كما هو ريشُ الطَّيرِ).

٢٥/أ/٥ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوْتِكُمْ سَكَناً ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُوْدِ الأَنْعامِ بُيُوْتاً

تَسْتَخِفُّونَها يَوْمَ ظَعْنِكُمْ ويَوْمَ إقامَتِكُمْ ؛ وَمِنْ أَصْوافِها وَأَوْبارِها وَأَشْعارِها أَثاثاً وَمَتاعاً إلى حِينٍ. وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً ؛ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبالِ أَكْناناً ؛ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ، وَسَرابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ ؛ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ.

[النَّحل: ٨٠-٨١]

الشَّرْحُ:

جَعَلَ اللهُ لكم مِن بُيوتِكم سَكَناً بعدَ السَّعيِ والضَّربِ في الأرضِ ؛ وجَعلَ لكم من جُلودِ الإبلِ والبَقرِ والغَنَمِ والمَعزِ بُيوتاً (خِياماً) تَطوُونَها وتَحملونَها وتَنصبونَها خَفيفةً يومَ رَحيلِكم ويَومَ إقامتِكم ؛ ومِن أصوافِ الغَنَمِ ، وأوبارِ الإبلِ ، وأشعارِ المَعزِ جَعَلَ لكم أثاثاً وأمتِعةً إلى أجلٍ مَحدودٍ. وجَعَلَ لكم مِن الجِبالِ كُهوفاً ومغاوِرَ تَكنُّونَ فيها ؛ وجَعلَ لكم أثواباً تَقيكم الحَرَّ ، وأثواباً تَقيكم بأسَكُم (حِمايةً مِن السِّلاحِ والنّارِ وغَيرِهما). هكذا يُتمُّ اللهُ نِعمتَهُ علَيكم أملاً في أنْ تُسلِموا بألُوهيَّتِهِ وحيداً.

٢٥/أ/٦ وَاذْكُرْ عَبْدَنا أَيُّوبَ إذْ نادَى رَبَّهُ: «أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ وَعَذابٍ» ؛ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ، هَذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَشَرابٌ. [ص: ٤١-٤٢]

الشَّرْحُ:

واذكُرْ يا مُحمَّدُ /أيُّها المؤمنُ عَبدَنا النَّبيَّ أيُّوبَ إذْ دَعا رَبَّهُ بصَوتٍ مَسموعٍ قائلاً: «إنِّي يا ربِّي قد مَسَّني الشَّيطانُ بمتاعبَ صِحيَّةٍ وعَذابٍ جَسَديٍّ!». فأجابَ اللهُ دُعاءَه بالقَولِ: «اركُضْ يا أيُّوبُ الأرضَ برِجلِكَ فيَنبُعْ منها ماءٌ باردٌ تَغتَسِلُ بهِ وتَشرَبُ مِنهُ لِتَشفى.

٢٥/أ/٧ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً جُلَّ أَوجُهِ المُستَوى المَعيشيِّ المُناسبِ ومَبدَأَهُ

كحقٍّ:
فُصِّلَت: ١٠ ؛ الزُّخرُفُ: ٣٢ ؛ الأعْرافُ: ١٠ ؛ النَّحلُ: ٥٥ و ١١٤ ؛ القَصَصُ: ٧٧ ؛ البَقَرةُ: ٢٣٦ ؛ الأنْعامُ: ١٤٥ ؛ فاطِرٌ: ١٢ ؛ العَنكَبوتُ: ٦٢ ؛ الأنْفالُ: ٢٦ ؛ الصّافاتُ: ١٤٨.

٢٥/ب تناوَلَتهُ المادَّةُ: ٢٢ ، وسَبَقَ تَغطيتُها.

٢٥/ج/١ وَاللائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسائِكُمْ ، إن ارْتَبْتُمْ ، فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ ؛ وَاللائِي لَمْ يَحِضْنَ ، وَأُلاتُ الأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً ؛ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً. أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ، وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ؛ وَإِنْ كُنَّ أُلاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ؛ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ، وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ، وَإِنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى. [الطَّلاقُ: ٤-٦]

الشَّرْحُ:

اللَّواتي وصَلْنَ سِنَّ اليَأْسِ عن الإنجابِ مِن أزواجِكم اللَّواتي أعلَمتُموهُنَّ برغبَتِكم في الانفصالِ عنهُنَّ ، وكُنتم أيُّها الزَّوجانِ في شَكٍّ مِن بُلوغِ المرأةِ سِنَّ اليَأسِ ، فإنَّها تَرقُبُ نَفسَها عَددَ ثلاثةِ أشهُرٍ ، لا تُخرَجِ ولا تَخرُجِ قَبلَها من بَيتِها ؛ واللاّئي لَم تأتِ علَيهِنَّ الدَّورَةُ في مَوعِدِها (دَلالةَ حَملٍ) ، والحوامِلُ سَلَفاً أُولَئكَ تَنتهي مُدَّتُهنَّ بوَضعِهِنَّ لِمَوالِيدِهِنَّ. ومَن يَجتَنبوا منكم أيُّها الرِّجالُ مَعصيةَ اللهِ في أمرِ طَليقاتِهم ، كغَيرِه ، خَشيَةَ نقمَتِه يَجعلْ اللهُ لهُ من أمرِه يُسراً ، فذَلكَ أمرُ اللهِ أنزَلَهُ إلَيكم ، ومَن يَتَّقِهِ يَستُرِ اللهُ ويُسقِطْ عنهُ سَيِّئاتِه ويُعظِمْ لهُ أجرَ تَقواهُ. أسكِنوهُنَّ ،

مُدَّةَ العِدَّةِ ، في نَفسِ مكانِ سُكناكم عن طيبِ نَفسٍ ، ولا تَعمَلوا على إضرارِهِنَّ لتَدفَعوا بهِنَّ إلى الخُروجِ بضيقِ المكانِ على نُفوسِهِنَّ. وإنْ كُنَّ حوامِلَ فيَستمرّ الإنفاقُ على مَأكَلِهِنَّ ومَلبَسِهِنَّ وعِلاجِهِنَّ وغَيرِهِ حتَّى يَلِدنَ ؛ فإنْ أرضَعنَ لكم الْمَولودَ فيُؤجَرنَ باستمرارِ الإنفاقِ طوالَ الرِّضاعةِ على أوجُهِ حياتِهِنَّ الْمُختلفةِ ؛ وتَباحثا أمرَ الإرضاعِ بَينَكما بالَّتي هيَ أحسَنُ ، فإنْ عَسُرَ الأمرُ بَينَكما فليُوكَلْ إرضاعُ المولودِ لِمُرْضِعٍ أُخرى.

٢٥/ج/٢ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَقُلْ: «رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيْراً». [الإسراءُ: ٢٤]

الشَّرْحُ:

وألِنْ أيُّهاالإنسانُ جانِبَكَ (كِنايةً عن الوِدِّ والرِّفقِ) لوالِدَيكَ ، وادعُني: «رَبِّي ارحمْ والِدَيَّ كما رَبَّياني طِفلاً صَغيراً!»

تعقيبٌ:

الدُّعاءُ برَحمةِ اللهِ للأبوَينِ مَرهونٌ بتَربيتِهما لأولادِهما صِغاراً.

٢٥/ج/٣ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ: «أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ، عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً». وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوْسُفَ فِي الأَرْضِ ؛ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيْلِ الأَحَادِيْثِ ، وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُوْنَ. [يوسُفُ: ٢١]

الشَّرْحُ:

مَثْواهُ: إعاشَتُهُ ومُقامُهُ.

تعقيبٌ:

الَّذي اشتَرى نَبيَ اللهِ يوسُفَ طِفلاً هوَ مَلِكُ مِصْرَ إذّاكَ ؛ وقد بَيَّنَ القُرآنُ إيمانَ هَذِهِ

الأسرةِ في سُورةِ يوسُفَ.

٢٥/ج/٤ يا أيُّها النَّبيُّ ، إذا جاءَكَ المُؤْمناتُ يُبايعنَكَ على أنْ لا يُشرِكْنَ باللَّهِ شيئاً ، ولا يسرِقْنَ ، ولا يزْنينَ ، ولا يقتُلنَ أولادهُنَّ ، ولا يأتينَ ببهُتانٍ يفتَرينَهُ بينَ أيديهِنَّ وأرجُلهِنَّ ، ولا يعْصينَكَ في معْروفٍ ؛ فبايعْهُنَّ ، واستَغفِرْ لهُنَّ اللَّهَ ، إنَّ اللَّهَ غفُورٌ رحيمٌ. [المُمتَحَنَةُ:١٢]

الشَّرْحُ:

يُشرِكنَ: يَجعلَنَ لله شَريكاً من أيِّ شيءٍ في عِبادَتِهِنَّ لهُ.

يأتِينَ ببُهتانٍ: يَرمينَ الآخَرينَ باطلاً بما لَيسَ فيهِم أو منهُم.

بَينَ أرجُلِهِنَّ: ربَّما تَعني إنسابَ جَنينٍ لرَجُلٍ من غَيرِه.

تعقيبٌ:

عَدمُ قَتلِ الأولادِ في هَذهِ الآيةِ مُوَجَّهٌ أساساً للمواليدِ عن طَريقِ الزِّنا ؛ يؤَكِّدُ هَذا المَفهومَ أنَّ قَتلَ الأولادِ عن فَقرٍ أو خَوفِ الفَقرِ قد تَناولَه القُرآنُ في آيَتَي: الأنعام-١٥١ ؛ والإسراء-٣١. كما أنَّ قَتلَ الأولادِ عن فَقرٍ أو خَوفِه مَعنيٌّ بهِ الرَّجلُ أولاً لأنَّهُ المَسؤولُ عُرفاً عن الإنفاقِ ؛ ولَكِنَّ الخِطابَ هَذهِ المرَّةَ وُجِّهَ للنِّساءِ لأنَّهُنَّ المَعنيّاتُ أولاً بمواليدِهِنَّ من غَيرِ علاقةٍ شَرعيَّةٍ.

٢٥/ج/٥ ادعُوهُمْ لآبائِهمْ هوَ أقسَطُ عندَ اللَّهِ ؛ فإنْ لَمْ تَعلَموا آباءَهُمْ فإخوانُكُمْ في الدِّينِ ومَواليكُمْ ؛ ولَيسَ علَيكُمْ جُناحٌ فيما أخطَأتُمْ بِهِ ، ولَكِنْ ما تَعَمَّدتْ قُلوبُكُمْ ، وكانَ اللَّهُ غفُوراً رحيماً. [الأحزاب: ٥]

الشَّرْحُ:

أنسِبُوا رَبائبَكم (المُتَبَنِّينَ) لأسماءِ آبائِهِم ، فذلكَ أكثرُ إقساطاً (إعطاءَ كلِّ ذي حقٍّ

حقّهُ) عندَ اللهِ ؛ فإنْ لَم تَعلَموا مَن هُم آباؤهُم فلا تَنسبُوهم لأبوَّتِكم ، بَلْ يُحتَسَبونَ إخواناً لكم في الدِّينِ وتابِعيكُم. لَيسَ علَيكم جُنَاحٌ /إثمٌ فِيما أخطَأتُم (سلَفاً) بإنسابٍ لأبوَّتِكم ...

تعقيبٌ:

كثيرٌ ، إنْ لَم يَكُن أكثرُهُم ، مِن الأدعياءِ هُم مَواليدُ غَيرُ شَرعيِّينَ ؛ ومعَ ذَلِكَ لَم يَستَثنِ مِنهم القُرآنُ.

٢٥/ج/٦ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ خُصوصيَّةِ رِعايةِ ومُساعَدَةِ الأمومَةِ والطُّفولةِ:

مَريَمُ: ٢٣-٢٦ ؛ البَقَرةُ: ٢٣٣ ؛ القَصَصُ: ٧ ؛ إبراهيمُ: ٣٧.

٢٦

أ - كلُّ فَردٍ لَه الحَقُّ في التَّعلُّم. يَكونُ التَّعليمُ مَجّاناً على الأقلِّ في المراحل الابتدائيَّةِ والأساسيَّة. يَكونُ التَّعليمُ الابتدائيُّ إلزاميّاً ؛ ويُتاحُ التَّعليمُ الفنِّيُّ والاحترافيُّ بشَكلٍ عامٍّ ؛ ويَكونُ الوُصولُ إلى التَّعليمِ العالي على قَدَمِ المُساواةِ للجَميعِ على أساسٍ مِن الجدارَة.

ب - يُوَجَّهُ التَّعليمُ إلى التَّطويرِ الكاملِ للشَّخصيَّةِ الإنسانيَّة ، وإلى تَقويةِ الاحترامِ لحُقوقِ الإنسانِ وحُرِّيّاته الأساسيَّة. يَنبَغي أنْ يُنَمِّيَ التَّفاهمَ والقُدرةَ على التَّسامُحِ والصَّداقةِ فيما بَينَ جَميعِ الأُمَمِ أو المَجموعاتِ العِرقيَّةِ أو الدِّينيَّة ، ويَنبغي علاوةً على ذَلكَ أنْ يُعزِّزَ أنشطةَ الأُمَمِ المُتَّحدَةِ لصيانَةِ السَّلام.

ج - الآباءُ لهُم حَقُّ الأولَويَّةِ في اختيارِ نَوعِ التَّعليمِ الَّذي يُعطَى لأطفالِهِم.

a- Everyone has the right to education. Education shall be free, at least in the elementary and fundamental stages. Elementary education shall be compulsory. Technical and professional education shall be made generally available and higher education shall be equally accessible to all on the basis of merit.

b- Education shall be directed to the full development of the human personality and to the strengthening of respect for human rights and fundamental freedoms. It shall promote understanding, tolerance and friendship among all nations, racial or religious groups, and shall further the activities of the UN. for the maintenance of peace.

c- Parents have a prior right to choose the kind of education that shall be given to their children.

عناصرُها:

أ - حَقُّ التَّعلُّم:

| مَجّانيَّةُ وإلزاميَّةُ التَّعليمِ الأساسيِّ.

|| إتاحةُ التَّعليمِ على أساسٍ مِن الجَدارةِ العلميَّة.

ب - دَورُ التَّعليمِ:

| التَّطويرُ الكاملُ للشَّخصيَّةِ الإنسانيَّة.

|| احترامُ حُقوقِ الإنسانِ.

||| تَنميةُ التَّسامُحِ والصَّداقةِ بينَ الأُمَمِ.

|||| تَعزيزُ السَّلامِ.

ج - الأولَويَّةُ للآباءِ في اختيارِ تَعليمِ الأولادِ.

٢٦/أ تَقديمٌ:

القُرآنُ الكريمُ هوَ عمادُ وأساسُ التَّعليمِ "إسلاميّاً".

الأولويَّةُ في فُرَصِ التَّعليمِ تَحِقُّ للذَّكرِ عن الأُنثى إذا تَساوَيا في كلِّ المعاييرِ التَّرجيحيَّةِ الأُخرى كالخَلفيَّةِ العلميَّةِ ، والحاجَةِ المَعيشيَّةِ ، ومثلِهما لسبَبَينِ: أنَّ القُرآنَ فَرَضَ الإنفاقَ على الرَّجلِ (النِّساء: ٣٤) ، والتَّعليمُ يَرفعُ قُدرةَ الإنسانِ على الضَّربِ في الأرضِ ارتزاقاً ؛ أنَّ مُتوسِّطَ القُدُراتِ الذِّهنيَّةِ الفطريَّةِ للرَّجلِ أعلى مِن مُتوسِّطِها عندَ المرأةِ (البَقرةُ: ٢٨٢). راجِعْ أيضاً تَقديمَ العُنصرِ ٢/أ.

يَزيدُ القُرآنُ بُعدَينِ آخَرَينِ على الأقلِّ لحَقِّ التَّعلُّمِ هُما: تَمجيدُ العلمِ والحَثُّ على التَّعلُّمِ (تَتناولُهُ المجموعةُ السّابِعةُ مِن العُنصرِ ٢٦/أ) ؛ وتَشجيعُ البَحثِ العلميِّ ومَجالاتِهِ (في المجموعةِ الثّامِنةِ مِمّا هوَ آتٍ مِن نَفسِ العُنصرِ).

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

٢٦/أ/١ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ؛ خَلَقَ الإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ ؛ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ. [العَلَق: ١-٥]

الشَّرْحُ:

اقرَأْ يا مُحَمَّدُ /أيُّها الإنسانُ مُبتدِئاً باسمِ ربِّكَ الَّذي خَلَقَ الإنسانَ مِن طَوْرٍ جَنينيٍّ

عالقٍ بجدارِ الرَّحِمِ ضمنَ أطوارِ نشأتِه ؛ اقرأْ وربُّكَ الأكثرُ كرَماً إذْ خلَقَ ثُمّ أمكَنَ الإنسانَ مِن التَّعلُّمِ أيضاً بالقلَمِ ما لَم يَكُن يَعلَمُ.

تعقيبٌ:

القراءَةُ: الطَّريقُ إلى التَّعلُّمِ ؛ يُعطيهُ القُرآنُ حقّاً إلزامياً لِكلِّ إنسانٍ ؛ وفي أوَّلِ ما نَزلَ مِن قُرآنٍ.

٢٦/أ/٢ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ؛ فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ، وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ، لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ. [التَّوبةُ: ١٢٢]

الشَّرْحُ:

ما يَنبَغي أنْ يَخرُجَ المؤمِنونَ كافَّةً للقِتالِ ؛ والمَطلوبُ أنْ تُستَثْنى مَجموعةٌ مِن كلِّ فرقَةٍ/قومٍ تَبقى لِتَتفقَّهَ في الدِّينِ ، ثُمّ يُنذِرونَ بِفِقهِهِم تَعليماً قَومَهُم المُقاتِلينَ حينَ يَرجِعونَ إلَيهِم ، أملاً في أنْ يَحيطوا عِلماً بمَنهجِ اللهِ فيَحذَروا الضَّلالَ في الحياةِ.

تعقيبٌ:

إلزاميةُ وإتاحةُ التَّعليمِ.

٢٦/أ/٣ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ، فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ، أَنْ تَقُولُوا: «إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ، وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ». [الأنعامُ: ١٥٥-١٥٦]

٢٦/أ/٤ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ حَقِّ التَّعلُّمِ عُموماً:

الأعْرافُ: ١٤٥ ؛ الرَّحمانُ: ١-٤ ؛ النِّساءُ: ١١٣ ؛ البَقَرةُ: ١٥٩ و ١٧٤ ؛ الأنْعامُ: ٩٢.

٣٦/أ/٥/١ وعَلَّمَ آدمَ الأسماءَ كُلَّها ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فقالَ: «أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» ؛ قالُوا: «سُبْحانَكَ ، لا عِلْمَ لَنا إلاّ ما عَلَّمْتَنا ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ». [البَقَرةُ: ٣١-٣٢]

تعقيبٌ:

كانَ لِزاماً على آدَمَ ليَبدأَ خُطُواتِه الأولى في الحياةِ أنْ يَتعلَّمَ الأساسيَّ فيها ، لِذَلِكَ عَلَّمَهُ العَليمُ الحَكيمُ.

٣٦/أ/٥/٢ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ ، ويُزَكِّيهِمْ ، ويُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ! [الجُمُعةُ: ٢]

الشَّرْحُ:

الأُمِّيُّونَ: لُغةً نَسَبٌ إلى الأُمِّ ؛ ويُوصَفُ بها مَن هوَ مِن العِلمِ علي ما كانَ علَيهِ في حِجْرِ أُمِّهِ ؛ وهيَ كِنايةٌ عن عَدمِ العِلمِ عُموماً أو بشَيءٍ مُعيَّنٍ. ويُشارُ بها هُنا لِمَن لَم يكنْ أتاهم مِن رِسالاتِ اللهِ عِلمٌ كالعَرَبِ مِن غَيرِ اليَهودِ والنَّصارى.

٣٦/أ/٥/٣ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ إلزاميَّةِ التَّعليمِ الأساسيِّ (والقُرآنُ الكَريمُ على رأسِهِ):

البَقَرةُ: ١٢٩ ؛ إبراهيمُ: ١ ؛ آلُ عِمرانَ: ٤٨ و ١٦٤ ؛ مَريَمُ: ١٢ ؛ المائدةُ: ١١٠ ؛ الأعْرافُ: ١٦٩-١٧٠.

٣٦/أ/٦/١ أَمْ مَنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَقائِماً ، يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ؟ قُلْ: «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ؟!» ؛ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبابِ. [الزُّمَرُ: ٩]

الشَّرْحُ:

أمْ الَّذي يكونُ من أصحابِ النَّارِ مَن هُوَ مُلتزِمُ الطَّاعةَ ساعاتِ اللَّيلِ بالسُّجود لله والقِيامِ عِبادةً ؛ حاسِباً حِسابَ الآخرةِ ، ويَرجو رَحمةَ رَبِّهِ؟ لا! قُلْ يا مُحَمَّدُ / أيُّها المؤمنُ: «هَلْ يَتساوى مَن يَعلمُ ومَن لا يَعلم؟» ؛ كذَلِكَ لا يَتساوى ذاكَ ومَن يَجعلُ لله أنداداً ليُضِلَّ عن سَبيلِه.

تعقيبٌ:

تُقيمُ الآيةُ مَبدأَ المُفاضلَةِ على أساسِ الأعلَمِ.

٢٦/أ/٦/٢ يا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا ، إذا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجالِسِ فَافْسَحُوا ، يَفْسَحِ اللّهُ لَكُمْ ، وَإذا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا ، يَرْفَعِ اللّهُ الَّذِيْنَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِيْنَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ ؛ وَاللّهُ بِما تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ. [المُجادلَة: ١١]

الشَّرْحُ:

أنشُزُوا: انهَضُوا وقُوموا مِن مَجلِسِكم ، بُغيةَ إيجادِ مُتَّسَعٍ.

٢٦/أ/٦/٣ ومن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ المُفاضَلَةِ على أساسِ العِلمِ:
الأنْعامُ: ١٤٣ و ١٤٨.

٢٦/أ/٧/١ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إلاهَ إلاّ هُوَ ، وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُو الْعِلْمِ ، قائِماً بِالْقِسطِ ؛ لا إلاهَ إلاّ هُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ. [آلُ عِمرانَ: ١٨]

تعقيبٌ:

لاحِظْ تَرتيبَ أصحابِ العِلمِ كَونَهم بعدَ الله والمَلائكةِ في الشَّهادَةِ!

٢٦/أ/٧/٢ لَكِنِ الرَّاسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ ، وَالْمُؤْمِنُوْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِما أُنْزِلَ

إِلَيْكَ ، وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ؛ وَالْمُقِيْمِيْنَ الصَّلاةَ ، وَالْمُؤْتُوْنَ الزَّكَاةَ ، وَالْمُؤْمِنُوْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، أُولَئِكَ سَنُؤْتِيْهِمْ أَجْراً عَظِيْماً. [النِّساءُ: ١٦٢]

الشَّرْحُ:

لَكِنِ العَرِيقونَ في العِلمِ مِن اليَهودِ ، والمؤمِنونَ مِنهُم يؤمِنونَ بما أُنزِلَ إلَيكَ ، يامُحَمَّدُ ، وما أُنزِلَ مِن قَبلِه على الرُّسُلِ. والمُقيمونَ الصَّلاةَ (نُكرِمهم خُصوصاً) ، والمؤتونَ الزَّكاةَ ، والمؤمِنونَ باللهِ واليَومِ الآخِرِ مِنهُم ؛ أُولَئِكَ سَنُؤتيهِم أجراً عَظيماً.

تعقيبٌ:

العِلمُ قَرينُ الإيمانِ.

٢٦/أ/٧/٣ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ؛ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ، وَقُلْ: «رَبِّ زِدْنِي عِلْماً!». [طه: ١١٤]

٢٦/أ/٧/٤ قُلْ: «لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ، وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً!». [الكَهفُ: ١٠٩]

الشَّرْحُ:

المِدادُ: الحِبرُ. مَدَداً: إضافةً ، ومَزيداً.

تعقيبٌ:

اللهُ العَليمُ هوَ مَصدرُ العِلمِ ؛ و ‹ كلماتُ اللهِ › مجازٌ مُرسَلٌ ؛ فالكَلِمةُ هيَ وِحدةُ العِلمِ.

٢٦/أ/٧/٥ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ تَمجيدِ العِلمِ والعُلَماءِ والحَثِّ على

التَّعلُّم:
النَّملُ: ١٥-١٦ و ٤٠ ؛ الأنبياءُ: ٧٩ ؛ مَريَمُ: ٤٣ ؛ يوسُفُ: ٦ و ٦٨ ؛
القَصَصُ: ٨٠ ؛ الرُّومُ: ٥٦ ؛ سَبَأُ: ٦ ؛ لُقمانُ: ٢٧ ؛ غافِرُ: ٨٣.

٢٦/أ/٨/١ قُلْ: «سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ؛ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.» [العَنكَبوتُ: ٢٠]

الشَّرْحُ:

النَّشأةُ الآخِرَةُ: إحياءُ الْمَخلوقاتِ مِن جَديدٍ ، بعدَ هَلاكِ الجميعِ ، ليَومِ الحِسابِ.

٢٦/أ/٨/٢ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ ؛ أَفَلا تُبْصِرُونَ؟! [الذَّارياتُ: ٢٠-٢١]

٢٦/أ/٨/٣ ومِنَ الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ الحَثِّ على البَحثِ العِلميِّ ومَجالاتِه:
البَقَرةُ: ١٦٤ ؛ فُصِّلَت: ٥٣ ؛ الرُّومُ: ٢٢ ؛ الأنبياءُ: ٣٠ ؛ فاطِرُ: ٢٧-٢٨ ؛
الحَجُّ: ٥ ؛ المؤمِنونَ: ١٢-١٤ ؛ يونُسُ: ٥.

٢٦/ب تَقديمٌ:

غَنيٌّ عن الذِّكرِ ، وهوَ عِمادُ وأساسُ التَّعليمِ ، أنَّ القُرآنَ الكريمَ يُوجِّهُ لاحترامِ حُقوقِ الإنسانِ الَّتي يَقومُ هَذا الكتابُ أصلاً على إثباتِ اشتِمالِه علَيها! إلى جانبِ أنَّهُ يَحفَلُ بعشَراتِ النُّصوصِ الَّتي تَعمَلُ على التَّطويرِ الكامِلِ للشَّخصيَّةِ الإنسانيَّةِ رُوحيّاً ، وأُسَريّاً ، واجتماعيّاً ، وعِلميّاً ، واقتصاديّاً ، وسياسيّاً /عَسكَريّاً ؛ وقد مَرَّ علَينا الكثيرُ مِنها حتَّى الآنَ ، ومِنها آياتُ لُقمانَ-١٦ إلى ١٩ في العُنصرِ ٢٦/ج/١ ؛ وسنَكتفي فيما يلي بمَثَلَينِ يُشيرانِ إلى ذَلكَ التَّطويرِ إجمالاً:

٢٦/ب/١/١ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا ، وَيُزَكِّيكُمْ ،

وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَيُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ. [البَقَرة:
١٥١]

٢٦/ب/١/٢ إِنَّ هَذا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ، وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً. [الإسراء: ٩]

الشَّرْحُ:

الَّتي هيَ أقْوَمُ: السَّبيلُ والحياةُ الأكثرُ استِقامةً.

٢٦/ب/١/٣ يا أَيُّها النّاسُ ، إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا ؛ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ. [الحُجُرات: ١٣]

٢٦/ب/١/٤ لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ ، أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ؛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. [المُمتَحَنةُ: ٨]

الشَّرْحُ:

تَبَرُّوهم: تُحسِنوا قَدرَ ما استطَعتُم. تُقسِطوا: تُوَفُّوهُم حُقوقَهُم.

٢٦/ب/١/٥ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ؛ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. [البَقَرة: ١٠٩]

الشَّرْحُ:

أُعفُوا: أُمحُوا الذَّنبَ مِن النَّفسِ (لِما تَستطيعونَ). اصفَحوا: (أو) أُطوُوهُ

واصرفوه عن بالكم.

٢٦/ب/١/٦ ومن الآياتِ الكريمةِ الّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ التّسامُحِ والصّداقة بَينَ الأُمَمِ:
آلُ عِمرانَ: ١٣٤ ؛ البَقَرةُ: ٢٢٤ ؛ المائدةُ: ١٣ ؛ النِّساءُ: ١٤٩ ؛ الأعْرافُ: ١٩٩ ؛ الحِجْرُ: ٨٥ ؛ النُّورُ: ٢٢ ؛ الزُّخرُفُ: ٨٨-٨٩.

٢٦/ب/٢/١ يا أيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا ، ادْخُلُوا في السِّلْمِ كافَّةً ، ولا تتَّبِعُوا خُطُواتِ الشّيْطانِ ، إنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِيْنٌ. [البَقَرةُ: ٢٠٨]

٢٦/ب/٢/٢ وإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها ، وتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ، إنَّهُ هُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ. [الأنْفالُ: ٦١]

الشَّرْحُ:

جَنَحوا للسَّلمِ: حادوا إلى السَّلامِ. السَّميعُ: (لنَجواهُم). العَليمُ: (بإسرارِهِم).

٢٦/ب/٢/٣ ومن الآياتِ الكريمةِ الّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ تَعزيزِ السَّلامِ:
النَّحلُ: ١٢٦-١٢٨ ؛ الفُرقانُ: ٦٣ ؛ النَّملُ: ٣٣-٣٥ ؛ الشُّورَى: ٤٠ ؛ المائدةُ: ٦٤.

٢٦/ج/١ «يا بُنَيَّ ، إنَّها إنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ في صَخْرَةٍ ، أَوْ في السَّماواتِ ، أَوْ في الأَرْضِ يَأْتِ بِها اللّهُ ؛ إنَّ اللّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ! يا بُنَيَّ ، أَقِمِ الصَّلاةَ ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوْفِ ، وانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، واصْبِرْ عَلَى ما أَصابَكَ ؛ إنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُوْرِ. ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ، وَلا تَمْشِ في الأَرْضِ مَرَحاً ، إنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُوْرٍ ؛ واقْصِدْ في مَشْيِكَ ، واغْضُضْ مِنْ

صَوْتِكَ ، إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ». [لُقمانُ: ١٦-١٩]

الشَّرْحُ:

أْمُرْ بالمَعروفِ: بما لا إساءَةَ فيه للمَشاعرِ مِن تَصرُّفاتٍ (دونَ إلزامٍ).

انْهَ عنِ المُنكَرِ: ما تَستنكِرُهُ ولا تألَفُهُ الفطرَةُ مِن تَصرُّفاتٍ (دونَ إلزامٍ).

عَزمُ الأمورِ: شِدَّةُ النِّيَّةِ، قُوَّةُ الإرادةِ. تُصعِّرْ: تُمِلْ خَدَّكَ (كِنايةٌ عنِ التَّهاونِ بالنَّاسِ).

تعقيبٌ:

الأبُ (لُقمانُ الحكيمُ) يُعلِّمُ ابنَهُ ؛ وهوَ مَن يُحدِّدُ له أُسلوبَ التَّعايُشِ.

٢٦/ج/٢ ووَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ ، وَيَعْقُوبُ: «يَا بَنِيَّ ، إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ». أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ، إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ: «مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي؟» ؛ قَالُوا: «نَعْبُدُ إِلاهَكَ وَإِلاهَ آبَائِكَ: إِبْرَاهِيمَ ، وَإِسْمَاعِيلَ ، وَإِسْحَاقَ ؛ إِلاهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ». [البَقَرةُ: ١٣٢-١٣٣]

الشَّرْحُ:

ووَصَّى إبراهيمُ ، وكذَلِكَ يَعقوبُ ، أبناءَهُما بالإسلامِ للهِ.

تعقيبٌ:

الأبوانِ يُحدِّدانِ الدِّينَ والعقيدةَ للأبناءِ.

٢٦/ج/٣ ومِنَ الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ حَقِّ الأَولَويَّةِ للآباءِ في اختيارِ تَعليمِ الأولادِ:

لُقمانُ: ١٣.

٢٧

أ - كلُّ فردٍ له الحقُّ في حُرِّيَّةِ الْمُساهمةِ في الحياةِ الثَّقافيَّةِ للمُجتمعِ ، وأنْ يَستمتِعَ بالفُنون ، وأنْ يُقاسِمَ في التَّقدُّمِ العلميِّ وفوائدِه.
ب - كلُّ فَردٍ له الحقُّ في حِمايةِ المصالِحِ الْمَعنويَّةِ والماديَّةِ النَّاشئةِ عن أيِّ إنتاجٍ علميٍّ أو أدَبيٍّ أو فَنِّيٍّ يكونُ هوَ صاحِبُهُ.

a- Everyone has the right freely to participate in the cultural life of the community, to enjoy the arts and to share in scientific advancement and its benefits.
b- Everyone has the right to the protection of the moral and material interests resulting from any scientific, literary or artistic production of which he is the author.

عُنصُراها:

أ - حَقُّ التَّبادُلِ الفِكريِّ: مُساهمةً ، واقتِساماً.

ب - حَقُّ حِمايةِ مكاسبِ الإنتاجِ الفِكريِّ.

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

٢٧/أ/١ «يُوسُفُ أيُّها الصِّدِّيقُ ، أفْتِنا في سَبْعِ بَقَراتٍ سِمانٍ يأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ ، وسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وأُخَرَ يابِساتٍ ، لَعَلِّي أرْجِعُ إلى النّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ» ، قالَ: «تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً ، فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ في سُنْبُلِهِ إلاّ قَلِيلاً مِمّا تَأْكُلُونَ ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلكَ سَبْعٌ شِدادٌ يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إلاّ قَلِيلاً مِمّا تُحْصِنُونَ».

[يوسفُ:٤٦-٤٨]

الشَّرْحُ:

عِجافٌ: جَمعُ عَجفاءَ: هَزيلَةٌ. سَبعٌ شِدادٌ: سَبعُ سِنينَ فيهِنَّ شِدَّةٌ (عكسُ الرَّخاءِ).

يأكُلنَ ما قدَّمتُم لَهُنَّ ...: يُستَهلَكُ فيهِنَّ ما أعددتُموهُ مِن خَزينٍ إلاّ قَليلاً مِمّا تَخزِنونَ.

تعقيبٌ:

فَردٌ يُساهِمُ بعِلمِهِ في المجتمعِ.

٢٧/أ/٢ «فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً ، قالَ لَهُ مُوسَى: «هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً؟» ؛ قالَ: «إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ؛ وكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً!» ؛ قالَ: «سَتَجِدُنِي إنْ شاءَ اللَّهُ صابِراً ، ولا أَعْصِي لَكَ أَمْراً» ؛ قالَ: «فَإنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً». [الكهف: ٦٥-٧٠]

الشَّرْحُ:

فوَجَدَ نَبيُّ اللهِ مُوسى وفَتاهُ (مَملُوكُهُ) عَبداً مِن عِبادِنا ، نحنُ اللهُ ، أنزَلنا علَيهِ مِن رَحمتِنا ، وعَلَّمناهُ مِمّا لَنا مِن عِلمٍ.

رُشْداً: عِلماً أسترشِدُ بهِ ؛ أكُونُ بهِ رَشيداً.

تعقيبٌ:

فَردٌ يُقاسِمُ آخرَ عِلمَهُ. استئذانُ الآخَرينَ في التَّزوُّدِ/الانتِفاعِ مِن عِلمِهِم.

٢٧/أ/٣ ومِنَ الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ حَقِّ التَّبادُلِ الفِكريِّ مُساهمةً واقتِساماً: يوسُفُ: ٣٦-٣٧ ؛ القَصَصُ: ٨٧.

٢٧/ب/١ قالَ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي ، وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ، إنَّكَ

أَنْتَ الْوَهَّابُ». [ص: ٣٥]

الشَّرْحُ:

مِن دُعاءِ نَبيِّ اللهِ سُلَيْمانَ ربَّهُ. لا يَنبَغي: لا يُنشَدُ ؛ لا يُؤتَى.

تعقيبٌ:

أساسُ هَذا المُلكِ عِلمٌ حجرٌ لنبيِّ اللهِ سُلَيْمانَ وأبيهِ داوودَ ؛ منه مَنطِقُ الطَّيرِ (النَّمل: ١٥-١٨).

٢٧/ب/٢ فَلَمَّا جاءَ السَّحَرَةُ قالُوا لِفِرْعَوْنَ: «أَإِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغالِبِينَ؟» ، قالَ: «نَعَمْ ؛ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ». [الشُّعَراءُ: ٤١-٤٢]

الشَّرْحُ:

الْمَوقفُ حينَما دُعِيَ السَّحرةُ لمباراةِ نَبيِّ اللهِ مُوسى بعِلمِهِم في السِّحرِ في مُعجزتِهِ الكُبرى ؛ العَصا.

تعقيبٌ:

يَحتفظُ السَّحرةُ مُسبَقاً بحَقِّ الاستفادةِ مِن عِلمِهِم.

٢٨

كلُّ فَردٍ يُخَوَّلُ نظاماً اجتماعياً وأُممياً (دُوَلياً) تتحقَّقُ فيهِ بالكامِلِ الحُقوقُ والحُرِّيَّاتُ المُبَيَّنَةِ في هَذا الإعلانِ.

Everyone is entitled to a social and international order in which the rights and freedoms set forth in this Declaration can be fully realized.

عُنصُرُها:

إقامةُ النِّظامِ الحياتيِّ الَّذي تَتحقَّقُ فيهِ حُقوقُ الإنسانِ وحُرِّيَّاتُه كافةً.

تَقديمٌ:

القُرآنُ ، مُفصَّلاً ومُبيِّناً ما لَزِمَ منه بصحيحِ حَديثِ الرَّسولِ ، هوَ النِّظامُ الحياتيُّ الَّذي أرادَهُ اللهُ للبشَرِ على الأرضِ: *ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيْعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ، وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِيْنَ لا يَعْلَمُوْنَ.* (الجاثية: ١٨)

وقدْ أقامَ وأرسَى ، فيما أرسَى ، حُقوقَ الإنسانِ وحُرِّيَّاتِهِ فيما رَأينا مِن سَبعٍ وعشرينَ مادَّةً حتَّى الآنَ ، ووفقَ التَّحفُّظاتِ المُشارِ إلَيها وتَعليلِها.

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

١/٢٨ يا أيُّها الرَّسُوْلُ ، بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ؛ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ
رِسالَتَهُ ؛ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِيْنَ.
قُلْ: «يا أَهْلَ الْكِتابِ ، لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيْمُوا التَّوْراةَ ،
وَالإِنْجِيْلَ ، وَما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ؛ وَلَيَزِيْدَنَّ كَثِيْراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَكُفْراً ، فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِيْنَ. [المائدة:

[٦٧-٦٨]

الشَّرْحُ:

ما أُنزِلَ إليكم من ربِّكم: ما أُنزِلَ إليكَ من ربِّكَ: القرآنُ الكريمُ.

طُغياناً: غُلواً في الظُّلمِ والإعراضِ.

تعقيبٌ:

بلِّغْ ما أُنزلَ إليكَ: إقامةُ النِّظامِ محلياً. يا أهلَ الكتابِ ...: دعوةُ الأُممِ الأخرى لإقامتِه.

٢/٢٨ وَأَنِ احكُمْ بينَهُمْ بما أنزَلَ اللهُ ، ولا تتَّبِعْ أهواءَهُمْ ؛ واحذَرْهُمْ أنْ يَفْتِنُوْكَ عنْ بعضِ ما أنزَلَ اللهُ إليْكَ ، فإنْ تولَّوا فاعلَمْ أنَّما يُريدُ اللهُ أنْ يُصيبَهُمْ ببعضِ ذُنُوبِهِمْ ؛ وإنَّ كثيراً من النَّاسِ لَفاسِقُوْنَ. [المائدة: ٤٩]

الشَّرْحُ:

أُحكُم: (يا مُحَمَّدُ /أيُّها الوَليُّ المؤمنُ). يَفتِنوكَ: يَستميلونكَ ضَلالاً. تَوَلَّوا: انصرَفوا. فاسِقونَ: خارجونَ عن الحَقِّ.

٣/٢٨ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوْحِيَ إِلَيْكَ ؛ إنَّكَ على صِراطٍ مُسْتَقِيْمٍ. [الزُّخرُفُ: ٤٣]

الشَّرْحُ:

صِراطٌ: طَريقٌ ؛ وهيَ أوجَبُ أنْ تُكتَبَ بالسِّينِ < سِراط > لأنَّها من < سَرَطَ > أي: ابتَلَعَ.

٤/٢٨ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ، اسْتَجِيبُوا للهِ ولِلرَّسُوْلِ إذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيْكُمْ ؛ واعلَمُوا أنَّ اللهَ يَحُوْلُ بَيْنَ المَرْءِ وقَلْبِهِ ، وأنَّهُ إليْهِ تُحْشَرُوْنَ. [الأنفال: ٢٤]

الشَّرْحُ:

يا مَن آمَنتم بالله وملائكته وكتبِه ورُسُلِه واليَومِ الآخِرِ ، استَجيبوا لتعاليمِ اللهِ بالقُرآنِ ، ولتعاليمِ رَسولِه إذا دَعاكُم (حَقيقةً أو مَجازاً مِن خِلالِ صَحيحِ حَديثِه) لما يَدرأُ عَنكم التَّهلُكةَ مِن أمرٍ في مَعايِشِكم ؛ واعلَموا أنَّ اللهَ قادرٌ على قَهرِكم على ما يُريدُ بالحَيلولَةِ بَينَ المَرءِ وقلبِه في الدُّنيا ، وأنَّكم ستُحشَرونَ إليهِ في الآخِرَةِ فيُحاسِبُكم.

تعقيبٌ:

دَعوةُ القاعدةِ للتَّعاونِ معَ النِّظامِ.

٥/٢٨ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ ، وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ، أَنْ تَقُولُوا: «إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ، وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ». [الأنعام: ١٥٥-١٥٦]

تعقيبٌ:

بَيانُ النِّظامِ ، وأهميَّةُ التَّعاونِ معَه.

٦/٢٨ ومِن الآياتِ الكريمةِ العَديدةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ إقامةِ القُرآنِ وصحيحِ سُنَّةِ رَسولِه نِظاماً اجتماعيّاً /حياتيّاً تَتحقَّقُ به حُقوقُ الإنسانِ وحُرِّيَّاتُه كافةً:

الشُّورَى: ١٥ ؛ النَّملُ: ٩٢ ؛ فاطرٌ: ٣١-٣٢ ؛ آلُ عمرانَ: ١٨٧ ؛ النِّساءُ: ١٣٦ ؛ الأحْزابُ: ٣٦ ؛ الكَهفُ: ٢٧ ؛ الرُّومُ: ٣٠ ؛ النُّورُ: ٥٢ و ٥٤ ؛ مُحَمَّدٌ: ٣٣ ؛ التَّغابُنُ: ١٢.

٢٩

أ - كلُّ فردٍ عليهِ واجباتٌ نحوَ المُجتمعِ مادامَ التَّطوُّرُ الحرُّ والكاملُ لشخصيَّةِ الفردِ فيه مُمكناً.

ب - كلُّ فردٍ في مُمارستهِ لحقوقِهِ وحُرِّيَّاتِه يَخضعُ فقط للقيودِ المُقرَّرةِ بالقانونِ وفقط بغرضِ تأمينِ الاعترافِ والاحترامِ اللازمَينِ لحقوقِ وحُرِّيَّاتِ الآخرينَ ، وبغرضِ الوفاءِ بالمُتطلَّباتِ العادلةِ للمعنوياتِ ، والنِّظامِ الجماعيِّ ، والخَيرِ العامِ في مُجتمعٍ حُرٍّ.

ج - لا يَجوزُ في أيِّ حالةٍ مُمارسةُ تلكَ الحقوقِ والحُرِّياتِ بما يُعارضُ مَرامي ومبادئَ الأمَمِ المُتَّحدة.

a- Everyone has duties to the community in which alone the free and full development of his personality is possible.

b- In the exercise of his rights and freedoms, everyone shall be subject only to such limitations as are determined by law solely for the purpose of securing due recognition and respect for the rights and freedoms of others and of meeting the just requirements of morality, public order and the general welfare in a democratic society.

c- These rights and freedoms may in no case be exercised contrary to the purposes and principles of the UN.

عناصرُها:

أ - واجبُ الفردِ نَحوَ مُجتمعٍ رَهينٌ بتأمينِ حُقوقهِ وحُرِّيَّاته.

ب - تَقتصرُ القُيودُ القانونيَّةُ على تأمينِ حُرِّياتِ الآخرينَ والخَيرِ العامِّ.

ج - لا تَطبيقَ لحُقوقِ وحُرِّياتِ الإنسانِ بما يُعارضُ مَراميَ ومبادئَ الأمَمِ المُتَّحدة.

النُّصوصُ القرآنيَّةُ:

١/أ/٢٩ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ؟! أَفَلا

تَعْقِلُونَ! [البَقَرة: ٤٤]

تعقيبٌ:

وُجِّهَ الخطابُ ابتداءً لبَني إسرائيلَ ، وهوَ مَبدأٌ قائمٌ لكلِّ وليِّ أمرٍ يُماثِلُهم عَمَلاً.

٢٩/أ/٢ الَّذِيْنَ يَتَّبِعُوْنَ الرَّسُوْلَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُوْنَهُ مَكْتُوْباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ؛ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ؛ فَالَّذِيْنَ آمَنُوا بِهِ ، وَعَزَّرُوْهُ ، وَنَصَرُوْهُ ، وَاتَّبَعُوا النُّوْرَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ؛ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ. [الأعْراف: ١٥٧]

الشَّرْحُ:

يَضعُ عنهُم إصرَهُم: يُنزِلُ عنهم ما يَحملونَ من ثِقَلٍ (كِنايةٌ عن التكاليفِ والواجباتِ). الأغلالُ: جَمعُ غُلٍّ ؛ وهوَ القَيدُ. عَزَّروهُ: عَظَّموهُ بالمُعاضَدةِ. نَصَروهُ: أيَّدوهُ للانتصارِ. النُّورُ: صَحيحُ حديثِ رَسولِ اللهِ و/أو القُرآنُ.

٢٩/أ/٣ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ، «رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِيْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا ؛ رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِنَا ؛ رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، وَاعْفُ عَنَّا ، وَاغْفِرْ لَنَا ، وَارْحَمْنَا ؛ أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِيْنَ». [البَقَرة: ٢٨٦]

الشَّرْحُ:

لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفساً إلاّ ما وَسِعها ويَسعُها أنْ تَحمِلَهُ ؛ لها ما كَسَبَت مِن أجرِ عَملٍ صالِحٍ ، وعلَيها ما اكتَسبَت مِن جَزاءِ عَملٍ خَبيثٍ.

٢٩/أ/٤ في وِلايةِ نَبيِّ اللهِ مُوسى لإمرةِ بَني إسرائيلَ من بَعد تَلَقّيه الرِّسالةَ (*وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً ؛ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ*) مَثَلٌ واضحٌ يُقدِّمُه لنا القُرآنُ للتَّعادُلِ السَّليمِ بَيْنَ واجباتِ الفَردِ نَحوَ مُجتمَعِه/وُلاةِ أمرِه ، وحُقوقِه الأساسيَّةِ علَيهم في:

التزامِ بَني إسرائيلَ الصَبْرَ على حُكمِ وأمرِ اللهِ [الأعْرافُ: ١٢٨] ؛ وتَألِيه اللهِ وَحدَهُ [الأعْرافُ: ١٤٠] ؛ والالتزامِ بشرائعِ التَّوراةِ [الأعْرافُ: ١٤٥] ؛ وإقامِ الصَّلاةِ [يونُسُ: ٨٧] ...

مُقابِلَ: فَكِّهم مِن استعبادِ فِرْعَونَ لهم [الأعْرافُ: ١٠٤-١٠٥] ؛ والإنجاءِ من تَقتيلِ فِرْعَوْنَ لأسرَهِم [الأعْرافُ: ١٤١] ؛ والإسقاءِ وإنزالِ الْمَنِّ والسَّلْوَى طَعاماً لهم [الأعْرافُ: ١٦٠] ؛ وإسكانِهم [يونُسُ: ٨٧ ؛ الأعْرافُ: ١٦١].

٢٩/أ/٥ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ ارتِهانِ واجبِ الفَردِ نَحوَ مُجتمَعٍ/نِظامٍ بتأمُّنِ حُقوقِه وحُرِّيّاتِه فيه:

التَّوبةُ: ١٢٨ ؛ الأنبياءُ: ٧٣ ؛ الأحْزابُ: ٣٠-٣١.

٢٩/ب/١ وَقُلْنَا: «يا آدَمُ ، اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ؛ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا ؛ وَلا تَقْرَبا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُوْنا مِن الظَّلِمِيْنَ». [البَقَرةُ: ٣٥]

الشَّرْحُ:

رَغَداً: سِعةً وطِيباً.

تعقيبٌ:

القَيدُ في الآيةِ أُريدَ بهِ الخَيرَ العامَّ في أوَّلِ حياةٍ للبَشرِ من وَليِّ الأمرِ الأعلى ؛ اللهُ (عزَّوجلَّ).

٢٩/ب/٢ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزاءً بِما كَسَبَا ، نَكالاً مِن

اللَّهِ ؛ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. [المائدة: ٣٨]

تعقيبٌ:

من قَوانينِ حفظِ حُقوقِ الآخَرينَ ؛ رُغمَ ما يَبدو أنَّه إيقاعُ أذىً جَسديٍّ!

٢٩/ب/٣ قالُوا: «يا شُعَيْبُ ، أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آبَاؤُنا ، أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنا ما نَشاءُ؟! إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ!». [هُود: ٨٧]

الشَّرْحُ:

من قَولِ أهلِ بَلْدةِ "مَدْيَنَ" (أو "الأَيْكَةِ") الَّذينَ بَعَثَ اللهُ إليهم "شُعَيْباً" نَبيّاً ، وكانوا يَبخَسونَ (يُنقِصونَ) النّاسَ قيمةَ أشيائِهم (مِلكاً ، أو جَهداً ، أو فِكراً) ويُخسِرونَ الميزانَ والمكيالَ ...

تعقيبٌ:

تتضمَّنُ الآيةُ ارتباطَ تَعاليمِ اللهِ بالسُّلوكِ في الحياةِ تَرشيداً (تَقنيناً) لهُ ، بذِكرِ صَلَواتِه وما يأمرُهم بهِ ؛ وما يَعبدُ آباؤهم معَ كَيفيَّةِ تَصرُّفِهم في أموالِهِم.

٢٩/ب/٤ ومِنَ الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ اقتِصارِ القُيودِ القانونيَّةِ على تأمينِ حُقوقِ الفَردِ والخَيرِ العامِّ:

البَقَرةُ: ١٨٧ ؛ آلُ عِمرانَ: ١٣٠ ؛ الحَجُّ: ٣٠ ؛ طه: ٢-٣ ؛ المائدةُ: ٩٥.

٢٩/ج تَقديمٌ:

مَضمونُ هَذا العُنصُرِ بالنِّسبةِ للقُرآنِ يُصبِحُ نَصُّهُ:

لا تَطبيقَ لنُصوصِ حُقوقِ الإنسانِ وحُرِّيّاتِهِ في القُرآنِ بما يُعارِضُ مَبادئَهُ ومَراميَهُ الَّتي أهمُّها:

الإيمانُ باللهِ وعِبادَتُه وحدَهُ ؛ إتِّقاءُ اللهِ ؛ التَّوكُّلُ على اللهِ ؛ إقامُ العَدلِ ؛ الإحسانُ ؛ إيفاءُ العَهدِ ؛ إحقاقُ الحَقِّ ؛ بَسطُ الرَّحمةِ ؛ إقرارُ السَّلامِ ؛ الإصلاحُ ؛ وصلُ الرَّحِمِ.

٢٩/ج/١ إنَّما جَزاءُ الَّذِيْنَ يُحارِبُوْنَ اللّهَ وَرَسُوْلَهُ ، وَيَسْعَوْنَ في الأَرْضِ فَساداً ، أَنْ يُقَتَّلُوا ؛ أَوْ يُصَلَّبُوا ؛ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ ؛ أَوْ يُنْفَوا مِنَ الأَرْضِ. ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ في الدُّنْيا ، ولَهُمْ في الآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيْمٌ. [المائدةُ: ٣٣]

الشَّرْحُ:

إنَّما جَزاءُ الَّذينَ يُحاربونَ اللهِ: نَهياً عن ومَنعاً مِن عِبادته ، أو إقامة حُدودِه ، أو تَدارُسِ العِبادِ لدينه ؛ ويُحاربونَ رَسولَهُ تَعرُّضاً له بالأذى الحِسِّيِّ (في حَياته) أو المَعنَويِّ ؛ أو إعاقةً لأداءِ رِسالته ؛ ويَسعَونَ في الأرضِ فَساداً بالْمُبالَغة في أو الدأبِ على ارتكابِ ظُلمٍ أو إتيانِ فاحِشةٍ ؛ أنْ يُوقَعَ بهِم إحدى العُقوباتِ الْمَذكورةِ ، ما يَتناسَبُ منها وجُرمَهُم.

تعقيبٌ:

هَذا رُغمَ أنَّ شَكلَ هَذا القانونِ ضِدٌّ: حَقِّ النَّفسِ في الحَياةِ ؛ عَدمِ التَّعرُّضِ للتَّعذيبِ ؛ عَدمِ النَّفي!

٢٩/ج/٢ يا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا ، ما لَكُمْ إذا قِيْلَ لَكُمْ: «انفِرُوا في سَبِيْلِ اللّهِ» اثّاقَلْتُمْ إلَى الأَرْضِ! أَرَضِيتُمْ بِالْحَياةِ الدُّنْيا مِن الآخِرَةِ؟! فَما مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا في الآخِرَةِ إلاّ قَلِيْلٌ! [التَّوبةُ: ٣٨]

الشَّرْحُ:

يا مَن آمَنتم باللهِ ومَلائكته وكتبِه ورُسُلِه واليَومِ الآخِرِ ، ماذا بِكم حتَّى إذا دُعيتُم للخُروجِ قِتالاً في وجهٍ مِن أوجُهِ مَرضاةِ اللهِ وبِأمرِه صِرتُم ثُقيلي الوَزنِ (كِنايةً عن التَّشبُّثِ بالقُعودِ عن القِتالِ)؟ مِن الْمُستَنكَرِ أن تَرضَوا بالحياةِ الدُّنيا بَدلاً للحياةِ الآخرَةِ! فلَيسَ مأكلُ ومَشربُ ومَلبَسُ ومَسكَنُ ومالُ الحياةِ الدُّنيا ، قياساً له ومُقارَنةً

إيّاهُ بمَثيلِه في الحياةِ الآخرةِ ، إلاّ قَليلٌ.

تعقيبٌ:

سَبيلُ اللهِ تَعني: طَريقَ اللهِ ؛ أيْ تَحقيقاً لِما يأمُرُ بهِ ويُعليهِ مِن مَبادئَ. ومُرادُ القِتالِ فيها يَختصُّ بالدِّفاعِ عنها مِنَ التَّقوُّضِ ، وإنْ كانَ على حِسابِ السِّلْمِ وحَقِّ النَّفسِ في الحياةِ.

٢٩/ج/٣ قُلْ: «إنْ كانَ آباؤُكُمْ ، وَأَبْنَاؤُكُمْ ، وَإِخْوَانُكُمْ ، وَأَزْوَاجُكُمْ ، وَعَشِيرَتُكُمْ ، وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا ، وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ، وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا ؛ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ، فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ» ؛ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ. [التَّوبةُ: ٢٤]

تعقيبٌ:

الجِهادُ ، والاجتِهادُ ، والمَجهودُ ؛ مُشتقّاتٌ لها نَفسُ المَعنى ، وإن اختَلفَت في المَدلولِ. والجِهادُ يَعني بَذلَ الجَهدِ جِسمياً كانَ أو فِكرياً أو مَعنَوياً. وسَبيلُ اللهِ هوَ كلُّ طَريقٍ لتَحقيقِ أمرِ اللهِ ومُرادِه ؛ يَتقدَّمُهُ: الدِّفاعُ عن دينِ اللهِ ؛ إحقاقُ الحَقِّ ؛ إقامُ العَدلِ ؛ استيفاءُ العَهدِ ؛ الإحسانُ ؛ الإصلاحُ ؛ إرساءُ السَّلامِ ؛ تَحصيلُ العِلمِ ... وأيُّ مِنها يَعلو حُبَّ الإنسانِ وقُربَهُ مِن أفرادِ أُسرَتِه ؛ أو حَقَّهُ في حِيازةِ مِلْكٍ ؛ أو حَقَّهُ في حُسْنِ المَعيشةِ.

٢٩/ج/٤ ومِنَ الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ عَدمِ تَطبيقِ حُقوقِ وحُرِّيّاتِ الإنسانِ بما يُعارِضُ مَبادئَ القُرآنِ ومَراميَهُ:

الأنفالُ: ٥-٨ ؛ التَّوبةُ: ٣٤ و ١١١ و ١١٣-١١٤ ؛ هُودُ: ٤٥-٤٦ ؛ المُجادَلةُ: ٢٢ ؛ الكَهفُ: ٧٤-٧٥ ثم ٨٠-٨١ ؛ النِّساءُ: ٢٣-٢٤.

٣٠

ما مِن شَيءٍ في هَذا الإعلانِ يَصِحُّ تأويلُهُ على أنَّهُ يَتَضمَّنُ أيَّ حَقٍّ لأيِّ أمَّةٍ/دَولةٍ ، أو مَجموعةٍ ، أو شَخصٍ ، في أنْ يَتورَّطَ في أيِّ نَشاطٍ ، أو أنْ يَقومَ بأيِّ فعلٍ هادفٍ إلى تَقويضِ أيٍّ مِن الحُقوقِ والحُرِّيّاتِ المُبَيَّنَةِ فيه.

Nothing in this Declaration may be interpreted as implying for any state, group or person any right to engage in any activity or to perform any act aimed at the destruction of any of the rights and freedoms set forth herein.

عُنصُرُها:

لَيسَ مِن موادِّ الإعلانِ ما يُعطي الحقَّ لأيِّ فَردٍ أو جماعةٍ لِتَقويضِ الحُقوقِ والحُرِّيّاتِ المُعلَنةِ فيه.

تَقديمٌ:

هَذه المادَّةُ الثَّلاثونَ مِن إعلانِ حُقوقِ الإنسانِ للأُمَمِ المُتَّحدةِ هيَ مادَّةٌ تَحوُّطيَّةٌ أكثرُ منها حقّاً فِعليّاً. في المُقابلِ ، فإنَّ القُرآنَ الكريمَ عَمَدَ إلَى تَبيينِ الأحكامِ وتَفصيلِها إلى دَرجةِ الإحكامِ بما يُفَوِّتُ الفُرصةَ على مَن يَتلَمَّسُ الثُّغرةَ الَّتي يَنفُذُ منها إلى استحقاقِه تَقويضَ حُقوقِ الإنسانِ وحُرِّيّاتِه ؛ وما قد يَبدوا غَيرَ ذَلكَ فمَرجِعُهُ إمّا لقُصورِ الفَهمِ اللُّغويِّ للقُرآنِ العربيِّ البَليغِ ، أو لعَدمِ الإلمامِ بجُملَةِ أحكامِه ومُقتضياتِه المُفرَّقةِ حينَ النَّظرِ في كثيرٍ مِن القَضايا. أمّا أوجُهُ التَّشابُهِ والالتِباسِ فيها فهيَ في غَيرِ حُقوقِ الإنسانِ وحُرِّيّاتِه الأساسيَّةِ ؛ لَيسَ مِن قَبيلِ القُصورِ أو العَجزِ ، وإنَّما عن عِلمٍ مِن اللهِ (سُبحانَه وتَعالى) ولِحِكمتِه ، كما يُشيرُ إلى ذَلكَ القُرآنُ نَفسُه. نَرى ذَلكَ في الآياتِ التاليةِ:

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

١/٣٠ وكَذَلِكَ أنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ؛ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ. [الحَجُّ: ١٦]

الشَّرْحُ:

كما خَلقناكُم مِن تُرابٍ ، وكما نُحيي الأرضَ الهامِدةَ ، وكما نَبعَثُ مَن في القُبورِ ؛ كذَلِكَ أنزَلنا القُرآنَ آياتٍ بائنةً تماماً لا غُموضَ فيها.

٢/٣٠ كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. [فُصِّلَت: ٣]

٣/٣٠ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ. [الزُّمَر: ٥٥]

٤/٣٠ إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جاءَهُمْ ؛ وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيْزٌ لا يَأْتِيْهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيْلٌ مِنْ حَكِيْمٍ حَمِيْدٍ. [فُصِّلَت: ٤١-٤٢]

الشَّرْحُ:

إنَّ الَّذينَ كَفروا بالقُرآنِ لَمّا جاءَهُم لَمُكابِرونَ (خَبرٌ محذوفٌ ؛ هكذا قَدَّرناه) ، وإنَّهُ لَكتابٌ أثيرٌ لا يَنفذُ الباطِلُ مِن حُكمٍ وتَقييمٍ وغَيرِه إلَيه لِثَغرٍ فيهِ لأنَّهُ تَنزيلٌ مِن حكيمٍ عَمَلُه ، مَحمودٌ عَطاؤهُ.

٥/٣٠ وَلَقَدْ جِئْناهُمْ بِكِتابٍ فَصَّلْناهُ عَلَى عِلْمٍ ، هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُوْنَ ؛ هَلْ يَنْظُرُوْنَ إِلاّ تَأْوِيْلَهُ؟! يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيْلُهُ يَقُوْلُ الَّذِيْنَ نَسُوْهُ مِنْ قَبْلُ: «قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ ، فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا ، أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنّا نَعْمَلُ؟» ؛ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُوْنَ. [الأعْراف: ٥٢-٥٣]

الشَّرْحُ:

هَل يَنتظِرونَ للإيمانِ بالكتابِ أو التَّصديقِ بهِ إلاّ تَحقُّقَ ما ذَكَرَهُ مِن وعدٍ ووعيدٍ يَومَ القِيامةِ؟

ضَلَّ عَنهم ما كانوا يَفترونَ: افتقَدوا يومَئذٍ ما كانوا يَتقوَّلونَ.

٦/٣٠ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ ، وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ، فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ. [الأنعامُ: ١٣٧]

الشَّرْحُ:

كما زَيَّنَ الشُّرَكاءُ لِمُشركيهِم باللهِ سُوءَ الحُكمِ على اللهِ ، كذَلِكَ زَيَّنوا لكثيرٍ مِن المُشركينَ قَتلَ أَولادِهِم ليُهلِكوهم بمؤبَّدِ العَذابِ الآخرَويِّ ، ويَخلِطو عليهم مَنهجَ دِينِهم دُنيَوِيّاً. فدَعْهُم وما يَزعُمونَ مِن كَذِبٍ.

٧/٣٠ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ، هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ؛ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ، وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ. وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ: «آمَنَّا بِهِ ؛ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا» ؛ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ. [آلُ عِمرانَ: ٧]

الشَّرْحُ:

مُحكَماتٌ: آياتٌ لا احتِمالاتِ لِمعانيها أو اختلافَ لِلَفظِها عن مَضمونِها ؛ هُنَّ أساسُ الكتابِ. فأمّا الَّذينَ في قُلوبِهم حِيادٌ عن الحَقِّ فيتَّبِعونَ ما تَشابَهَ مِن آياتِهِ نُشداناً للتَّغريرِ بالنّاسِ ، ونُشداناً لتَحويرِ مَقصودِهِ! وما يَعلَمُ تأويلَ ما تَشابَهَ مِنها إلاّ اللهُ.

٨/٣٠ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ، وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ. [آلُ عِمرانَ: ١٠٨]

٩/٣٠ ومِنَ الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً بَيانَ وتَفصيلَ وإحكامَ آياتِ حُقوقِ الإنسانِ وحُرِّيّاتِهِ

الأساسيّةِ بصفةٍ خاصّةٍ في القُرآنِ الكريمِ:
الحَديدُ: ٩ ؛ النُّورُ: ٣٤ ؛ القِيامةُ: ١٨-١٩ ؛ الأنْعامُ: ١١٤-١١٥ ؛ التَّوبةُ: ٣٣ ؛
الحِجْرُ: ٩٠-٩٢ ؛ هُودُ: ١.

حقان للإنسان في القرآن الكريم
لم يشملهما
إعلان الأمم المتحدة

* رعايةُ اليَتيم وحُقوقِه.
* رعايةُ الوالِدَين.

أولاً

أ - يُخَوَّلُ اليَتيمُ مُعامَلَةً خاصَّةً ؛ فلا يَحقُّ للمُتبنِّينَ و/أو الأوصياء أكلُ شَيءٍ من أموالِهم المَوروثة المُؤتَمَنِ علَيها إلاّ بما يُقابِلُ ولايةَ شَأنِهم ، إنْ كانَ أُولَئكَ الأوصياءُ فُقراءَ ؛ فإذا بَلَغوا سِنَّ الزَّواجِ ، ورَأى الأوصياءُ فيهم النُّضجَ الفكريَّ فتُدفعُ لليَتامَى أموالُهم. وإنْ كانَ اليَتامَى إناثاً وأرادَ الأوصياءُ الزَّواجَ بِهنَّ فتُوفَّى لهُنَّ مُهورُهُنَّ. وعُموماً ، يَتولَّى الأوصياءُ شؤونَ اليَتامَى بالقسط.

ب - يَجبُ الإنفاقُ على اليَتامَى إلى حَدِّ الإكرام سَواءً مِن الزَّكاة ، وصَدَقات التَّطوُّعِ ، ومالِ الغَنائم ؛ وذَلكَ في المَرتَبة الثَّانيةِ مُباشَرَةً بعدَ ذَوي القُربَى. ويَشمَلُ الإنفاقُ إيواءَهُم باتِّخاذِهِم إخواناً في الدِّينِ (مُتَبَنِّينَ) أو بالمَأوى المُستقل.

ج - يَجبُ الإحسانُ بالفعلِ والقَولِ إلى اليَتامَى بصفةٍ خاصَّةٍ ، وذَلكَ بالدَّرجةِ الثَّانيةِ لِذَوي القُربَى ؛ أو على الأقلِ عَدمُ التَّجبُّرِ علَيهم أو مُعامَلَتِهِم بفَظاظة.

د - يَنبَغي الإصلاحُ لشُؤونِهم ومُخالطَتُهم اجتماعياً ، وإرزاقُهم من ميراثِ مُخالطيهِم إنْ هُم حَضَروهُ.

تَقديمٌ:

اليَتيمُ عُموماً هوَ المُتفرِّدُ من الكائنات ، ووفقاً للقُرآن ، هوَ مَن افتقَدَ أبَوَيه كالرَّسولِ مُحمَّدٍ (الضُّحَى: ٦) ؛ أو والِدَهُ (الكَهفُ: ٨٢) ؛ أو رُبَّما والدَتَهُ ، بالمَوتِ أو بغَيرِه ، في سِنٍّ تَبدأُ مِن الميلادِ وتَنتَهي عِندَ بُلوغِ الذَّكَرِ أشُدَّهُ ؛ أكانَ بِبُلوغِ سِنِّ الزَّواجِ أو فَوقَهُ ؛ أو بالزَّواجِ للأُنثَى.

ولَمّا كانَ فَقدُ اليَتيمِ بَليغاً في نَفسهِ لِعَوَزِه للتَّربيةِ طوالَ مَرحلةِ يُتمه: عِنايةً ، وغِذاءً ، وكِساءً ، وتَطبيباً ؛ وإرواءً نَفسيّاً ورُوحيّاً /مَعنويّاً ؛ وإيواءً وتَعليماً ؛ وبَليغاً في تأثيرِه على المُجتمعِ إنْ هوَ عانَى مِن يُتمِهِ ما يُرَسِّبُ في نَفسِه نوازِعَ الشَّرِّ لبراءَتِه مِن أيِّ ذَنبٍ يَستحقُّ علَيهِ المُعاناةَ ... فقد احتَسبَ القُرآنُ الكريمُ هَذه الحالةَ خاصَّةً ، إنصافاً ورَحمةً باليَتيمِ ؛ وحِمايةً للمجتمعِ مِن رَدِّ الفِعلِ ، بحِفظِ حقِّهِ مِن الجوانبِ الَّتي تناولَتها العناصرُ الأربعةُ المذكورةُ مُستقاةً مِن الآياتِ التّاليةِ:

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

أوَّلٌ/أ/١ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ، وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ، وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ، إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً. [النِّساءُ: ٢]

وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ، فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ؛ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُوا ؛ وَمَنْ كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ ، وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ؛ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ، وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً. [النِّساءُ: ٦]

الشَّرْحُ:

حُوباً: إثماً /ذَنباً. ابتَلوا: اختَبِروا. النِّكاحَ: الزَّواجَ. آنَستُم: لَمَستم وتَبيَّنتم. بِداراً أنْ يَكبَروا: تَعجيلاً خَشيةَ أنْ يَكبَروا في سِنِّهم.

أوَّلٌ/أ/٢ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ، قُلْ: «اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ» ، وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ؛ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ. وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى

بِالْقِسْطِ» ؛ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً. [النِّساءُ: ١٢٧]

الشَّرْحُ:

يَسأَلونَك يا مُحمَّدُ الفَتوَى في شَأنِ النِّساءِ، فقُل: «اللهُ هوَ الَّذي يُفتيكُم فيهِنَّ ؛ وما يُتْلى علَيكم في القُرآنِ في يَتامى النِّساءِ اللاّئي لا تُؤتُونَهُنَّ ما فُرِضَ لهُنَّ من مَهرٍ وتَرغبونَ أنْ تتزوَّجوهُنَّ هوَ من إفتاءِ اللهِ ؛ ويُفتيكم في المُستضعَفينَ من الوِلدانِ (ذُكوراً وإناثاً)، وأنْ يكونَ إيلاؤكم شُؤونَ اليَتامى بالحَقِّ دونَ نَقصٍ منهُ».

أوَّلُ/أ/٣ ومِن الآياتِ الكريمةِ الأُخرى الَّتي تُكمِلُ لَوازِمَ ذَلِكَ العُنصُرِ (تَحريمُ أكلِ أموالِ اليَتامَى) و/أو تَدعَمُها:

النِّساءُ: ٣ و ١٠ ؛ الأنعامُ: ١٥٢ ؛ الإسراءُ: ٣٤ ؛ الكَهفُ: ٨٢.

أوَّلُ/ب/١ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ. [البَلَدُ: ١٤-١٥]

الشَّرْحُ:

إحدَى وسائلِ اجتيازِ العَقَبةِ الَّتي تَحولُ بَينَ الإنسانِ وبَينَ نَعيمِ اللهِ هيَ إطعامُ يَتيمٍ منَ الأقاربِ في يَومِ مَجاعةٍ.

أوَّلُ/ب/٢ كَلَّا، بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ. [الفَجرُ: ١٧]

الشَّرْحُ:

لَيسَ ما سَبَقَ فحَسْب، بَلْ ما هوَ أسوَأُ أنَّكم لا تُكرِمونَ اليَتيمَ!

أوَّلُ/ب/٣ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ، وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً ؛ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا، كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً، قَالَ: «يَامَرْيَمُ، أَنَّى لَكِ هَذَا؟» ؛ قَالَتْ: «هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ؛ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ». [آلُ عِمرانَ: ٣٧]

الشَّرْحُ:

فتقبَّلَ اللهُ مَريَمَ (عليها السَّلامُ) ، نَذْرَ أُمِّها ، إذْ وَلَدَتها وهيَ يَتيمةٌ ، وأحسنَ اللهُ تَربيتَها ، وجَعلَ نَبيَّهُ زَكَريّا كافلاً لها ...

أوَّلٌ/ب/٤ ومِن الآياتِ الكريمةِ الأُخرى الَّتي تُكمِلُ لَوازِمَ ذَلِكَ العُنصُرِ (الإنفاقُ على اليَتامَى) و/أو تَدعَمُها:

البَقَرةُ: ١٧٧ و ٢١٥ ؛ الأنْفالُ: ٤١ ؛ الحَشْرُ: ٧ ؛ الإنْسانُ: ٨ ؛ القَصَصُ: ١٢ ؛ الأحْزابُ: ٥ ؛ الضُّحَى: ٦.

أوَّلٌ/ج/١ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَبِالْوالِدَيْنِ إحْساناً ، وَبِذِي الْقُرْبَى ، وَالْيَتامَى ، وَالْمَساكِيْنِ ، وَالْجارِ ذِي الْقُرْبَى ، وَالْجارِ الْجُنُبِ ، وَالصّاحِبِ بِالْجَنْبِ ، وَابْنِ السَّبِيْلِ ، وَما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ ؛ إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالاً فَخُوْراً. [النِّساءُ: ٣٦]

أوَّلٌ/ج/٢ فَأَمَّا الْيَتِيْمَ فَلا تَقْهَرْ. [الضُّحَى: ٩]

الشَّرْحُ:

أُخبرُكَ أنْ لا تَتجبَّرَ أيُّها النَبيُّ/المؤمِنُ وتَستَقوي على اليَتيمِ.

أوَّلٌ/ج/٣ ومِن الآياتِ الكريمةِ الَّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ الإحسانِ لليَتامَى وعَدمِ التَّجبُّرِ علَيهم:

البَقَرةُ: ٨٣ ؛ الماعونُ: ١-٢.

أوَّلٌ/د/١ ... وَيَسْأَلُوْنَكَ عَنِ الْيَتامَى ، قُلْ: «إصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ، وَإنْ تُخالِطُوْهُمْ فَإِخْوانُكُمْ» ؛ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ؛ وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ ، إنَّ اللَّهَ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ. [البَقَرةُ: ٢٢٠]

الشَّرْحُ:

خَيرٌ: أخيَرُ: أفضَلُ (تُحذَفُ الألفُ بلاغةً). أعنَتَكم: شَقَّ علَيكم بما لا تَطيقونَ.

أوَّلٌ/د/٢ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى ، وَالْيَتَامَى ، وَالْمَسَاكِينُ ، فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ ؛ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً. [النِّساءُ: ٨]

الشَّرْحُ:

إذا حَضرَ الأقاربُ ، واليَتامَى ، والْمَساكينُ قِسمةَ ما تَرَكَ الوالِدانِ والأقرَبونَ مِن إرْثٍ فارزُقوهم بشَيءٍ مِنهُ ، وقولوا لَهم قَولاً لا إساءَةَ فيهِ للمَشاعِرِ.

ثانٍ

أ - يَجبُ على الوَلَدِ (ذَكَراً وأُنثى) الإحسانُ بالفعلِ والقَولِ لوالدَيه وشكرُهُما ، خاصةً أمَّهُ. كما يُصاحِبهُما بالْمَعروفِ إنْ كانا مُشركَين معَ اللهِ شَيئاً في عبادَتِهما إياهُ.

ب - يَجبُ على الوَلَدِ (ذَكَراً وأُنثى) استِغفارُ اللهِ لوالدَيه ، وشكرُه (سُبحانَهُ) نيابةً عنهُما على نعَمه علَيهِما.

ج - الوالدانِ أوَّلُ الْمُستحقِّينَ ممَّا يُنفقُ ولَدُهما من خَيرٍ لوَجهِ اللهِ ؛ كما أنَّهما أوَّلُ مَن يَستَحقُّ في ميراثِ ولَدِهما الفَقيدِ.

تَقديمٌ:

الوالدُ هوَ مَن يَكونُ طَرَفاً (أُنثى أو ذَكراً) في إنجابِ ولَدٍ (أُنثى أو ذَكرٍ) ؛ ويَقومُ معَ الوالدِ الآخرِ أو بمُفرَدِه بتَربيةِ وتَعليمِ الوَلَدِ وسعَ طاقتِهِ بالْمَعروفِ حتَّى يَبلُغَ أشُدَّهُ.

الوالدانِ هُما أساسُ الأُسرةِ الَّتي هيَ الوحدةُ الاجتماعيَّةُ ؛ بدءاً من تَسبُّبِهما في وُجودِ باقي أفرادِها (الأولادِ) ، ثُمَّ إنباتِهم ؛ كأنَّهما في ذَلكَ مُمَثِّلَين مُصَغَّرَينِ عن اللهِ الخالقِ ، الرازقِ! مِن هُنا أعطاهُما اللهُ في القُرآنِ مكانةً خاصةً عبَّرت عنها التَّوصياتُ السَّابقةُ حُقوقاً ، مُستمَدَّةً منَ الآياتِ التاليةِ:

النُّصوصُ القُرآنيَّةُ:

ثانٍ/أ/١ وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ؛ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ ، أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا ، فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا: «أُفٍّ» ، وَلاَ تَنْهَرْهُمَا ، وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ

مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَقُلْ: «رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً». [الإسراء: ٢٣-٢٤]

الشَّرْحُ:

قَضَى: أصدَرَ أمراً قضائيّاً (مُلزِماً). إحساناً: أن تُحسنوا للوالدَين إحساناً.
اخفِضْ لَهما جَناحَ الذُّلِّ مِن الرَّحمةِ: اخفِضْ لهما جانِبَ التَّذلُّلِ مِنكَ رَحمةً بهما.

ثانِ/أ/٢ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ - حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ ، وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ - أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ، إِلَيَّ الْمَصِيرُ. وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا ، وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ؛ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ؛ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. [لُقمانُ: ١٤-١٥]

الشَّرْحُ:

وَصَّينا ، نحنُ اللهُ ، الإنسانَ بأبَوَيه أنْ يَشكرَ لله نِعمَهُ ، ويَشكرَ لَهُما تَربيتَهُما وإنباتَهما لهُ بعدَ أنْ حَمَلَتهُ أمُّهُ حيناً في بَطنِها تَضعفُ بحَملِه ضَعفاً على ضَعفٍ منها ؛ ثُمَّ راحَت تُرضِعُهُ عامَينِ حتَّى الفِطامِ ؛ فالرُّجوعُ لله في النِّهايةِ. وإنْ بَذَلا الجَهدَ معكَ على أنْ تَجعلَ لله شَريكاً في عِبادَتِكَ إياهُ لا عِلمَ لكَ به فلا تُطعهُما ؛ وصاحِبهُما في الحياةِ الدُّنيا صُحبةً حَسنةً مِن المُعامَلة ؛ واتَّبِعْ طَريقَ مَن يَرجِعُ إليَّ مِن النّاسِ تائِباً مُتَّقياً ؛ ثُمَّ سَيكونُ رُجوعُكَ ووالِدَيكَ إليَّ بعدَ المماتِ فالبَعثِ ، فأُخبِرُكم بما كُنتم تَعملونَ جَميعُكم.

ثانِ/أ/٣ وَبَرّاً بِوَالِدَتِي ؛ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً. [مَريَمُ: ٣٢]

الشَّرْحُ:

مِن كَلامِ نَبيِّ اللهِ عيسى للنّاسِ في مَهدِهِ أنْ قالَ: « أوصاني اللهُ أنْ أكونَ طَيِّعاً لـ ، مُحسِناً بوالِدَتي ، ولَم يَجعلْني ذا جَبَروتٍ على الخلائقِ ، تَعِساً بمعصيةِ اللهِ».

ثانٍ/أ/٤ ومِن الآياتِ الكريمةِ الّتي تَدْعَمُ أيضاً مَفهومَ الإحسانِ بالوالِدَين:
البَقَرةُ: ٨٣ ؛ النِّساءُ: ٣٦ ؛ الأنْعامُ: ١٥١ ؛ مَريَمُ: ١٤ ؛ العَنكَبوتُ: ٨ ؛ يوسُفُ: ٩٩-١٠٠.

ثانٍ/ب/١ رَبِّ ، اغفِرْ لي ولِوالِدَيَّ ؛ ولِمَنْ دَخَلَ بيْتيَ مُؤْمِناً ؛ ولِلْمُؤْمِنِيْنَ والْمُؤْمِناتِ. ولا تَزِدِ الظّالِمِينَ إلاّ تَباراً». [نُوحُ: ٢٨]

الشَّرْحُ:

مِن دُعاءِ نَبيِّ اللهِ نُوحٍ لِرَبِّهِ (تعالَى). تَباراً: هَلاكاً.

ثانٍ/ب/٢ ووَصَّيْنا الإنْسانَ بِوالِدَيْهِ إحْساناً ؛ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً ووَضَعَتْهُ كُرْهاً ، وحَمْلُهُ وفِصالُهُ ثَلاثُوْنَ شَهْراً ؛ حتّى إذا بلَغَ أَشُدَّهُ وبَلَغَ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً قالَ: «رَبِّ ، أَوْزِعْني أنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الّتي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وعَلَى والِدَيَّ ، وأَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ ، وأَصْلِحْ لي في ذُرِّيَّتي ؛ إنّي تُبْتُ إلَيْكَ وإنّي مِن الْمُسْلِمِيْنَ». [الأحْقافُ: ١٥]

الشَّرْحُ:

فِصالُهُ: فِطامُهُ. أوزِعْني: ألهِمْني. ذُرِّيَّتي: خِلفَتي/نَسلي.

ثانٍ/ب/٣ ومِن الآياتِ الكريمةِ الّتي تَدْعَمُ أيضاً وُجوبَ الاستِغفارِ والشُّكرِ للوالِدَينِ مِن اللهِ:
إبراهيمُ: ٤١ ؛ النَّملُ: ١٩.

ثانٍ/ج/١ يَسْأَلُوْنَكَ ماذا يُنْفِقُوْنَ ، قُلْ: «ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوالِدَيْنِ ،

وَالأَقْرَبِيْنَ ، وَاليَتامَى ، وَالْمَسَاكِيْنِ ، وَابْنِ السبِّيْلِ» ؛ وَما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيْمٌ. [البَقَرةُ: ٢١٥]

ثانٍ/ج/٢ كُتِبَ عَلَيْكُمْ - إذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ، إِنْ تَرَكَ خَيْراً - الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِيْنَ بِالْمَعْرُوْفِ ؛ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِيْنَ. [البَقَرةُ: ١٨٠]

الشَّرْحُ:

كُتِبَ: فُرِضَ.

أهَمُّ المَراجِعِ:

١- Everyone's UN - الأُمَمُ المتَّحدةُ.
٢- المُنجِدُ في اللُّغةِ والأعلامِ - دارُ المَشرقِ.
٣- صفْوَةُ التَّفاسيرِ - مُحمَّد علي الصّابوني.
٤- إعرابُ ثلاثينَ سُورةً مِن القُرآنِ الكَريمِ - ابنِ خالَوَيْه (تحقيق: مُحمَّد إبراهيم سَليم).
٥- التّرقيمُ وعَلاماتُه في اللُّغةِ العربيةِ - الأديبُ /أحمد زَكي باشا
٦- البُرهانُ في عُلومِ القُرآنِ - الإمامُ الزَّركَشيُّ (تحقيق: مُحمَّد أبي الفَضلِ إبراهيم).